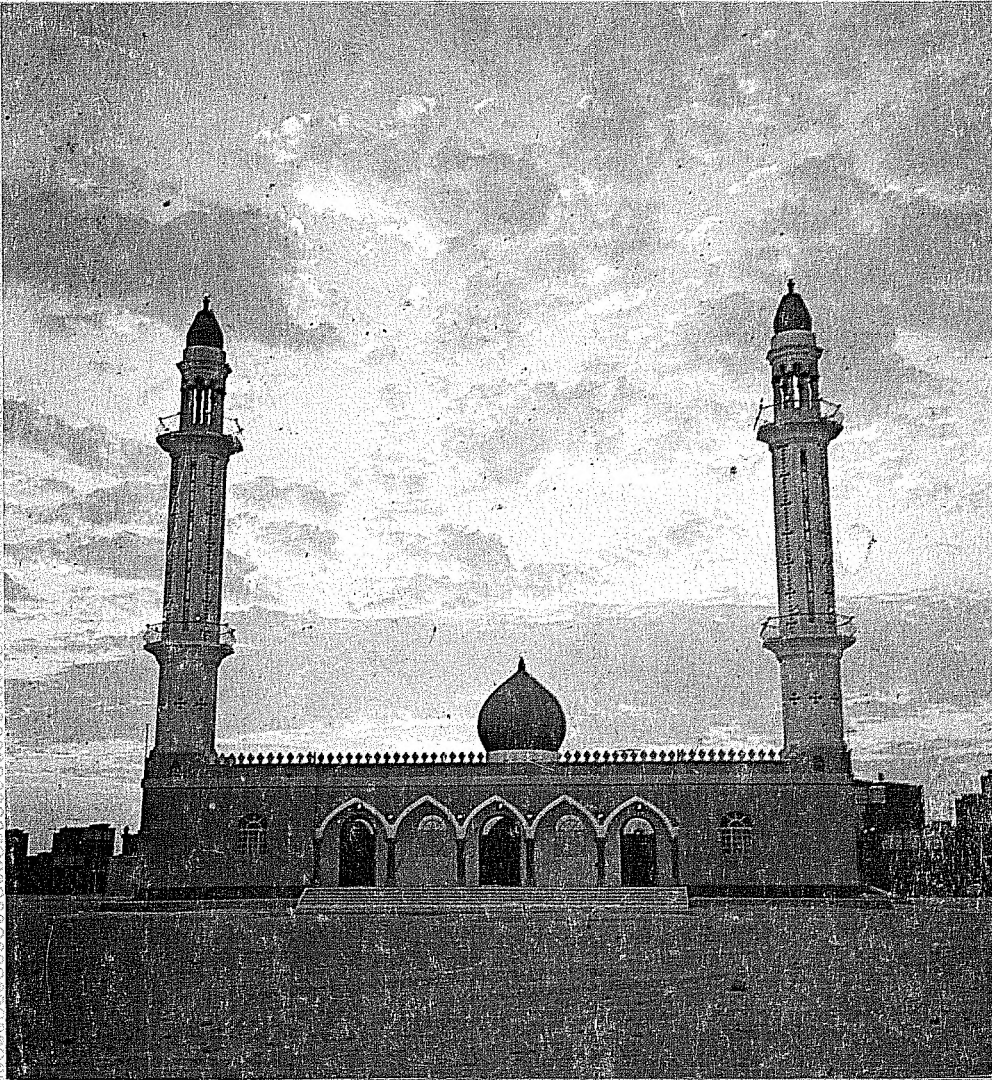


# الوعي الإسلامي

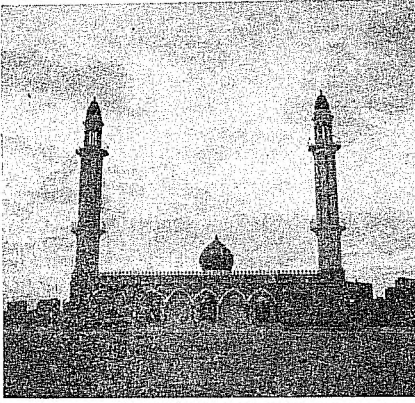
إسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة — العدد ١٠١ — غرة جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ ٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٢ م



عَلَّمَكَ مَا لَمْ يَكُن تَعْلَمُ

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُ



مسجد مدينة عيسى  
بناه أمير البحرين الشيخ عيسى بن  
سلمان آل خليفة عام ١٩٦٨ م .

### التمن:

٥ فلسا	السكوت
١ ريال	السعودية
٧٥ فلسا	العراق
٥ فلسا	الأردن
١٠ قروش	ليبيا
١٢٥ مليا	تونس
دينار وربع	الجزائر
درهم وربع	المغرب
٧٥ فلسا	الخليج العربي
٧٥ فلسا	البن وعدن
٥ قرشا	لبنان وسوريا
٤٠ مليا	مصر والسودان

## الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد ( ١٠١ )

غرة جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ

٢ يونيه ( حزيران ) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ  
الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية  
والسياسية

نصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية  
بالسكوت في غرة كل شهر عربي  
الاشتراك السنوي للهيئات فقط  
اما الامراء فيشتركون راسا  
مع متعدد التوزيع كل في قطر

### عنوا المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي - وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية  
صندوق بريد : ١٣ - كويت - هاتف : ٤٢٨٩٣٤ - ٤٢٢٠٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١

# العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق

العلمانية في مراحلها الأولى من الفكر  
الأوروبي وهي تمثل التنافس على السلطة

للدكتور محمد البهي

العلمانية والاسلام .. بين الفكر والتطبيق

مقدمة :

يفرض علينا الاجنبى — منذ الاستعمار الغربى فى القرن التاسع عشر :  
« موضوع التفكير » ويجرنا الى مشاكل ليست من طبيعة بيئتنا ، ويدفعنا فى



مناهات ننسى فيها ديننا وتاريخنا وكل عوامل مقوماتنا ، أو نتركها عن قصد . وربما نتركها متحدين إياها ، وجاهدين في حمل الآخرين منا على الترغيب عنها :

فرض علينا « العلمانية » في تعليمنا في مدارسنا وجامعاتنا ، وفرضها علينا في تشريعنا وفرضها علينا في تفكيرنا وسلوكنا ، وفرضها علينا في سياستنا ، وفرضها علينا في اقتصادنا .. ففصل بين الاسلام وحكم الدولة ، وأبعد الاسلام عن مجالات الحياة العامة ، وتركه في داخل المسجد وفي قلوب الناس ، يمارسونه اعتقادا وقلما ينزلون به الى التطبيق .

ويحاول منذ الحرب العالمية الثانية ان يفرض علينا علمانية من نوع آخر متطرف .. يحاول ان يفرض علينا الغاء الدين عقيدة ، بعد ان طهست معالمه عملا في أوضاع المسلمين .. يحاول ان يصل بنا الى ما يسمى : « الاتحاد العلمي » وهو مرحلة من مراحل العلمانية كي تصل عن طريقه الى مجتمع غير طبقي !! .

يفرض علينا العلمانية كحل لمشكلة ازدواج السلطة ، وكل آخر لتحقيق ما يسمى بالعدالة الاجتماعية .

هل المجتمع الاسلامي في ظل الاسلام ومبادئه : في الحكم والسياسة ، وفي نظرته الى الانسان ، وفي تحديد منهج السلوك له .. تنشأ له مشكلة تتعين العلمانية حلا لها ؟ أم ان العلمانية كحل تتطلب ان نستورد من الأجنبي عنا مشكلته أولا ؟ فان صعب استيرادها فلنتصورها على الأقل ، وتكون العلمانية عندئذ حلا لوهم وليست لحقيقة قائمة فعلا ؟  
ان هذا البحث يحاول الإجابة عن هذين السؤالين .

## ١ - العلمانية - والإسلام : في الفكر :

■ الإنسان في ظل مبادئ الاسلام لا يرتفع الى مستوى الألوهية والقداسة في التقدير ، كما لا ينزل الى مستوى الحيوان في السلوك والمعاملة .. ولا يعصم عن الخطأ في الحكم والراي والسلوك ، بل كما يصيب : يخطئ .. والوظيفة العامة التي يتقلدها الإنسان - أيا كانت منزلتها - لا تغير من خصائص طبيعته البشرية .. وحكومة الاسلام في تطبيق مبادئه ليست الهية ، بل هي بشرية تخضع للنقد ، وتقبل الشورى والمطالبة بها .. وراي الإنسان ( أو اجتهاده ) لا يلتزم به الا الانسان صاحب الراي نفسه .. وإمام المسلمين أو رئيس دولتهم هو بحكم نظام الاسلام في الخلافة من الخيرة بينهم : إيماناً بالله ، ومعرفة بمبادئ الاسلام ، وأكثرهم تجنباً للظلم والاعتداء ، واحقاقاً للحق واقراراً للعدل .

والعلمانية اذن ليس لها مكان في وجود الانسان مع الاسلام . فلما ان يوجد الاسلام ولا علمانية ، أو توجد العلمانية ولا اسلام . والعلمانية في تصور بعض المسلمين المعاصرين وفي محاولتهم التوفيق بينها وبين الاسلام في مجتمع اسلامي .. تعود الى قصور في تصور الاسلام ، ثم الى رغبة في محاكاة حلول في

تفكير الغرب ، لمشاكل كانت وليدة البيئة الغربية ، ونتيجة الصراع فيها حول السلطة والتفرد بالقوة فى كل جوانبها فى المجتمع الأوربى .

ان العلمانية على غير قياس الى العالم — أو العالمية Secularism هي نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الدينى والعبادة الدينية .. هو اعتقاد بان الدين والشئون الاكليريكية ( اللاهوتية والكنسية ) والرهبنة لا ينبغى ان تدخل فى أعمال الدولة ، وبالأخص فى التعليم العام . والتحول الى العلمانية هو التحول من الملكية الدينية الى الملكية المدنية ، أو من الاستعمال الدينى الى الاستعمال المدنى .. هو التخلص من سلطة الرهبنة والعهد الرهبنى .. هو التحول الى الانتباء المدنى .

... والعلمانى Secular : هو ما يتعلق بالحياة الدنيوية المؤقتة وليست له قداسة مقابل الشئون الكنسية . ومنه الموسيقى الدنيوية مقابل الموسيقى الدينية أو الكنسية ، والمدرسة الدنيوية أو المدنية مقابل المدرسة الاكليريكية .

### فى المجتمع الأوربى :

■ وهنا اذن : ثنائية المجتمع الأوربى .. هنا دولة — وكنيسة .. هنا مدنى — ودينى .. هنا حياة دنيوية غير مقدسة — وحياة أخرى كنسية لها قداستها .. هنا دولة لها سلطة وتريد ان تتوسع فى سلطتها . وهنا كنيسة لها سلطة كذلك وتريد ان تحافظ على الأقل على سلطتها فى مواجهة سلطة الدولة . وهنا حياة مدنية ودنيوية تخضع للتغيير والتطور . وهنا حياة دينية كنسية فى منأى عن التغيير والتطور .

هذا مشكل لا يبرز اشكاله الا وقت ان يتخاصم الطرفان ويمتنع أى منهما عن ان يخضع للطرف الآخر ، بسبب من الأسباب .

كانت الكنيسة تكاد صاحبة السلطة المسيطرة طوال القرون الوسطى فى أوربا .. حتى ابتدا الانسان الأوربى يكشف مجالا آخر يرى فيه استقلاله عن الكنيسة ، وهو مجال البحث الطبيعى . ثم يشعر بوجود نفسه المستقل يوم أعلن قانون الجاذبية .. وأخذ يعتز بنفسه يوم استخدم قوة البخار فى الصناعة .. ثم كلما اكتشف قوة أخرى كلما ابتعد عن الكنيسة وسيطرتها ، وكلما اتهم الكنيسة ونال من دين الكنيسة . فزادت اتهاماته بعد أن عرف قوة الكهرباء ، وفجر الذرة ، وبحث الفضاء . وهو اذ يوجه اتهاماته للكنيسة وينال من دينها لم يكن ذلك بناء على أدلة علمية يقينية توجب ابعاد المسيحية . وانما فى الأغلب يستهدف من كثرة الاتهام والنيل .. المحافظة على حريته فى حركة البحث وفى السلوك فى ظل دولة قوية مستقلة عن الكنيسة وعن رأى رجال الاكليروس فيها .

والذين كانوا يوجهون الاتهامات الى الكنيسة وينالون من المسيحية فى عصر من العصور بعد القرون الوسطى — وبالأخص من القرن السابع عشر ، الى القرن التاسع عشر — لم يسلموا من المعارضة .. والمعارضة العلمية القوية . فالقوانين مثلا التى قامت عليها الماركسية فى القرن التاسع عشر — وكانت نظرتها الى الكنيسة والدين اشد مراحل العلمانية عنفا ضد الكنيسة والدين

— هذه القوانين لم تسلم لها من الوجهة العلمية :

١ — فنشأة الأنواع وتطورها — كما نذكر عند : داروين Darwin ( ١٨٠٩ — ١٨٨٢ ) و Haeckel ( ١٨٣٤ — ١٩١٩ ) هيكل .. بقيت حتى الآن لغزا ، كما كانت ، ولم تصبح قانونا علميا ، كما ادعت الماركسية وأسست عليها تفكيرها .

٢ — والأصل الميكانيكي الذاتي ، الذي يؤكد أن الحياة كلها ، من : عقلية ، ونفسية ، وسلوكية صادرة عن « مادة » عضوية في الإنسان .. هذا الأصل لا يعتبر من الحقائق العلمية في نظر كثير من الباحثين .

٣ — والمادية كمذهب تحت أى عنوان .. انتهى أمرها اليوم ، على الأقل في ميدان البحث العلمى . وبالأخص : جعل الاقتصاد أساس الحياة الإنسانية في جميع اتجاهاتها .. نقضه ماكس فيبر Max Weber ( ١٨١٤ — ١٩٢١ ) في كتابه : « البحوث الدينية الاجتماعية » ( ثلاثة أجزاء سنة ١٩٢٠ ) بالدين عند الهنود ، والصينيين ، واليهود .. والمجتمع والاقتصاد في القرون الوسطى وصلته بالتفكير الكنسى .. والراسمالية وتأثرها بتعاليم كالفن : ( ١٥٠٩ — ١١٥٦٤ ) .. وبالحقائق الرياضية والمنطقية وعدم صلتها بأى أساس مسادى .

■ مشكل تنازع السلطة بين الدولة والكنيسة ، أو بين الدنيوى وغير المقدس ، والكنسى المقدس تصور حملة بعض المفكرين في أنه يجب أن يكون الحل النظرى على الأقل — في توزيع السلطة وتقسيمها بين الطرفين : يكون للدولة مجال ، وللكنيسة مجال .. تكون للدولة الشؤون السياسية والاقتصادية والتعليمية ، والتشريعية بما لا يمس الكنيسة ، وتكون للكنيسة شؤون الأسرة في مراسيم الزواج ، وطقوس الوفاة ، ونظام الرهينة والاكليروس .. وهذا التقسيم ، أو الفصل بين السلطتين يأخذ اسم « العلمانية » . وقد مر في التفكير الأوربي بمرحلتين :

#### ١ — المرحلة الأولى : مرحلة العلمانية المعتدلة :

وهي مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر . المرحلة الثانية : مرحلة العلمانية المتطرفة . وهي مرحلة القرن التاسع عشر .. وقد بلغت قمته في التطرف في الفكر المادى التاريخى .

فالمرحلة المعتدلة ان اعتبر فيها الدين أمرا شخصيا لا شأن للدولة فيه ، فان على الدولة مع ذلك أن تحمى الكنيسة .. وبالأخص قسى جباية ضرائبها . وأن طالب التفكير العلمانى في هذه المرحلة بتأكيد الفصل بين الدولة والكنيسة ، فإنه لا يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها ، وأن كان ينكر فيها بعض تعاليمها ، ويطالب باخضاع تعاليم المسيحية الى العقل ، وإلى مبادئ الطبيعة ، مما نشأ عنه ، ذلك المذهب المعروف باسم : Deism .. وهو مذهب يعترف بوجود الله كأصل للعالم . ولكنه ينكر : الإعجاز ، والوحى ، وتدخل الله في العالم ومن اتباع هذا المذهب :

- ١ — Voltaire فولتير ( ١٦٩٤ — ١٧٧٨ ) في فرنسا .
- ٢ — Shaftesbury شفتسبرى ( ١٦٧١ — ١٧١٣ ) في إنجلترا .
- ٣ — Lessing ليسنج ( ١٨٧٢ — ) في ألمانيا .

■ ومن فلاسفة هذه المرحلة المعتدلة للعلمانية فى التفكير الأوربى الأدبى : الفيلسوف الانجليزى لوك Loke ( ١٦٣٢ — ١٧٠٤ ) : فهو يرى أن الدولة الحديثة التى رفعت عن شئونها كل وصية للكنيسة .. تنظر الى كل اعتقاد دينى على أنه رأى شخصى ، والى كل رفقة فى الدين على أنه ترابط حر ، يجب أن يتحمل وأن يدافع عنه ، طالما لا يهدد نظام الدولة بالانقلاق أو التخريب . وقد شارك ليبنيز Leibniz ( ١٦٤٦ — ١٧١٦ ) لوك — كى يكون الوحي المسيحى مطابقا للعقل — فى وجوب حذف بعض التعاليم المسيحية : كعقيدة : التثليث ، وعقيدة : الطبيعة الالهية الانسانية للمسيح ، على أن يصبح الوحي الالهى للانسان عامة هو : القوانين ، والمبادئ وليس ما وراء الطبيعة ، كما وقع لموسى .

وبالرغم من أن يصبح الدين بعد هذا التعديل فى الوحي موضوعيا .. فانه يظل أمرا شخصيا ، يلتزم به الشخص وحده ، دون صلة بالدولة .

■ ومن فلاسفة هذه المرحلة المعتدلة فى العلمانية كذلك : الفيلسوف الانجليزى الآخر هوبز ( ١٥٨٨ — ١٦٧٩ ) : Hobbes

فهو يرى : أن الدولة « عقد » وأن عليها أن تسوق الانسان بالاكراه .. الى الانضمام الى هذا العقد . ودفع الانسان بالاكراه الى الانضمام الى عقد الدولة ناشئ عن نظرتة الى الانسان على أنه : « أنانى » من طبيعته . على العكس من نظرة روسو Rousseau ( ١٧١٢ — ١٧٧٨ ) الى هذه الطبيعة . فطبيعة الانسان فى نظر روسو .. هى طبيعة خيرة ، وأن الانسان اجتماعى باحساسه . ولذا لا يدفع ، بل ينتظر منه : أن يشارك من نفسه فى الدولة كعقد اجتماعى ، لصالح الكل .

ويتحدث هوبز عن « سيادة » الدولة . فيجعل الدولة هى المصدر الوحيد للقانون ، والأخلاق ، وكذلك الدين . ويقول فى شأن ذلك : « لهذا أعلن أن سلطة الدولة العليا لها الحق فى أن تفصل هى فى بعض التعاليم : هل هذه التعاليم تحتل بالنسبة لطاعة المدنيين للدولة أم لا ؟ . فإذا كانت لا تحتل فيجب تحريم انتشارها » .

وفى نظره فان ممارسة الدولة لسياستها هو لعب بقوة الأنانية المتجمعة . فالأفراد أنانيون بطبائعهم . ومن مجموع أنانيتهم تتكون قوة الدولة . والدول فى علاقات بعضها مع بعض يسود فيها وضع الطبيعة المسمى الآن بالسيادة . ومن أجل سيادات الدول فى نظر : هوبز .. يستمر الحرب . والقوة ، والمنفعة ، كلتاها تحددان وحدهما طبيعة الجماعة .

ولتوضيح العلاقات بين الدول ، وأنها علاقات قائمة على استغلال المنفعة واستخدام القوة يظهر التمثيل بالحيوان كشعار للدولة فى فلسفة الفلاسفة .

فعند هوبز : الذئب هو شعار الدولة .

وعند مكيافيللى : شعارها هو : الأسد والثعلب .

وعند اشبلنجر : شعارها هو : النسر .

وعند ليسنج : شعارها هو : القرد الجارح .

ومن حرص هوبز على سيادة الدولة : يعارض كل اتجاه يعارضها ، وبالأخص يتجه بمعارضته الى الكنيسة . والأمر عنده فى مخاصمة الكنيسة ليس



هو أمر التفتيش عن الحقيقة ، أو القانون ، أو الدين .. بقدر ما هو محافظة على قوة الدولة وسيادتها . وللدولة — أو للأكثرية — أن تفعل في نظره ما تهوى وما تريد . والإنسان في تمثيله للجماعة له : أن يستحسن ، أو يستقبح ما يشاء . وبذلك يعود الإنسان من جديد مرة أخرى — بعد السوفسطائية في الفكر الاغريقي القديم — الى أنه هو : مقياس الأشياء ومقياس القيم . وعلى هذا النحو تنظر الشيوعية الى الفرد . فهي ترى مغزى وجوده في وجود الإنسان العام : في وجود « الوحدة الجماهيرية » .. في وجود « الدولة » .. في وجود « الحزب » . عن هذه النظرة تصل الشيوعية الى : الدولة المطلقة . ونظام الدولة المطلقة يجعل الدولة : هي المبدأ .. والمصدر الأخير لكل جانب من جوانب الحياة .

واندفاع هوبز الى التقدير الاعمى للإنسان العام يعود الى خضوعه الى اتجاه المادية ، ورؤيته الحقيقة كلها — وليس بعضها فحسب — في الماديات . ثم يعود ايضا الى ايمانه : بقانون الحركة الطبيعية بين الضغط — والدفع ، والسبب . والمسبب تلك الحركة التي تنشأ عن أسباب طبيعية خالصة في تعليل الأحداث اذ عن طريق تأثر هوبز بالأمرين معا .. لم ير الا السيادة المطلقة للدولة في تجميع الأفراد الأتانيين بطبيعتهم ، على العقد . كذلك يصدر رأيه عن هذا التأثير بوجوب معارضة الدولة للكنيسة في سبيل احتفاظها بالقوة المطلقة ، وايضا باستخدام الحرب مع دولة أخرى .

ولم يسلم هوبز من المعارضة القوية لرأيه في الدولة وفي معارضة سلطة الكنيسة . فقد قام في وجهه في انجلترا ما يسمى : بمدرسة كمبردج . ومن أقوى المعارضين له في هذه المدرسة : رالف كودورث Ralf Cudworth ( ١٦١٧ — ١٦٨٨ ) : فقد عارض مذهبه الالحادى ، ورفض : أن تكون الأخلاقيات بحيث يمكن أن تنشأ عن الفهم الطبيعي ، كما يدعى هوبز . وأكد : أن هذه الأخلاقيات تتأصل في المثل العليا في العقل الالهى . والعقل الإنسانى يسهم فيها عن طريق انه مخلوق لله .

ومن انصار هذه المدرسة :

١ — صموئيل باركر Samuel Parker

٢ — هنرى مور Henri More

٣ — جون سميث John Smith

■ وأما الفيلسوف الانجليزى الآخر : هيوم Hume ( ١٧١١ — ١٧٧٦ ) فهو مع كونه ملحدًا ينكر الله ، كما ينكر خلود الروح .. الا أنه كرجل من رجال التقاليد في انجلترا .. يبقى على اعتبار الدين ، كإيمان فقط . فالدين في نظره ليس علما . وانما هو احساس فقط .. احساس بالإيمان بوجود قوى فوق الإنسان .. هو احساس ناشئ عن تغير موجات الحياة ، وظلام القدر ، والترقب المخيف والقلق من المستقبل ، وبالأخص بعد الموت . والوثنية هي الصورة الأولى لهذا الإيمان .

■ وفي فرنسا ظهر الفيلسوف Jean Jacques Rousseau ( ١٧١٢ — ١٧٧٨ ) روسو : وهو يتفق مع هوبز في ابعاد الدين عن الدولة وعن التربية على وجه اخص . ولكنه يختلف معه في سبب المطالبة بإبعاده . فهو في فلسفته على

الضد من فلسفة هوبز .. هو انساني وليس بهادى . ويستهدف فى فلسفته تقدم الانسانية وحريتها ، وسعادتها . ولكن بوسائل أخرى غير تلك التى نادى بها فولتير . فروسو كان من أصحاب القلب والاحساس ، بينما فولتير كان من أصحاب العقل والتفكير .

روسو يرى : أن الانسانية يجب أن تعود الى الطبيعة الأولية .. الى فضيلة المواطن .. الى سعادة الأسرة والمنزل . ولكن يقف فى طريق سعادة الانسانية — فى نظره — التناقض بين الطبقات ، والطبقة الحاكمة ، وكل المنظمات التى تحتفظ بالقوة المسيطرة وتسعى الى الاحتفاظ بها من : مدنية ، وكنسية .

وبالرجوع الى الطبيعة الاولى وحدها — فى نظره — توجد بين الناس : المساواة ، والحرية ، ولذا : الناس أخوة .. وليس بالرجوع الى الثقافة ، والمدنية ، ولا الى المجتمع الذى يحمل ذلك .

وبسبب الحرية والمساواة .. يعطى روسو : الكلمة الديمقراطية الراديكالية وسيادة الشعب ، بدلا من تعاليم : الدولة المطلقة عند هوبز ، وبدلا من الملكية الدستورية للنموذج البريطانى عند مونتسكيو ( 1689 — 1755 ) . وفى نظره ليست هناك حاجة الى نيابة برلمانية ، طالما تكون القوة الحقيقية للشعب . ويكفى من وقت لآخر : أن يقترح الشعب على بيان يعلن عليه . والا لا تكون القوة فى الواقع لهؤلاء الناس الطيبين ، ولا للشخصيات الحية فى أصلها التى تصنع الدولة . وانما تكون القوة عندئذ لتلك المؤسسات الثقافية الجامدة ، ولتلك الاحزاب ، والطبقات ، والمنظمات التى تنمو وتتعاظم فوق رعوس الشعب وتسلبه حريته ، معتمدة على تجاربها .

فالدولة هى الشعب نفسه . ولا ينبغى أن ينظر الى الشعب الا على أنه اتحاد اجتماعى حر ( عقد اجتماعى ) صادر عن ارادة المواطنين ، الذين هم كذلك ليسوا شيئا آخر سوى : انهم مواطنون ، متساوون ، أحرار ، طيبون .

وفى التربية — للمحافظة على الوضع الطبيعى الاصيل للانسان — يجب أن يترك التلميذ حرا ، بدون اكراه له من الخارج .. يجب أن يتبع ما له من استعدادات وطاقات ذاتية : بحيث ينشأ صادقا فى حسه ، وطبيعيا مع خصائصه وللمحافظة على أن يكون طبيعيا فى نموه يجب ابعاد غير الطبيعى من ، القوى : الثقافية ، والعادة ، والقانون ، وكذلك تعليم المسيحية الخاص « بالخطيئة الموروثة » . « فكل شيء من صنع الخالق عندما يخرج .. هو حسن ، وكل شيء يقع تحت ايدى الانسان .. ينحط ويتغير » .

هذه هى الجملة الاولى فى كتابه التربوى : « اميل » . وفى هذا الكتاب يركز روسو على الطبيعة ويجعلها وحدها هى العامل الفاصل . كما يجعل الدين فى التربية أمرا ضد الطبيعة . فالإيمان فى أكثر الناس هو أمر جغرافى ، ويتعلق بالانسان وحده : هل هو ولد فى مكة ، أو فى روما .

وروسو على وجه التأكيد ضد تلقين الأطفال الحقائق المينافيزيقية ، التى لا يمكن أن تدرك بالحس . ولذا — من وجهة نظره — ينبغى ألا يتبع الطفل حزبا دينيا . ولكن يمكن من الاختيار بنفسه ، على أساس من عقله الخالص . وفى الوقت الذى يتجه روسو فيه ضد الالحاد يتجه أيضا ضد الأدلة المينافيزيقية على وجود الله ، التى يحتضنها علم اللاهوت الكنسى . فالله — فى

نظره — ليس موضوعا للعلم ولا للعقل ، بل هو موضوع للاحاساس والقلب .  
والايمان بالفضيلة والخلود هما : الدين الصادق .

■ ليسنج Lessing ( ١٧٢٩ — ١٧٨١ ) والدين :

والدين فى نظر ليسنج ليس شيئا نهائيا . ولكنه يكون مرحلة يقوم عليها طريق الحياة للانسانية . والاديان كلها تقع فى مجال التطور — ككل ما يقع فى التطور — ويجب أن تخطو الى ما هو أفضل وأحسن . وفى الاديان الكبيرة يستهدف الله توجيه الانسانية الى ما هو حق وصح . وليست هناك حقيقة أبدية لا تنقض ، وانما هناك سعى نحو الحقيقة .

★ ★ ★

وفى هذه المرحلة الأولى للعلمانية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . . هذه المرحلة التى تعتبر معتدلة نوعا ما عن المرحلة التالية . . تكمن دوافع الفصل بين الدولة والكنيسة ، أو بين الدين والدولة فى الأسباب الآتية :  
أولا : — الحرص على سيادة الدولة سيادة مطلقة ، فى مواجهة الكنيسة ووصايتها السابقة فى القرون الوسطى على الانسان ، كما هو واضح عند هوبز .

وثانيا : — اتهام المسيحية ببعد بعض تعاليمها عن العقل — كعقيدة التثليث ، وعقيدة الطبيعة الالهية الانسانية للمسيح — كما يرى فى فلسفة : لوك ، ولينتز ، وفى محاولتهما — مع آخرين — لتصفية المسيحية على أساس من منطق العقل ، كما يدعى ، وتسمية ما يخضع للعقل باسم : دين العقل .

وثالثا : — النظر الى الدين فى التربية على أنه ضد « الطبيعة » كما فى نظرة روسو اليه ، بناء على تعليم المسيحية : « بالخطيئة الموروثة » .

ورابعا : — اعتبار الدين أمرا متطورا ، وليس بنهائى ، كما يراه ليسنج ، وبالتالي : حقائقه متغيرة وقابلة للنقض .

واذا كان هوبز قد كشف واضحا فى فلسفته عن عامل الفصل بين الدولة والدين ، وهو عامل الحرص على سيادة الدولة . . وهو عامل يتصل بالتنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة ، أكثر منه عامل يبرر عزل المسيحية عن الحياة الانسانية العامة ، فان العوامل الثلاثة الأخرى تتجه الى نقد الدين ، وهى وان اتجهت الى نقد الدين والنيل من تعاليمه ، ولكنها تتجه فى واقع الأمر الى تفسيرات فى المسيحية أصبحت تقليدا وعقيدة لبعض كنائسها . ولكن جوهر المسيحية لا يخرج عن كونه دعوة للروحانية الانسانية فى مواجهة المادية التى طغت فى آخر عهود الموسوية .

( للبحث بقية )

★ ★ ★

## مباحث قرآنية

# التعريف بالقرآن الكريم

للدكتور محمد حسين الذهبي

ومعلوم ان للقرآن الكريم خصائص كثيرة يتميز بها عن كل ما عداه من كلام إلهي أو غير إلهي ككونه معجزا أو متعبدا بتلاوته .

ومعلوم أيضا — ان للقرآن صفات يشاركه فيها غيره من كلام الله أو كلام البشر ولكنها صفات لازمة لا تنفك عنه لأنها من عناصر قرآنيته ، ولو انها انفكت عنه لخرج عن كونه قرآنا ، وذلك كوصف كونه عربيا الذي يشاركه فيه الحديث النبوي والحديث القدسي ، وكوصف كونه متواترا الذي يشاركه فيه بعض الأحاديث النبوية . ونرى لزما علينا أن نذكر بعض هذه الخصائص والصفات بشيء من التفصيل والإيضاح حتى لا يقع لبس أو خلط بين ما هو قرآن وما خرج أو هو خارج من الأصل عن كونه قرآنا :

١ — فمن خصائص القرآن كونه معجزا ، وإعجاز القرآن خصوصية خصه الله بها من بين كتبه المنزلة على سائر الأنبياء عليهم السلام ، وميزة تميز بها عن كل كلام آخر منسوب لله سبحانه أو لأي إنسان وبأي لسان .

٢ — ومن خصائص القرآن الكريم كونه متعبدا بتلاوته ، فقراءة ما تيسر

المشهور بين علماء اللغة : ان لفظ القرآن — في الأصل — مصدر مشتق من قرأ . يقال : قرأ قراءة وقرأنا ، ومنه قوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآنه فاتبع قرآنه » (١) — أي قراءته .

ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علما شخصيا (٢) على الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

وعلماء الشريعة يعرفون القرآن ، بأنه كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ، والمنقول إلينا بالتواتر .

وبعضهم يزيد على هذا التعريف قيودا أخرى مثل : المعجز ، أو المتحدى بإقصر سورة منه ، أو المتعبد بتلاوته ، أو المكتسب بين دفتي المصحف ، أو المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس .

والواقع ان التعريف الذي ذكرناه آنفا تعريف جامع مانع ، لا يحتاج الى زيادة قيد آخر ، وكل من زاد عليه قيда أو قيودا مما ذكرناه ، لا يقصد بذلك إلا زيادة الإيضاح بذكر بعض خصائص القرآن التي يتميز بها عما عداه .



منه ركن من أركان الصلاة لا تتم بدونه وأيا صلاة وقعت خالية من القراءة مع القدرة عليها فهي باطلة ، وقراءة القرآن خارج الصلاة عبادة أيضا ، ولم نعرف مثل هذه الخصوصية ثابتة لشيء آخر من الكتب السماوية أو غيرها .

وعلى هذا فالحديث القدسي ليس قرآنا على الصحيح من كونه منزلا من عند الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه ، وذلك لأنه فقد عنصرين من عناصر القرآنية وهما : الإعجاز والتعبد بتلاوته ، كما فقد عنصرا آخر يأتي بعد ، وهو التواتر .

ولو ادعى مدع ثبوت بعض الأحاديث القدسية بالتواتر — وما أظن ذلك — فأنها لا تكون قرآنا أيضا لفقدها العنصرين السابقين معا ، مع أن فقد واحد منهما كاف في تخلف وصف القرآنية عنها .

٣ — ومن صفات القرآن التي لا تنفك عنه ، كونه عربيا ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة ناطقة بأنه نزل من عند الله كذلك :

« وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » (٣) .

« وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها » (٤) .

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » (٥) .

« نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » (٦) وعلى هذا فأى خروج بالقرآن الكريم عن لفظه العربى المنزل من عند الله يزيل عنه حقيقة القرآنية .

وإذا فُتسِر القرآن الكريم ، وترجمته الى غير العربية — مهما روعى فيها المحافظة على معانيه ومراميها — لا يعدان قرآنا ، ولا يكون لأى منهما ما للقرآن من حرمة وقداسة (٧) ، ولا ما فيه من خاصية

التعبد به وروعة الإعجاز ، لأنه خرج بذلك عن كونه كلام الله الى كونه كلام البشر ، والبشر يخطئ ويصيب ومحال أن تقوم عبارة انسان — عربية كانت أم غير عربية — مقام عبارة الله تعالى في جودة معانيها ، ودقة مراميها ، وخصائص أسلوبها ، وبراعة نظمها ، وسر فصاحتها ، وروعة بيانها .

وهنا نستطرد الى مسألتين لهما تعلق بهذا الموضوع :

**المسألة الأولى :** هل معنى أن القرآن عربى أنه لا يحتوى على شيء من لغات غير عربية ؟ والجواب عن هذا : أن القرآن الكريم ليس فيه — قطعا — جملة مركبة بلسان غير عربى . إنما يوجد فيه — باتفاق — أسماء غير عربية هي أعلام على أشخاص بأعيانهم ، كإبراهيم ، وأسحق ، ويعقوب ، وإسرائيل ، وموسى ، وعيسى .. ووجودها في القرآن لا يخرج به عن كونه عربيا ، لأن الأسماء التي وضعت أعلاما لأشخاص تبقى كما هي ولا يتصرف فيها عند نقلها الى لغات غير لغاتها الأصلية ، والا لكان معنى ذلك : إزالة الاسم عن مسماه وإطلاق اسم آخر عليه لا يعرف به ولا يعينه .

وفي القرآن الكريم أسماء ليست أعلاما لأشخاص مثل : استبرق ، وقسطاس ، وسجيل ، ومشكاة .. وغيرها .

وقد اختلف العلماء في أصل هذه الأسماء :

فمنهم من قال : إن هذه الكلمات مما اتفقت فيه اللغات ، فهي موجودة في اللغة العربية ، وموجودة في غيرها ولا يخرج بالقرآن عن كونه عربيا أن تكون بعض كلماته موجودة في لغة أخرى ، لأن اتفاق بعض اللغات في استعمال لفظ ما للدلالة على معنى معين لا يخرجها عن كونه أصيلا في كل منها ، وإنها يخرجها فقط عن نطاق

الاختصاص والانتساب الى لفظة بعينها .

ومن العلماء من قال : إن هذه الالفاظ أعجمية الأصل ولا زالت أعجمية ، ووجودها في القرآن لا يخرجها عن كونه عربيا ، لأنها قليلة جدا ، واقتباسها وإدماجها في هذه الكتلة الساحقة من الكلمات العربية التي احتواها القرآن مما يجعلها تميم وتلاشي حتى لا تكاد تحس منها نبوة العجبة .

وذهب فريق ثالث من العلماء الى أن هذه الالفاظ أعجمية الأصل ، ولكنها — تبعا لنظرية تداخل اللغات في فقه الله — استعملت من قديم وقبل نزول القرآن الكريم في اللسان العربي ، ولانت بها السنة العرب حتى أصبحت عربية بالاستعمال ، ولا يخرج القرآن عن كونه عربيا باحتوائه على بعض هذه الالفاظ المعربة ، وهذا الرأي الأخير هو أشهر الأقوال الثلاثة وأرجحها .

**المسألة الثانية :** نقل عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، أنه يرى جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة ، وزعم زاعم — بناء على ذلك — أن أبا حنيفة يرى أن القرآن اسم للمعنى فقط ، وهذا يناقض ما قلناه من أن القرآن اسم للفظ والمعنى معا .

وتوضيح المسألة : أن ما نقل عن أبي حنيفة — مخالفاً به سائر الفقهاء حتى أصحابه — من جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة ، محمول على أن الصلاة مناجاة لله تعالى ، وما يقوله المصلي من معاني القرآن باللسان الأعجمي في صلاته لا يقوله على أنه قرآن ، وإنما يقوله على أنه مناجاة لله عز وجل ، والمناجاة بأى لسان جائزة باتفاق .

ولكن بعض الفقهاء من أتباع أبي حنيفة رضي الله عنه يرى — والحق معه — أن هذا التوجيه لما نقل عن أبي حنيفة من جواز القراءة بالفارسية

في الصلاة غير مستقيم ولا مقبول ويقرر أن أبا حنيفة رجع عن قوله هذا إلى القول بعدم الجواز ( ٨ ) .

٤ — ومن صفات القرآن التي لا تنفك عنه كونه متواترا : أي رواه جمع كثير عن جمع كثير يحيل العقل اتفاقهم على الكذب من لدن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن وصل إلينا ، وروايته على هذا النحو تفيد اليقين بقرآنيته . وعلى هذا فما روى بطريق الأحاد وهو ما لم يبلغ حد التواتر ، بأن رواه واحد ، أو رواه جماعة لا يحيل العقل اتفاقهم على الكذب — على أنه من القرآن لا يعتبر قرآنا ، لأن رواية الأحاد تفيد الظن ولا تفيد اليقين والقرآن لا يثبت بالظن أبدا .

وإذا ، فما يروى بطريق الأحاد عن ابن مسعود أو ابن عباس أو غيرها من الصحابة من بعض الفاظ على أنها من القرآن : كقراءة أبي وابن مسعود في كفارة اليمين ... « . فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات » ( ٩ ) بزيادة لفظ متتابعات . وقراءة ابن مسعود في آية الإيلاء : « فان قاعوا فيهن فان الله غفور رحيم » ( ١٠ ) . بزيادة لفظ ( فيهن ) .

وقراءة ابن عباس آية الحج « ليس عليكم جناح أن تنكحوا فصولا من ربكم في مواسم الحج » ( ١١ ) بزيادة جملة ( في مواسم الحج ) . وقراءة سعد بن أبي وقاص في آية الكلاله : « وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس » ( ١٢ ) بزيادة جملة ( من أم ) .

.. ما يروى من ذلك ليس قرآنا لفقده عنصر التواتر الذي لا بد منه في تحقق القرآنية وثبوتها ، وتسمية بعض المتأخرين من العلماء له قرآنا تساهل منهم لا أراه مقبولا ولا سائما في مثل هذا المقام الذي يتحتم فيه الدقة وعدم التسامح في التعبير .

والظن بالعلماء الذين تسامحوا  
فمعبروا عن هذه الكلمات بالقرآنية ،  
أنهم لا يقصدون أنها قراءات مروية  
عمن تنسب إليه من الصحابة ، وإنما  
قصدتهم ، أنها تفسيرات لهم .  
أو لعل بعض الصحابة كانوا  
يفسرون القرآن ويرون جواز اثبات  
التفسير بجانب القرآن على هامش  
مصحفهم التي كانوا يكتبونها لأنفسهم  
فظننها بعض الناس — لتطاول الزمن  
عليها — من أوجسه القراءات التي  
صحت عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ورواها عنه هؤلاء الأصحاب .  
ومهما يكن من شيء يقال في  
توجيه تسميتها قرآنا ، فهي ليست من  
القرآن في شيء ، ومن يحتج بها من  
الفقهاء لا يحتج بها على أنها قرآن  
وإنما يحتج بها على أنها من قبيل  
أخبار الآحاد التي تروى عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبار  
الآحاد مما يجب العمل به وتقوم به  
الحجة إلا في باب العقيدة .  
هـ — ومن صفات القرآن اللازمة  
له : كونه منزلا على محمد صلى الله  
عليه وسلم ، ومعنى هذا : أن ما أنزل  
على غيره من الأنبياء لا يكون قرآنا  
حتى ولو حكاه القرآن ، على معنى أن  
ما جاء في التوراة — مثلا — من  
قصص أو أحكام ثم جاء  
القرآن بعد يحكيها ، لا تكون قرآنا  
حين نزلت على موسى ، ولا حين  
دونت في ألواح التوراة ، أما ما  
حكاه القرآن من ذلك بعد فهو قرآن  
من عند الله تعالى ، نزل به جبريل  
على قلب النبي محمد صلى الله عليه  
وسلم . ولا يخرج عن القرآنية أن  
يكون مضمونه موجودا في التوراة  
من قبل .

ونزيد ذلك أيضا فنقول :  
إن القصة لها مضمون تناولته  
التوراة ، وتناوله القرآن ، والذي  
حكى القصة في المومنين هو الله

سبحانه .. حكاها في التوراة  
بأسلوب خاص ، وأنزلها على موسى  
عليه السلام بلسان قومه فكانت من  
التوراة ، وحكاها في القرآن بأسلوب  
خاص وأنزلها على محمد صلى الله  
عليه وسلم بلسان قومه ، فكانت من  
القرآن .

والآيات القرآنية التي تضمنت  
أحكاما كانت شرعا لغيرنا وكانت  
مدونة بلغتهم في كتبهم المنزلة كتوله  
تعالى : « وكتبنا عليهم فيها (١٣) أن  
النفوس بالنفس والمعين بالمعين والأنف  
بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن  
والجروح قصاص » (١٤) . لا تخرج  
بذلك عن كونها قرآنا ، لأن الآيات  
التي من هذا القبيل نزلت على قلب  
النبي محمد صلى الله عليه وسلم  
بلسان عربي ، ولا يقدح في قرآنيته  
كونها حكاية لما في التوراة أو غيرها  
من الكتب .

أما الأحكام التي تضمنتها هذه  
الآيات فالقول الفصل فيها ما يلي :  
١ — إن اقترنت بما يفيد نسخها  
بالنسبة لنا فلا تكون شرعا لنا .

٢ — وإن اقترنت بما يفيد بقاء  
العمل بها في حقنا فهي شرع لنا ،  
ولا نكون في هذا متبعين لشرعية  
غيرنا ، بل نكون متبعين لشرعنا  
التي جاء بها نبينا عليه الصلاة  
والسلام .

٣ — أما إن تجردت عن القرينة  
الدالة على شرعيتها أو عدم شرعيتها  
في حقنا ، فهذه محل خلاف بين  
الفقهاء : ففريق يقول : هي شرع  
لنا .

وفريق آخر يقول : ليست شرعا  
لنا .

ولكل من الفريقين دليله الذي  
يستند إليه في توجيه مذهبه وتصويبه  
.. وفي كتب أصول الفقه كما يفنى  
طالب المزيد من المعرفة .

## الفرض من انزال القرآن الكريم

تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشـد ، من قال به صدق ، ومن عمل به اجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم « (١٦) .

صدق الله ورسوله : فلا عز الا والقرآن سبيل إليه ، ولا خير الا وفي آياته دليل عليه . ولقد عرف سلفنا الصالح هذا كله فتمسكوا بالقرآن فعزوا وسادوا ، ثم خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ، ويقولون : سيغفر لنا رضوا بأن يكونوا من الخوالف فطبع على قلوبهم ، وإذا قهقهوا لله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . وصدق الله العظيم : « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » (١٧) .

### ( للبحث بقية )

اما تفسير القرآن وترجمته فحائز مسهما وقراءتهما للحدث حدثا اصغر أو أكبر ، لزوال حقيقة القرآنية عنهما .

(٨) انظر الاسلام عقيدة وشريعة ص ٤٨٢

— ٤٨٤ —

(٩) اصل الآية فى سورة المائدة رقم ٨٩ .

(١٠) اصل الآية فى سورة البقرة رقم ٢٢٦ .

(١١) اصل الآية فى سورة البقرة رقم ١٩٨ .

(١٢) اصل الآية فى سورة النساء رقم ١٢ .

(١٣) أى فرضنا على اليهود فى التوراة

هذا الحكم وهو القصاص .

(١٤) فى الآية ٥ من سورة المائدة .

(١٥) فى الآية ٩ من سورة الاسراء .

(١٦) رواه الترمذى فى كتاب السنن د ٢

— ص ١٤٩ — ط : الأميرية .

(١٧) الآيات ١٢٤ — ١٢٦ من سورة طه .

والفرض من انزال القرآن الكريم امران :

**الامر الأول :** أن يكون معجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، تشهد بصدق دعوته وحقية رسالته .

**الامر الثانى :** أن يكون دستورا للأمة الاسلامية تستمد منه الهداية والرشاد ، وتستلهم منه الصواب والسداد ، وتقتبس من نور تشريعه ما يأخذ بيدها الى عز الدنيا وسعادة الآخرة .

وصدق الله العظيم اذ يقول : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم » (١٥) .

وصدق الرسول الكريم حين يصف القرآن فيقول :

« فيه نبأ ما قبلكم ، وخير ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الالسنه ، ولا

(١) الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة القيامة

— وهناك آراء أخرى فى اصل الكلمة

واشتقاقها . راجع الاتقان للسيوطى ، ومناهل

العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى .

(٢) يرى بعض العلماء أنه علم جنس

يصدق على القرآن كله وعلى أبعاضه . وكونه

علما شخصا هو الراجح — انظر مناهل

العرفان .

(٣) فى الآية ٤ من سورة ابراهيم .

(٤) فى الآية ٧ من سورة الشورى .

(٥) فى الآية ٣ من سورة فصلت .

(٦) الآيات ١٩٢ — ١٩٥ من سورة

الشعراء .

(٧) ولحرمة القرآن وقداسته لا يجوز لغير

المفوض مس المصحف كما لا يجوز للجانب

ولا للحائض مس المصحف ولا قراءة القرآن



# حديث الفجار



للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فاووا الى غار فانطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انه والله يا هؤلاء لا ينجىكم إلا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم : اللهم ان كنت تعلم انه كان لى أجير عمل لى على فرق من أرز فذهب وتركه وانى عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من امره انى اشتريت منه بقرا ، وأنه أتانى بطلب أجره : فقلت : اعمد الى تلك البقر فسقها ، فقال لى : انما لى عندك فرق من أرز ، فقلت له : اعمد الى تلك البقر فاتها من ذلك الفرق فساقها ، فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت عنهم الصخرة . فقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم انه كان لى أبوان شيخان كبيران فكننت آتيهما كل ليلة بلين غنم لى ، فابطأت عليهما ليلة فجننت وقد رقدا ، وأهلى وعيالى يتضاغون من الجوع ، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى ، فكرهت ان أوقفهما وكرهت ان ادعهما فيسكتنا لشربتهما ، فلم أزل انتظر حتى طلع الفجر ، فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء . فقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم انه كان لى ابنة عم من أحب الناس الى وانى راودتها عن نفسها فابت إلا ان آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فاتيتها بها فدفعتها اليها ، فامكنتنى من نفسها ، فلما قمعت بين رجليها ، قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، نفقت وتركيت المائة دينار ، فان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، ففرج الله عنهم فخرجوا » .

( رواه البخارى وغيره )

بين يدى البحث :

( ١ ) منذ زمن طال ، والمهتمون بالدراسات القرآنية ، والآثار النبوية ، يرددون : أن التفاسير والشروح التى عالجت ذلك التراث الشريف — وأهمها

تجليته للأجيال المتعاقبة من مثقفي هذا الوجود طالبي المعرفة العالية ، الراغبين في السمو الفكري — كثيرا ما تنطوى على الاسرائيليات المقبولة حيناً والمجوجة أحيانا ، والتي ترد في أمهات كتب ذلك التراث الصادرة عن من لا يرمى لهم عن قوس ، ولا يدرك لهم شأو ، ولا يبلغ مدى معارفهم ، فهم من فاض غريبهم بعلوم اللسان ، وطال باعهم في ميدان المعقولات ، فقد كانوا قممها ولا يزالون — في آثارهم الخالدة — المجلين في حليتها ، فهم ولا شك يعرفون الجيد ويميزون الرديء ، على دربهم يسار ، وبهم يقتدى ، وهذا ما حمل على التساؤل : كيف وقع أولئك الفحول في أحبولة الاسرائيليات ، مع سمو معارفهم ودقة ادراكهم لمقاصد الكتاب الكريم والسنة الشريفة ..؟! حملنى ذلك على أن أقدم لدراسة هذا الحديث الشريف بفذلكه يسيرة ، قد تزيل بعض الحيرة ، وتجيب على شيء من جوانب هذا التساؤل ، خاصة وأن الكلم الطيب موضوع البحث متصل بقصة حدثت وقائعها في بنى اسرائيل ، وأن كانت رواية البخارى لم تشر الى ذلك ، فقد ذكر صراحة في رواية الطبرانى : عن عقبه بن عامر .. أن ثلاثة نفر من بنى اسرائيل .. الخ .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأخذ عن بنى اسرائيل والنظر في كتبهم أولا .. ثم حصل التوسع في ذلك ، فكان النهى قد وقع قبل استقرار الأحكام الاسلامية ورسوخ القواعد الدينية خشية الفتنة ، والانحراف عن الخط الاسلامى البين ، والاغترار بما دونه الاحبار في كتبهم خارجا عن نطاق التوراة ، وما سجلوه بعيدا عن رباط السماء والوحى الالهى ، ثم لما زال المحذور واطمأنت الأصول الاسلامية في نفوس المؤمنين ، وركنوا اليها ، ولم يعد لغيرها سبيل لمنافستها ، أو الاختلاط بها ، أو التقليل من شأنها .. عندئذ وقع الإذن بالاطلاع على أخبار أهل الكتاب ، وأبيحت قراءة ما سطوروا ومعرفة ما دونوا ، وخاصة الأخبار التي احتوت ما يفيد المسلمين من الاعتبار بتلك الأحوال ، والاعتداء بحسنها والتجافى عن سيئها ، فقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى وغيره من الثقافة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . وقال شراح الحديث الشريف : معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « ولا حرج » ولا تضيقوا صدوركم بما تسمعون منهم من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيرا ، وقال الإمام مالك رضى الله عنه : المراد « جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن أما ما علم كذبه فلا » وقيل : حدثوا عنهم بمثل ما روى القرآن والحديث الصحيح .

وقال الشافعى رضى الله عنه : من المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحديث بالكذب ، فالمعنى : حدثوا عن بنى اسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم فى التحديث به عنهم ، وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » ويبدو — والله أعلم — أن السابقين لما سمعوا ما أثبت صحته البخارى ، وما رواه أبو داود باسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » ترخصوا في رواية الاسرائيليات كيفما كانت ما دامت لا تصادم أصلا من أصول الدين ، ذهابا منهم الى أن المقصود بها الاعتبار بالوقائع التي أحدثها الله تعالى لن سلف لينهجوا منهمج من أطاع منهم فائضى الله عليهم وفازوا برضوانه ، ويتنبهوا

مسالك من غصوا وتمادوا في البعد عن أوامر الله تعالى فحققت عليهم كلمة العذاب ، فلعل هذا هو ملحظ المفسرين والشرح الذين أوردوا الاسرائيليات في تفاسيرهم وهي غالبا ما ترد للاستشهاد لا للتأسيس ، ولكن مما يثير الأسف أن البعض بالغ في ايراد الاسرائيليات فكان حاطب ليل خلط عملا صالحا وآخر سيئا وجاء بمرويات لا يستسيغها العقل ولا يقبلها دارس مهما تدنت معرفته ومهما هبطت مداركه ما دام يعرف ولو شيئا يسيرا عن الاسلام وواقعته التي لا تقبل الجدل بل وتنفي الخرافة وتعيب حاكيا ، ومما يخفف وقع تلك الخرافات أنها لا تتصل بشيء من العقيدة ، وإنما هي قصص يمجج الذوق ويرده أدنى نظر ، فمن غير الوارد عقلا ، وليس مندرجا تحت ميزان الفكر أن الأرض تستند الى قرن ثور ، والثور يقف على ظهر حوت ، والحوت يسبح في بحر ، وان الهزات الارضية ، تنشأ عن تحركات الثور حين يعبى بحمله فينقل الأرض من أحد قرونها الى الآخر .. !!

ولهذا يقول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : « اذا روينا الأحكام شددنا واذا روينا في الفضائل تساهلنا » ، وما وراء ذلك نفيه عن وادينا ولا ندعه يجد مجالا في دراستنا » . وقال بعض تلامذته : وبالأحرى في القصص الغير بين الكذب أو الشديد المبالغة .. وعقب على كل ذلك الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره المسمى : ( تفسير القرآن العظيم ) بما نورهده هنا اكمالا للفائدة ، وتعميما للمعرفة الحققة ، قال الحافظ ابن كثير : « الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد للاعتقاد ، وهي على ثلاثة أقسام : **أولها** : ما علمنا صحته مما في أيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح . **والثاني** : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه . **والثالث** : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجاوز حكايته لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر ديني . ومن أمثلة حديثهم أى الاسرائيليين عن أسماء أهل الكهف ، ولون كلبهم ، وعصا موسى من أى الشجر كانت ، وأسماء الطيور التي أحياها الله لابراهيم عليه السلام وتعيين البعض الذي ضرب به القتل من أجزاء البقرة ، وغير ذلك مما أبهه الله تبارك وتعالى في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا في دنياهم ، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم » قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ، فلا تمارى فيهم إلا مرأ ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا » ، فقد اشتملت الآية السكريمة على الأدب في هذا المقام ، وتعليم ما ينبغى في مثل هذا ، فانه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوال ، ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث فدل على صحته ، اذ لو كان باطلا لرد كما رذها ، ثم أرشد سبحانه وتعالى الى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فقال في مثل هذا « قل ربى أعلم بعدتهم » فانه ما يعلم ذلك إلا القليل من الناس ممن أطلعهم الله عليه فلماذا قال : « فلا تمارى فيهم إلا مرأ ظاهرا » أى لا تجهد نفسك فيما لا فائدة ترتجى من معرفته ولا تسألهم عن ذلك ، فانهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب .. والله تعالى أعلم » .

وهكذا نجد عذرا واضحا للمفسرين والشرح في ايراد الاسرائيليات ، وان كان البعض قد بالغ في الاستطراد ، فأتى بما فيه نظر من أقوالهم ، ومن

اكثروا فى هذا المقام ( الخازن ) بمقد قال فى شأنه الشيخ الزرقانى رحمه الله :  
« .. وله ولوع بالتوسع فى الروايات والقصص ومن مزاياه أنه يتبع القصة  
ببيان ما فيها من باطل حتى لا ينخدع بها غر ولا يفتتن جاهل » وهذه ولا شك  
شئشنة المحققين من الدارسين الباحثين .. رحمهم الله جميعا .

ب : كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخول أصحابه  
بالموعظة ، ويتعهدهم بالنصح والتوجيه لكل ما من شأنه أن يثبت عقيدتهم ويزيد  
إيمانهم ، ويؤلف بينهم ويجمعهم معتصمين بحبل الله باذلين الروح والمال فى  
سبيل الله وما يعلى من شأن دينهم الذى هو سبيل الحياة الحرة الكريمة فى  
الدنيا وطريق السعادة الأبدية ونيل الدرجات العلا فى الآخرة ، ولما كان للقصص  
أثره فى جذب الانتباه ، والحمل على التأسي بأبطال القصة ، ومحاولة التشبه  
بهم عمل صالحا فنال خير ما عند الله ، ومجانبة فعال من تنكب الطريق السوى  
فضل وغوى ، من أجل هذا كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا  
ما يورد الحديث عن أحوال الأمم الماضية كما علمه ربه ، ومن أجل ذلك أيضا  
وغيره مما تعود جدواه على السامعين جاء القصص بالقرآن الكريم « وكلا نقص  
عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

كما أن تحديته صلى الله عليه وسلم عن مضوا ، ولم يواكبهم ، ولم يطلع  
على أحوالهم ، فيه دلالة قاطعة على أن ذلك مما علمه الله تعالى : « تلك من  
أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » الآية .. وكما  
قال جل شأنه لنبيه بعد إيراد قصة مريم وما كان من أمرها قبل ولادة عيسى  
عليه السلام : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون  
أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون » .. وقد كان الحديث  
الشريف موضع الدراسة من هذا القبيل ، قبيل التحديث عن الأمم السابقة ،  
وهو ثمرة مجلس من مجالس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى  
تصدرها معلما وهاديا ومرشدا ونذيرا ..

وبعد ،

فقد ورد هذا الكلم الطيب فى صحيح الإمام البخارى تحت عنوان ( حديث  
الغار ) يروى أخبار ثلاثة نفر من بنى إسرائيل لجأوا الى غار فى جبل فرارا من  
الامطار والآنواء ، فسدت عليهم بابهم صخرة تدرجت بفعل السيول الجارفة من  
عل ، ولم يستطيعوا لها دفعا ولم يكن لهم سبيل للخروج من هذا المأزق الا أن  
تداركهم رحمة الله القوى القادر أو يهلكوا قالهمهم الله أن يتذكروا فيما بينهم  
ما ينفع فى موقفهم هذا عسى الكرب الذى أمسسوا فيه يكون من ورائه فرج  
قريب ، والمؤمن يفرع الى جناب ربه كلما ألت به نازلة لا يقوى على دفعها ومن  
ذا الذى يجيب المضطر اذا دعاه إلا رب العالمين : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه  
ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض الله مع الله قليلا ما تذكرون » وهكذا  
تداعى الثلاثة نفر يتقرب كل منهم بأفضل ما عمل مما يدينهم من رحمة الله  
ويمنحهم لطفه وعونه ، ورحمة الله دائما قريب من المحسنين ، وصدق العلى  
الكبير : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل  
على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا » . وقد كان  
هؤلاء الثلاثة من المؤمنين الذين يراقبون الله فى السر والعلن ، ويعبدونه كأنهم  
يرونه رأى العين ، وهذا مقام الاحسان الذى لا يصل اليه الا عباد الله  
المخلصين ، ويبدو هذا واضحا فى قولهم بقلوب خاشعة : « انه والله يا هؤلاء



لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه صدق فيه « أى ما عمله خالصا لوجه الله تعالى لم يرج له جزاء عاجلا فى الدنيا ، ولم يسمع ( بضم أوله ) وتشديد الميم المكسورة ) به لينال الزلفى عند الناس ، وهذا — ولا شك — افضل العمل واكثره تحضاً لله تعالى . .

**أما أولهم :** فقد استأجر جماعة يعملون له عملا كل واحد منهم بأجر معلوم ، ولامر بما لم يتسلم أحدهم أجره ، حين حصل نظراؤه على أجورهم ، وما كان على صاحب العمل الا أن يحفظ له حقه المقدر بينهما ، حتى اذا عاد يوما اعطاه اياه ، ولا يلزمه أن يزيد شيئا ، الا أن الرجل غلبته تقواه ، فبنى المال بالطريقة التى ارتآها حتى صار شيئا عظيما أدعش الاجير حين عاد يطلب حقه ولا زيادة لأن ما فعله صاحبه مما لم يعهد القيام بمثله ، وقصارى ما كان يرجوه أن لا يماطله أو ينكر حقه ، وهكذا تبدو آثار تقوى الله وخشيته فتأتى بالعجب العجائب الذى يفوق ما تعارف عليه الناس ، ويمضى شوطا بعيدا فى الكمال الذى تواطأوا عليه فى أعرافهم ومعاملاتهم ، ولصدور ذلك تحت مراقبة الله وحده وطاعة نقية من شوائب الرياء ، كان جزاؤه عون الله تعالى قيوم السموات والارض لفاعله فى ساعة العسرة ، فانزاحت الصخرة عن مدخل الفار قليلا وبدأ الهواء الرطب النقى يلج الى صدور المؤمنين فينعشها ويبعث الأمل قويا — فى لطف الله بهم — الى نفوسهم فى ساعة حالكة السواد تحت وطأة خطب جسيم وداهية دهياء ، انقطع فيها هؤلاء الثلاثة عن الباغم والناطق ، وهم موقنون أن لا ملجأ من الله الا اليه .

**وأما الثانى :** فقد أكرم والديه الفانيين العاجزين عن العمل والحركة التى تحصل القوت ، وهذا واجبه الشرعى ، ولكنه تجاوز أصول الواجب الى أبعد من المطلوب فيه ، فقد كان عليه فى أفضل حالاته أن يترك شيئا من اللبن الى جوارهما يشربانه حتى استيقظا ، ويعوج بالباقي على أهله وصفاره الذين يتضاغون جوعا ويتحرقون شوقا الى ما يمسك ذمءهم ويبقى على نشاطهم ، ولكن الايمان بالله وبحقوق الوالدين ، والعزوف عن العواطف النفسية المتمثل فى اطعام الصغار الى انتظار جزاء من الله أكبر ورضوان منه أعظم ، فقد أنساه حب الخير لوالديه واخلصه لربه حالة ابنائه ، فلذات كبده ، وتكلف الانتظار ليلة كاملة حتى مطلع الفجر ليطعم الوالدان ولو نأى الرقاد عن الرضخ وأمهما ، وهذا عمل لا يستطيعه الا القلة النادرة من الاتقياء الذين أسلموا وجوههم الى الله وهم محسنون فاستمسكوا بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وكان من عاقبة أمر هذا المؤمن أن قبل الله ما قدم ، فانفجرت الصخرة حتى رأى هو وصحبه نجوم السماء فازدادوا ايمانا بمكوبها والحاحا فى طلب توفيقه لهم الى طريق الخلاص ، وما ذلك على الله بعزيز .

**ويجىء دور الثالث :** وما أدراك ما دوره ، انه دور فذ فى عالم العراك بين الغرائز والشهوات من جانب ، والتقوى من جانب آخر ، تندحر فيه الأمانة بالسوء أمام جلال الايمان وتتلأشى فى لهيب النفس المطمئنة كما يسيل الجليد قطرات فى وهج ذكاء ، فقد انتصر هذا الرجل على الحيوانية الكامنة فى هيولاه ، وأزاحها من طريقه ، فالزم نفسه هداها ، وقهر قرين السوء شيطانه ورده خاسئا رجيبا ، هذا ، مع أن المرأة قد شغفته حبا ، وحمله ولله على جمع المال مع عزته ليصل به الى ما يريده منها ، أما وقد تهيسا له كل شيء حين نزلت بالمرأة سنة أتت على أخضرها ويابسها ، ونبذتها وفلذات كبدها بالمرء وهى سقيمة ، وتركتها فريسة سهلة ولقمة سائغة لذئاب البشر — كما ورد فى رواية أخرى — وقد كانت هذه المرأة على جانب من خوف الله تعالى ، وعلى

صلة وثيقة تربط قلبها بقيوم السموات والارض ، فقد قالت لطالبها المفتون بالغانية الهيفاء ، وقد جلس منها مجلس العهر والمجون تحت سطوة الجوع وقهر الحرمان مما يقيم الأود ويبقى على الحياة ، حياتها وحياة صغارها : « أذكرك الله أن ترتكب منى ما حرم الله عليك . » وهنا يستيقظ الاحساس الكريم فى ذلك الانسان فيجيبها : « أنا أحق من يخاف ربي » . وفى رواية : أنها بكت فقال : ما يبكيك ؟ فأجابت : أقدمنى على السوء حاجتى الى الطعام . فقال لها : لا عليك انطلقى بما معك ، وفى الثالثة : أنه هو قال : تذكرت النار فقمتم من مجلسها . وتلك صور تبرز نور نفس من يخشى الله واليوم الآخر ، فأين هذا — يا قوم — من شيطان يعتدى على الأطفال والقاصرات أرضاء لنزوة حيوانية عابرة ، ذلك لعمر الحق هو الفجور الكالح البعيد عن كل دين ، المجافى لكل المروءات المعادى للانسانية الفاضلة وما هو الا عمية وضلال ونزق لا علاج له الا إقامة حدود الله ، وأما صاحب القصة فقد ترك اليسور من الفجور الذى دان له وأصبح فى استطاعته معاقرة دون عزول ، مع الحاح الحيوانية ، وطيب المرعى ، وفتنة الجمال ، وقتل العيون النجل والفصن الرطيب ، وليس ذلك وحسب ، وإنما أهداها ما أعطاها من المال حسبة لوجه الله تعالى ، منتظرا الجزاء الاوفى هناك ، فى رحاب العلى الكبير ، يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئا والامر يومئذ لله الواحد القهار سبحانه ربي مالك يوم الدين ، واستحق هذا المؤمن عون الله تعالى ، فبعدت الصخرة بقدرة الله وحده عن مدخل الفار ، وهنا تنفس القوم الصعداء ، وعادوا للحياة بعد أن كادوا يفقدون الأمل فى الحياة ، لولا عون الله وفضله سبحانه ربي أنه على كل شيء قدير . . .

#### والخلاصة :

أن الاعتبارات التى يجب أن يقف عندها دارس هذا الحديث الشريف :  
 ١ — ظهور ثمرة الطاعة ، ووضوح فائدة اخلاص العمل لوجه الله تعالى ، وبيان نتيجة التفانى فى ارضائه سبحانه ووجوب التقرب اليه بكل عمل صالح ممكن ، وأن هذه الاستجابة الالهية لعباده الضارعين الى جنبه باخلاص تحمل على المسارعة فى الخيرات ، وفى حديث قدسى ورد ما خلاصته : . . وما يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ومعنى هذا اجابة الداعى لحظة دعائه ، وقبول رجائه فور رجائه .

٢ — طلب الدعاء اذا ادلهمت الخطوب ، وعصفت الكروب ، ومما يؤخذ بعين الاعتبار ، التقرب الى الله تعالى بذكر ما قدم المؤمن من صالح الاعمال ، واستنجاز الله سبحانه وعده الذى تشير اليه الآية الكريمة : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم » وقوله جل وعلا : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان » الآية .

٣ — ابراز ما حكاه الذين تناولوا الحديث الشريف بالشرح والتفسير من قول بعضهم :

« . . ظهر لى أن الضرورة تلجئ الى تعجيل جزاء بعض الاعمال فى الدنيا ، وأن ما ورد فى الحديث الشريف يدل على أن الثلاثة نفر أبطال القصة لم يروا لاعمالهم قيمة فى جانب نعم الله تعالى عليهم ، ولهذا فوضوا امرهم اليه سبحانه حين قال كل منهم : « اللهم ان كنت تعلم انى فعلت ذلك من خشيتك » . الخ . فهو يرشد الى أنهم لم يعتقدوا فى أعمالهم التمحض لوجه الله تعالى ، بل فوضوا يقين ذلك الى الله تعالى وحده ، وهذا منتهى التسليم

والالتجاء الى قيوم السموات والارض » . ثم انظر وتأمل أدب هؤلاء الثلاثة مع الله تعالى ، حيث قالوا : ادعوا الله بصالح أعمالكم فى أول الامر ، ليتذكروا خير ما عملوا مما اصطاح عليه المؤمنون ، وما يبدو أنه امتثال لمراد الله تعالى ، ولما بدأوا فى الدعاء لم يقولوا ندعوك بما عملنا ، وانما قالوا : ان كنت يا مولانا تعلم أنه عمل ابتغاء مرضاتك ..

٤ - اذا قيل : هل فى أعمال هؤلاء الثلاثة تفاضل ؟! كان الجواب : ان مكرم والديه والبار بهما اقتصر عمله على نفعه هو ، وان امتد فليس بعيدا عنه اذ هما أبواه وبرهما مفروض عليه بالأصلين الشريفين والتقصير فى حقهما مدعاة اللوم الاجتماعى فضلا عن العقوبة الالهية ، والمبالغة فى اكرامهما واجب ودين يؤديه لبيتقاضاه ، وصاحب الاجير : تعدى بزه نفسه الى غيره وأبرز خللا لو تمت فى مجتمع الأسعدته وكانت عامل ازدهار له ونمو ، ومن تلك خلال الأمانة ووضعه غيره موضع نفسه بتنمية مال الاجير وقد يكون فى هذا الفعل شبهة الرياء ومنافقة المجتمع ..

وأما ثالثهم : فقد زاد فضله ، وكان عمله أدل على التجرد من هوى النفس الامارة بالسوء وقهر الغريزة الجامحة مع تهبط فرصة الواقعة ، فى موقف كثيرا ما يتوارى فيه العقل نهائيا وتكفهر سماء الحياء والمروءة تحت الحاح القوة الحيوانية المستعرة فى كيان الرجل ، فلولا أن خشية الله حين ذكر « بالبناء للمجهول مع تشديد الكاف » أو حين تذكر قشعت كل شُـمُور مادی وأحلت الرهبة من جلال الله وسلطانه ، لما ارعوى ولما كبح جماحه ، ولدقة الموقف فى مثل تلك الحالة التى يخلو فيها الانسان من رقيب ، وردت بعض الآيات الكريمة شاهدة لمن كان هذا حاله بأنه جدير بدخول الجنة قال تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » . قال السكلى : « نزلت فى من هم بمعصية وقدر عليها فى خلوة ثم تركها من خوف الله » . ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما : « يعنى من خاف عند المعصية مقامه بين يدى الله فانتهى عنها » ناهيك بأن هذا الرجل ترك المال أيضا فى سنة عجزاء . ولابنة عمه أسرته ومالكة لبه ، فلكل هذا يبدو واضحا أن عمل صاحب المرأة كان أكثر نفعاً وأجدى على المجتمع الذى يضمه ويحتويه - والله أعلم - ولكل عند الله ثواب ، لا ينقص من ثواب الآخرين شيئا .

٥ - ونقول أخيرا : هذا الحديث الشريف يلزم بطاعة الله وإخلاص الاعمال له وحده ، ولئن طلب هذا إسلاميا وعقليا فى كل زمان ومكان فما أوجبنا اليه فى ظروفنا الراهنة التى تكالبت فيها الأمم على المسلمين ، وغلقت عليهم المنافذ فكانهم محصورون فى غار النفر الثلاثة لا يجدون مخرجا ، فلا خلاص لهم الا باللجوء الى الله بالعمل الصالح الذى يتدارسون من خلاله أوضاعهم ليصلحوا من أحوالهم المتردية ويسايروا ركب الحياة معتمدين على الله وحده ، فقد طال سبابتهم ، ثم فتحوا عيونهم على وحش فاغر فاه همه ابتلاعهم أو صمصام مصلت على رقابهم ، أو سهم مسدد الى نحورهم ، أو قنا وقنابل مؤذنة بخراب الديار ، وتركها قفراء بلقع ، ومع كل هذا ، فاليأس غير وارد لدى المسلمين لأنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، ومن أمان محمدا الوحيد فى صحراء ، الفقير بين أغنياء ، المجرد من العدة ومن حوله ينوشه الأقوياء ، وأمدته بالحول والقوة رغم اللبالي الحوالك ، هو هو رب العالمين جل جلاله لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يؤدوه قلب ميزان القوى ، فقوته فوق كل قوة ، وهو ينصر المتقين العاملين ما داموا على شريعة رسله ، وسنن قرآنه ، مخلصين أعمالهم له . متجهين اليه بأسباب الدنيا والآخرة .

# مظاهر وأسباب تخلف

يتحرق المسلم المعاصر ويذوب كمدا واسى اذا حلق بنظريه فى واقع  
مته ، فيجدها فى واقع حضارى أدنى من غيرها ، ويجد بلاد الاسلام نهية  
للغاصبين وفريسة للذئاب ومذبحة للمسلمين انفسهم ، فتغلى مراحل الثورة  
فى جنبه ، ويكرر النظرة إثر النظرة ليشخص فى تقديره الداء ، ويصف الدواء ،  
ويكاد يحصر أخطر اسباب تخلف الشرق العربى مثلا فى ان إمكانيات دول العرب  
أو الاسلام لا تتجه فى خط واحد وهدف واحد ، ولو لسنوات معدودات ، وذلك  
الهدف هو التخلص من وجود العدو الصهيونى وتقليم أظفار صانعيه ومناصريه  
فى الغرب والشرق ، حتى يتهاى المناخ الملائم لتوفير بيئة الاستقرار والأمن  
الضرورى لإقامة صروح الحضارة الاسلامية العتيدة بوحى من مبادئها .  
وفى نظرة افقية أوسع لا تقتصر على دنيا العرب نرى ان العالم الاسلامى  
فى المشرق والمغرب من طنجة الى جاكرتا ، ومن عدن الى كراتشي فى وضع  
متخلف دينيا ودنيويا ، ماديا ومعنويا ، فليست أخلاقنا مما ترضى ، ولا تدبنا فى  
ميزان الاسلام الأول مما يسر ، ولا اقتصادنا مما يريح ويطمئن ، ولا تقدمنا أو  
وضعنا العسكرى والصناعى والزراعى والسياسى مما يجدى .  
أما الأخلاق والقيم والفضائل ففارقة القداسة ولم يعد لها الاحترام  
المطلوب ، وأصبح معيار الحياة هو المادة والمصلحة والمال والريح ، والترف

# العالم الإسلامي

للدكتور وهبه الزجيلي

والمجون ، واللهو والمعبث ، والإثم الباطن والظاهر ، وتشكك الناس في فائدة القيم الخلقية ، فشاع بينهم الكذب والخداع ، والغش والنفاق ، والمداهنسة والرياء ، والخيانة والجشع ، أو الطمع وقلة الورع ، والقسوة والبطش ، أو عدم الرحمة واللين ، وفقدان المحبة والتعاون ، وذهاب الإخاء ، وانعدام السماحة والبساطة واليسر ، والجبن والبخل أو الشح ، ونقض العهود وعدم الوفاء بالوعود والعقود والنحلل من الالتزامات ، وضعف الثقة ، ونظرة التشاؤم ، ونحو ذلك من أمراض الأخلاق الاجتماعية ، ومن أخصها أمراض الجنس وتناول المسكرات وتعاطي المخدرات .

وأما الدين فمشوه الحقيقة والصورة ، أو عديم الأثر في الحياة الخاصة والعامة عند الأكثرين ، وذلك بسبب الاعتناء بالمظاهر الدينية وترك الجوهر والروح ، وعدم السيطرة الفعالة على القلوب والسلوك والمعاملات ، واختلاطه بالضلالات والبدع والانحرافات ، أو التناقضات والخيالات ، وحجبه عن النفوذ إلى مسرح الحياة ، والاستخفاف بأهله وانصاره والدعاة إليه من قبل الكتاب الماجورين وبعض الصحفيين المارقين والمعلمين الضالين ، أو المربين المنفقين بثقافة الغرب المحضة ، المتفكرين لتراث أمتهم وأخلاقهم وحضارتهم . مع أن الإسلام بالذات دين الخير والعقل والمجد والعزة والكرامة ، والهداية والنور والحضارة ، وثبات المبادئ الأصلية التي لا تهادن الأعراف الفاسدة ، أو النظم

الظلمة ، التى لا يمكن للمسلم الواعى إياحتها تحت عنوان المرونة أو التطور أو الضرورات المشكوك فى وجودها : « يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » .  
وأما اقتصادنا ففقير عاجز أو بدائى متخلف ، أو مضطرب متعثر ، فبالرغم مما نجده من أرقام ضخمة فى ميزانيات الدول الإسلامية أو العربية ، وبالرغم من توفر خبراء الاقتصاد والتخطيط والمهندسين الزراعيين والجيولوجيين ونحوهم من المختصين فى مختلف العلوم التطبيقية الحديثة ، بالرغم من كل ذلك لا يزال ميزاننا الاقتصادي فى عجز متكرر ، ونفدنا فى هبوط ، وديوننا فى تزايد ، وعمالنا فى فقر وبطالة وحرمان ، وزراعتنا فى تأخر لعدم الأخذ بأساليب الزراعة الحديثة المتطورة ، ومصانعنا فى غير المستوى المطلوب عالميا ومحليا ، مع وجود جيوب وخطايا وزوايا أخرى تمتلئ بالبذخ والإسراف والترف والمجون .  
وأما جامعاتنا ومدارسنا فهى فى الغالب لتخريج آلاف الموظفين الذين يبحثون فى نهاية المطاف عن لقمة العيش ، ثم ينقطعون عن مواصلة البحث العلمى والإنصاج الفكرى . ولم يعد خافيا أن بعض هذه الجامعات تدرس فى الحقيقة تاريخ العلوم التطبيقية ، وليس العلم المتطور الذى بنى برج التقدم الحالى .

وأما إعدادنا العسكرى فما يزال ناقص التجهيز ، رهين الاستيراد ، ناقص الأساس الذاتى والتصنيع المحلى للآليات الثقيلة ووسائل القتال الجديدة التى تلعب دورا فعالا وحاسما فى الحروب الحديثة كما هو معروف . وكذلك التدريب العسكرى فيها نلاحظ ليس على المستوى المطلوب المكافئ لتدريبات العدو ..

وأما سياستنا وأوضاع الحكم فمرتجلة غير ثابتة ولا أصيلة ولا مخططة لها ، ويغلب عليها الاستبداد السياسى والقموض ، وعدم الاستقرار ، واضطراب الموازين ، وضعف الخطط ، وتغير السلطات السريع ، وإبعاد الأكفاء ، واتباع الرغبات أو الأهواء .

وأما وضعنا الدولى العام فمجزأ السلطة ، مفرق الكلمة ، مشتمت الهدف ، ممزق الصف ، وفى العالم الإسلامى عشرات الحكومات والدول دون أن تجمع بينها رابطة قوية ، أو أنظمة موحدة ، أو ثقافة مشتركة ، أو تعاون جماعى بنساء ، أو هدف رئيسى عام ، أو معاهدات دفاعية منفذة فعلا عند الاقتضاء لدفع الأخطار المشتركة ومحاربة العدو الواحد . ومن المؤسف أنه اذا دعى لتحالف معين اتهم الداعى بالتواطؤ مع الاستعمار أو الرجعية ، وثار الشكوك حوله ، وحورب حربا لا هوادة فيها . وهكذا يوصم المخلص الغيور أحيانا بالرجعية ، ويكافأ دعاة الإلحاد والتجزئة باللقاب التحرر والتقدمية ، ونحو ذلك من قلب المفاهيم ، وتعقيم الصور ، وطمس معالم الحقيقة .

هذه هى بعض الأضواء العامة على مظاهر تخلف المسلمين ، أما أسبابها فكثيرة .

فمن المعروف لدى مقارنة الحضارات أن أزمة الحضارة الغربية تكمن فى ماديتها الخالصة ، أعنى أن فلسفتها وعلومها وأخلاقيها واقتصادها واجتماعها وسياساتها وقانونها تدور فى فلك المادة ، وتتنكر للفطرة الانسانية ، ووجود خالق غير المادة ( أى الإلحاد ) ، فأصبحت العلوم التجريبية آلة لتدمير الانسان ،

وانصهرت الأخلاق فى النفعية المحضة والخلاعة والمجون والرياء والسطحية ، وصار المنهج الاقتصادى عديم الإنسانية ، وواسطة الاستبداد والظلم ، وأفسدت السياسة بفاسد القومية الضيقة والوطنية الضيقة ، والتمييز العنصرى ، وعبادة القوة وتآليه أصحابها .

هذا بالنسبة للغرب ، أما مرض الأمة الإسلامية وأسباب انحطاطها فهى تختلف عن مرض الآخرين وأسباب المرض ، وترجع فى جملتها الى إهمال شرعة الله وهداية الاسلام الكفيلة بتحقيق المعنى الحضارى السليم أو الثورة الصحيحة : وهو تقدم العلاقات الانسانية ، أو إقامة الحضارة على أساس إنسانى ، ويمكن حصر أسباب تخلف المسلمين فى النواحي الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والثقافية والسياسية .

١) أسباب التخلف الاجتماعية : تهمل الجماعة واجبا أساسيا فى الاسلام : وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتنتهج منهج اللامبالاة وتقاذف المسؤولية عن أسباب التردى ، والفرار من تحمل العبء الواجب فى الإرشاد الى الخير والصالح ، والترهيب من الشر والفساد والظلم والعصيان : « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » « فكلا أخذنا بذنبه .. وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » « لمن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

وترك الناس جهاد العدو المادى ، أى قتاله فعلا ، الذى هو فى الأصل من فروض الكفاية على الجماعة المسلمة ، كما تركوا الجهاد فى وجه من استهان بأحكام الاسلام وعقائده وفروضه وآدابه وأخلاقه فى داخل الأمة . وأهملوا أيضا جهادا من نوع أو أفق آخر يمتد لمعرفة مكائد العدو واستعداداته وطاقاته ومبادئه ومخططاته والوان خداعه ، والاعتبار بالماضى القريب والبعيد ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إنما ينقض الاسلام عروة عروة من نشأ فى الاسلام ، ولم يعرف الجاهلية » ، وقال أيضا : « عرفت الشر لا للشر ، لكن لتوقيه ، ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيسه » « لست بالخب ولا الخب يخدعنى » . وهذه معان قرآنية سبق الكتاب العزيز للإشارة إليها فى مبدأ الحذر فى قوله تعالى : « وخذوا حذركم » « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم ، فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

ومما ساعد على إهمال المجتمع سوء فهم عقيدة القضاء والقدر ، ظنا بأن القدر يقع مجردا من أسبابه ، فتوانى الناس وأهملوا وتواكلوا ، ونسبوا ظلما الى القدر ما ليس فيه ، ورددوا كلمات تدل على أن الكائن كائن لا محالة ، وأن الانسان مسير مجبر . وليس كل ذلك صوابا ، إذ القدر عبارة عن تعلق إرادة الله تعالى بالشئ عند وجود سببه الذى يقتضيه ، سواء من قريب أو بعيد . فنقص المحصول الزراعى مثلا ناشئ من إهمال الزارع . وتسلط العدو واحتلال أراضينا ناتج من ترك الجهاد والإعداد اللازم للمعركة ، وضعف الهمة وقتور العزيمة ، وعدم الحمية والفيرة ، وجود الفسكرة ، والخوف والوهم ، وإهمال الإرادة والتصميم ، وإفراغ القلوب من محتوى القداسة ، وعدم تقدير المعنى الجماعى ، وإلقاء بديل فارغ فيها لا يصلح حافزا على التضحية بالنفس فى سبيل الأمة أو الجماعة . ومع ذلك ظن هؤلاء الجنود وغيرهم أن النصر يكون فى جانبهم ، لأنهم مسلمون ، أو أصحاب الحق الشرعى ، والنصر قد يحصل للكافر أو المستدى لحكمة معينة مرجعها فى النهاية أعمال المسلمين

وتقصيرهم ، أو البعد عن مقومات المجتمع الاسلامى الصحيح .  
وخيم على الناس ظلال كثيفة من الغموض والجهل بسبب الضلالات  
والبدع ، واختلاط المفاهيم ، والثقافات الواردة ، والتأثر بالخرافات والباطيل ،  
والنظرات السطحية نحو الاسلام وفاعليته الحركية الدافعة الى حياة مترعة  
بالبطولات والأمجاد . ومن هنا لم يعد غريباً توالى الهزائم وعموم البلى  
والمصائب على الجماعة : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .  
**ب ) أسباب التخلف الأخلاقية :** إن من أخطر آفات التخلف ، وأكبر عوامل  
التقهقر فساد أخلاق الأمة الاسلامية ، ووقوعها فى هاوية الفساد والانحلال  
الخلقى ، وذلك لأن غاية الاسلام فى الحقيقة إقامة المجتمع النافضل من وراء  
كل قصد فى الإصلاح والرقى . وعليه إذا شاع بين الناس حب الانحراف ودب  
إليهم داء الحسد والبغضاء ، وشغل المرء بأهوائه وشهوته ، وقل الحياء ،  
وارتمى الناس فى أحضان الرذيلة من رقص وخلاعة ومجون ، وتساهلوا فى  
أخطر الأمور وهو اختلاط الجنسين فى المسابح وشواطئ البحار ، والترويج  
لأدب الجنس الخليع — إذا شاع — أدى ذلك كله الى ضياع مجد الأمة ،  
وتعطيل مصالحها ، وتخريب ديارها ، وفساد أمورها ، وانهيار نهضتها ، كما  
حصل بالنسبة للفرس والرومان وغيرهم فى أعقاب تفسخ شعوبهم .  
ومن مكرور القول أن الفضائل والأخلاق سبيل النهضة والعمران ، وطريق  
التحضر والرقى والتقدم ، وكلما ارتقت الأخلاق تحققت التقدم ، وتم الازدهار  
والنمو والكمال . وقد حصر الرسول صلى الله عليه وسلم الهدف من بعثته فى  
قوله : « إنها بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » « الخلق وعاء الدين » .

**ج ) أسباب التخلف الاقتصادية :** إن قوة الأمة وريقها بقوة اقتصادها  
وغنى أفرادها ، وإن ضعفها وتخلفها بضعف اقتصادها وفقر أبنائها ، وذلك  
لأن الغلبة على العدو وإقامة برج الحضارة تعتمد أساساً فعلياً على العناصر  
المادية ، فإذا افتقدت أصيبت الأمة بالشلل ، وعجزت عن التقدم ، وشاعت فيها  
عيوب كثيرة كالخمول ، والبطالة ، والركود الفكرى والعلمى ، والمرض والقلق  
والجهل ، واضطراب الأسر والمصالح العامة والخاصة .  
وإذا توفر المال اللازم كما فى بعض دول الاسلام ، وجب بداهة إحسان  
استثماره وتوجيهه نحو أهداف الأمة ومطالبها الحيوية الحساسة التى تهيب  
مركز القوة والعزة والسيادة وارهاب العدو . وإذا ساء استخدام المال أو  
تجميده ، ظل الاقتصاد فى تخلف ولا شك بأن اقتصاد العالم الاسلامى فى حالة  
مرضية متخلفة ، بسبب تخلف الزراعة والصناعة وبطء الحركة التجارية .  
ويجدر ألا ننسى دور الاستعمار واتفاق قوى العالم الكبرى على ابقائنا  
متخلفين اقتصادياً ، ووضع العراقيل أمام تفوقنا أو نهضتنا الاقتصادية ، بتضخيم  
المشاكل الخاصة ، والتشكيك فى جدوى المشاريع الكبرى أو الحساسة ، وضعف  
الموارد والإمكانات الذاتية ، وذلك بقصد تأمين مصالح دول الشر ، وتوفير  
الأسواق لتصريف منتجاتها ، وبقاء نفوذها وسلطانها السياسية الكبرى ، ورفع  
مستوى الغرب وتقدم صناعته على حساب الشرق والدول النامية فى آسيا  
وأفريقيا ، والحفاظ على تدفق شرايين موارده المسخرة لدعم مصانع ومصالح  
الغربيين .

والحقيقة أن تقوية اقتصادنا لا تحتاج إلا الى شئ من التصميم والفكر  
والإرادة وشحذ العزيمة والثقة بالنفس والجرأة ، ودفن كل منافذ اليأس والقنوط



والتخوف والهلع المصاحبة للتناق والمعجز : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم » « ولا تياسوا من روح الله ، إنه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون » .

**د ) أسباب التخلف الثقافية :** العلم والاجتهاد والتربية سبيل النهضة الكبرى . ولقد أدى الى تخلف المسلمين بدءا من القرن التاسع الهجرى انحطاط فكرى وعلمى عام ، فلم يعد هناك تجديد وابتكار ، سواء فى العلوم الدينية والأدبية والاجتماعية ، أم فى العلوم الطبيعية والتجريبية والكونية المفيدة . ومهما افتخرنا بأثار علماء الأندلس وحكماء الشرق وبأن المسلمين هم أول من أدخل التجربة فى ميدان العلوم ، فإنه كما وكيفا وإتقانا وتجديدا يتضاءل أمام الإنتاج الغربى الضخم فى أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر . ولعل إقفال باب الاجتهاد والتزام التقليد والاعتماد على جهد العلماء السابقين فى نطاق العلوم الشرعية وغيرها ، أو الانتعاش فى ظل العاطفة الإسلامية البهتة ، كان من أهم أسباب ركود الروح العلمية ، وجهود الفكر ، وفقر الإبداع ، وإخلاد الناس الى الراحة . وكان لزاما على علماء العصور الأخيرة أن يتنبهوا الى ما حاق بهم من عزلة عن العالم ، وأن يتفهموا مبادئ الحضارة الحديثة ، ويسارعوا الى بلاد الغرب لتعلم علوم النهضة الحديثة ، والاهتمام بالاكتشافات العلمية ، والاستفادة من المناهج العملية التى أدت الى رقى الغربيين ، ونقلها الى نطاق التعليم والحياة المدنية عند المسلمين ، وتهيئة دول الاسلام مجالات وإمكانات الاستفادة من هاتيك العلوم وتطويرها ومتابعة أفاقها فى التطبيق والابتكار .

وفى العصر الحاضر فشل دعاة الحضارة الاسلامية للالتزام بمبادئها وخصائصها بسبب فقدان الإدراك الدقيق الشامل لأسس هذه الحضارة ، وكيفية تشاغلها مع الحياة الحديثة ، وعدم معرفة مدى الاستفادة منها إزاء الحضارة الجديدة . هذا فضلا عن الخلافات المتكررة بين الدعاة انفسهم ، وانعدام روح التنسيق وتحقيق الانسجام بين أعمالهم ، واهتمامهم بالجزئيات والخلافات البسيطة ، وترك القضايا الكلية أو المبادئ العامة التى نبه اليها القرآن الكريم والسنة المطهرة فى مجال العلم والعمل والاستفادة من طاقات الأرض وخيراتها ، والاهتداء بذخائر الكون ونعمه التى لا تحصى لاسيما فى بلادنا ، مثل قوله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » « إن فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب » ، وذلك من أجل استخدام هذه المبادئ فى معالجة أوضاع العصر المتبدلة ، ومواجهة غزو الأفكار الغربية واندفاع سيل الحضارة الجديدة . ويدلل لما أقول : أن فى بلادنا غنى وثروة كبرى ، معدنية ونפטية ، وإن السعودية مثلا بالنسبة لما فيها من ثروة معدنية هائلة تعد أغنى بلاد العالم كما أكد الخبراء المختصون .

**هـ ) أسباب التخلف السياسية :** لقد أصبح للدولة ذلك العملاق الرهيب فى العصر الحديث أهمية بالغة ودور عميق وكبير فى حياة الشعوب ، إذ أن الدولة الحديثة انتزعت كثيرا من أوجه نشاط الأفراد ، واستأثرت بكل مظاهر القيادة والتوجيه ، فأصبحت هى المسئولة بالدرجة الأولى عن تحضر شعبها وبلدها : « من يزع بالسلطان أكثر ممن يزع القرآن » أى من يردعهم الحاكم أو يحملهم على العمل والكفاح أكثر ممن يردعهم القرآن أو يبعثهم على العمل الصالح .

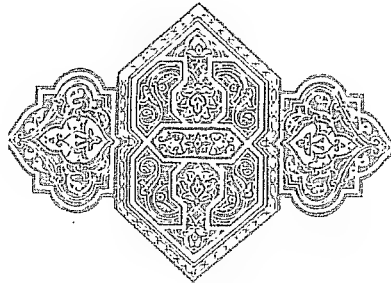
ومن هنا وجدت اسباب سياسية لتخلف البلاد الاسلامية ، من أهمها :  
الاستبداد السياسى ، وفقر القيادة الناجحة ، وفصل الدين عن السياسة  
والحياة والعلم ، وتجزئة الكيان الاسلامى بسبب الاستعمار وأعدائه وأذيله .  
أما الاستبداد السياسى الذى لا يلتقى مع الاسلام فى شيء ، فوَقَّعت فيه  
الشعوب المسلمة منذ أمد طويل بعد الخلافة الراشدية ، وظلت تعاني منه  
وترسف فى قيوده الى اليوم ، وبرز فى أسوأ مظاهره عند كثير من حكام  
المسلمين الذين كمهوا الأفواه وكتبوا الحريات وحكموا دكتاتوريا .

وأما فقر القيادة فمن المعروف أن العالم الاسلامى لم يرزق بعد وفاة  
القائد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م بقائد مخلص فذ قد ير مثله  
ليوحد المسلمين ، ويحرر بلاد الاسلام ، ويبنى نهضة جديدة .

وأما فصل الدين عن الحياة بدءا من إلغاء الخلافة الاسلامية على يد  
مصطفى كمال اليهودى البلفارى الأصل ، فهو أخطر منعطف فى حياة الاسلام ،  
بسبب اعلان ( علمانية ) الدولة ، وهدم سلطان الشريعة ، واستيراد الانظمة  
والقوانين الغربية ، وتربية الشعوب تربية غربية تابعة فى الفكر والعمل لمناهج  
الغربيين ، وترك تراث الاسلام العظيم .

وأما تجزئة الكيان الاسلامى بسبب الاستعمار القديم والحديث فهو أمر  
واضح نعيش كل يوم مع ألوان من مكره وخداعه ومسايعه الدائبة الطويلة  
المدى لإحباط أى مسمى جماعى أو هدف وحدوى ، ولا غرابة إذا قلنا : لم  
تنقطع حملات عدوان الكفرة الموروثة عن أبى جهل وأبى لهب وأنصارهما من  
اليهود والمنافقين لتمزيق وحدة المسلمين ابتداء من عهد فتنة عثمان رضى الله  
عنه ، ولم تهدأ الحرب السافرة أو المقنعة التى تعوق كل تقدم حضارى  
للمسلمين بسبب تجزئة الكيان الاسلامى الذى ظهر فى القرن الثالث الهجرى  
والتاسع الميلادى بظهور خلافتات ثلاث فى آن واحد فى بغداد والقاهرة  
والاندلس ، وما تلاه من دويلات وإمارات مستقلة .

هذه هى أهم اسباب تخلف وانحطاط المسلمين فى صورتها الظاهرية ،  
غنى أعراض الأمراض متعددة . ولكن ليس الشفاء من هذه الأمراض أمرا  
متعذرا ، وإنما هو سهل يسير إذا حسنت النية ، وتوفرت الإرادة ، وصدق  
العزيمة ، ونهى الإخلاص : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .



نظرة فاحصة قول

# الإباحة

عند الأصوليين الفقهاء، ٣

## أسباب الإباحة في الفقه الإسلامي

للدكتور : محمد سلام مدكور

السبب عند علماء الشريعة : ما يلزم من وجوده وجود السبب ومن عدمه العدم (١) ، والذي سنعرضه هنا هو أسباب الإباحة الطارئة على فعل يكون مطلوباً منا فعله أو تركه ثم يعرض ما يقتضي إباحته تخفيفاً على العباد ورفقاً بهم . إما إباحة مقيدة بحال كالرخص ، أو مطلقة كما في الفسخ . فيخرج من هذا ما إذا كان الفعل مباحاً في الأصل ثم طلب الشارع فعله أو تركه في حالة معينة ثم زالت هذه الحالة وعاد حكم الفعل إلى الإباحة الأصلية ، وذلك كحل الاصطياد بعد الإحرام المدلول عليه بقوله تعالى : « وإذا حللتهم فاصطادوا » فإن الاصطياد كان مباحاً وطراً عليه الحظر بقوله تعالى : « غير محلى الصيد وأنتم حرم » .

وفي الواقع إن أسباب الإباحة الأصلية التي سنستبعدّها ترجع إلى :  
١ - عدم النص على الحكم لا صراحة ولا بطريق الدلالة تبعاً لقاعدة :  
إن الأصل في الأشياء الإباحة ، على ما بيناه تفصيلاً في موضعه (٢) ،  
وقد يعبر الأصوليون عن هذا بالبراءة الأصلية .

٢ - ورود نص يفيد الإباحة وهي ما تسمى بالإباحة الشرعية ، ويكون ذلك النص بأسلوب من أساليب الإباحة التي سبق الكلام عنها في المقال السابق .

وإن ممارسة الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية تدل على طروء الإباحة لكل من المحظور والواجب . فالمحظور على سبيل التحريم أو الكراهة يصير فى بعض الأحيان مباحا ، كما يصير الواجب أحيانا كذلك . أما المندوب فإنه يظهر فيه معنى الانقلاب الى الإباحة ، لأن الشأن فى الانقلاب الى الإباحة رفع الحرج وهو بالنسبة الى المطلوب يكون فى جانب الترك وهذا القدر يتحقق فى المندوب فلا داعى لتحويله الى مباح . كما أننا استطعنا بالنظر والتأمل أن نرجع الأسباب التى يصير بها كل من المحظور والواجب مباحا الى أسباب متعددة من وجهة النظر الشرعية كالرخصة ، ونسخ كل من الوجوب والحظر ، والاستحسان ، والعرف ، والمصلحة المرسله ، والذرائع ، وغير ذلك مما سنشير اليه :

### **أولا : الرخصة باعتبار أنها سبب لطرء الإباحة :**

الرخصة فى اللغة التيسير والتسهيل ، وقد عرفها الشرعيون بتعريفات مختلفة اخترنا منها . أنها ما شرع لعذر شاق استثناء من أصل كلى يقتضى المنع مع الاقتصاد على مواضع الحاجة فيه . ويقول البيضاوى فى المنهاج : الحكم إن ثبت على خلاف الدليل لعذر فرخصة كحل الميتة للمضطر . والقصر والفطر للمسافر . وعلق على ذلك الاسنوى فقال : إن تمثيل المباح بالفطر للمسافر لا يستقيم لأنه إن تضرر بالصوم فالفطر أفضل ، وإن لم يتضرر بالصوم أفضل . فليست للصوم حالة يستوى فيها الأمران . وقال : إن الصواب التمثيل بالسلم والعرايا ، والإجارة والمساقاة وشبه ذلك من العقود ، فإنها رخصة بلا نزاع .

وفقهاء الحنفية يقسمون الرخصة : الى رخص حقيقية ويسمونها برخص الترفيه ، ورخص مجازية ويسمونها برخص الإسقاط ، وكل ما يفيد الترخيص فى الرخص الحقيقية هو رفع الإثم وهو ما يقابل « موانع المسؤولية فى القانون الجنائى » ، لأن الفعل غير مشروع مع رفع المسؤولية الجنائية عن الفاعل كمن اعتدى على مال غيره دفعا للمخمة . فإن الاعتداء نفسه غير مشروع ولا تبيحه حالة المخمة بدليل وجوب ضمان ما اتلفه من مال ، وكل ما فى الأمر أن المسؤولية الجنائية قد رفعت عنه . يقول البزدوى : إن من أصابته مخمة حل له تناول طعام غيره على أنه رخصة لا إباحة مطلقة . وقد ناقض الإمام الغزالى الحنفية فى هذا . وعلى كل فرخص الترفيه عندهم ليست من أسباب طرء الإباحة .

أما الرخص المجازية عندهم ، وهى رخص الإسقاط ، والتى منها الحكم الذى يسقط به غيره مع كون الحكم الساقط مشروعا فى الجملة ، كقصر الصلاة للمسافر بناء على أن القصر يسقط به الإتمام ، وكأكل الميتة وشرب الخمر عند الضرورة ، وكبيع السلم . فهذا النوع من الرخص المجازية عندهم هو الذى تنحصر فيه سببية الإباحة الطارئة من بين أقسام

الرخص ، وإن كانت تارة تكون سببا في غير الإباحة فمقصر الصلاة للمسافر عندهم واجب .

وعلى هذا فلا يكون هذا النوع من الرخص المجازية عندهم سببا للإباحة في جميع الجزئيات وإنما في بعضها كإباحة السلم ، وإباحة المسح على الخفين عند من يرى استواءه مع غسل الرجلين إذ أنهما من المباحات . لكن الشاطبي المالكي يرى أن الرخصة لا يترتب عليها إلا الإباحة فهي سبب للإباحة فقط ، ولا تكون سببا لغيرها لأن الرخصة يراد بها التيسير والتسهيل على المكلف يدفع المشقة ورفع الحرج عنه يقول الشاطبي : إن حكم الرخصة الإباحة مطلقا من حيث هي رخصة ، بدليل قوله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » ولأن الأصل فيها التخفيف ورفع الحرج عنه حتى يكون في سعة واختيار بين الأخذ بالعزيمة والأخذ بالرخصة وهذا أصله الإباحة ، ولأن الرخصة لو كانت مأمورا بها ندبا أو وجوبا لكانت عزائم لا رخصا ..

وإذا كنا وقفنا في كلام الشاطبي بعد ذلك على ما يصور اضطرابا في مسلكه هذا (٣) فإن كثيرا من الأصوليين اتجهوا هذه الوجهة ، فمسلك الإمام الغزالي يشعر بذلك (٤) ومسلك الأمدى أيضا يدل على ذلك (٥) ، والقرافي المالكي كما ينقل عنه ابن أمير حاج في كتابه التقرير والتحبير (٦) ..

وينبغي أن نشير هنا إلى أن جزئيات الرخص تدل على أن السبب فيها لا يخرج عن أحد أمرين يجمعهما وصف العذر وهذان الأمران هما : المشقة والحاجة ويدخل في المشقة صور كثيرة منها إباحة الفطر ، وقصر الصلاة ، والجمع بين الصلاتين ، ويدخل في الحاجة أكل الميتة ، والخنزير ، وشرب الخمر للمضطر ، وكل ما تدعو إليه الضرورة على ما بيناه تفصيلا في نظرية الإباحة (٧) ، والذي يعيننا إبرازه هنا أن الرخصة سبب لطرء الإباحة .

### **ثانيا : النسخ باعتبار أنه سبب لطرء الإباحة :**

يطلق النسخ في اللغة بمعنى الإبطال والإزالة ، كما يطلق بمعنى النقل والتحويل ، وفي اصطلاح الأصوليين والفقهاء يعرف بعدة تعريفات نذكر منها ما اختاره ابن الحاجب من أنه رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر ، وهذا التعريف يخرج الأحكام التي وردت على الإباحة الأصلية باصطلاح الأصوليين لأنه لا رفع فيها لحكم شرعي ، وإنما هو رفع لحكم عقلي . يقول صاحب كتاب كشف الأسرار : إن رفع الأحكام العقلية الثابتة قبل ورود الشرع التي يعبر عنها بالمباح بحكم الأصل ، بدليل شرعي متأخر لا يسمى نسخا بالإجماع (٨) .

والنسخ قد يكون إلى بدل مساو أو أثقل . وكلاهما ليس من محل بحثنا في أسباب طرء الإباحة . وقد يكون النسخ إلى بدل أخف كنسخ الحظر في ادخار لحوم الأضاحي إلى إباحته ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى : « كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام . فكلوا ما بدا لكم واطعموا وادخروا » ، ومثله أيضا قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجة عن أبي سمعود بسند صحيح : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترهّد في الدنيا وتذكر بالأخرة » ونظيرهما قوله عليه السلام فيما رواه ابن ماجة عن بريدة : « كنت نهيتكم عن الأوعية فانبذوا واجتنبوا كل مسكر » .

فهذه الأحاديث وقع فيها النسخ من حظر إلى تصريح ، وقد نص على ما يفيد الإباحة بعد رفع الحظر . بل وضع الأصوليون قاعدة عامة هي أن الأمر بعد الحظر يفيد الإباحة .

وهذا النوع — الذى النسخ فيه إلى بدل أخف — هو الذى يتحقق فيه ما نحن بصدد من طرء الإباحة بالنسخ ، كما أن هذا النوع لا خلاف فيه بين الأصوليين القائلين بالنسخ ، لأن معنى النسخ وحكمه متحقق فيه إجماعا لوضوحها وعدم تطرق الشبه إليها .

وقد يكون النسخ لا إلى بدل عند جمهور الأصوليين ، وقد مثلوا له بنسخ وجوب الصدقة بين يدي مناجاة الرسول ، ويمثل له بعضهم بخل الرفث إلى النساء ، والأكل ، والشرب ، في ليالى رمضان بعد النوم وقد كان ذلك محرما في صدر الإسلام .

وخالف بعض الأصوليين في جواز النسخ لا إلى بدل ، وتأولوا المثال الأول بأن وجوب المناجاة نسخ إلى بدل هو الجواز الذى يشمل الإباحة والندب على ما ذكرنا في مقال سابق . ورد بعضهم المثال الثانى بأن الحل منصوص عليه فهو نسخ إلى بدل ، لأن المراد بالبدل ورود النص على الحكم بالنسخ . وهذا المعتبر في نظرنا لأن بقاء الفعل من غير حكم شرعى متعلق بفعل المكلف ممنوع مطلقا بالإجماع ، على معنى أنه إذا لم ينص على حكم بعد النسخ يصر إلى الإباحة التى هي جنس في الواجب ، أو إلى ما كان عليه قبل الحكم المنسوخ من إباحة أو غيره على خلاف في ذلك منشؤه أنه إذا نسخ الوجوب من غير نص على بدل فإنه يدل على بقاء الجواز بمعنى التخيير بين الفعل وترك الذى هو مدلول الإباحة . وقد بينا تفصيل ذلك في كتابنا الإباحة عند الأصوليين والفقهاء (٩) ، والذى يضمننا هنا أن نقرر أن طرء الإباحة بالنسخ يكون بأحد أمرين :

**الأول :** نسخ كل من الواجب والمحذور إلى بدل يدل على الإباحة ، وذلك كحل الأكل ، والشرب ، والرفث ، للصائم في ليالى رمضان بعد النوم الذى نسخ فرضية الإمساك بعد النوم ، وكما في إباحة ادخار لحوم الأضاحي الذى نسخ الحظر السابق . إذ أن الحظر إذا لم يكن مقيدا بحال من الأحوال أفاد النسخ ودل على الإباحة عند أكثر الفقهاء .

**الثاني :** نسخ الوجوب لا الى بدل عند من يقول بان نسخ الوجوب لا الى بدل يفيد الإباحة على ما ذكرنا .

### **ثالثا : الاستحسان باعتبار أنه سبب لطوء الإباحة :**

والاستحسان في اللغة عد الشيء حسنا ، وفي الاصطلاح نعرفه بما عرفه به الكرخي :

من أنه عدول في مسألة عن مثل ما حكم به في نظائرها الى خلافه لوجه هو أقوى يقتضي العدول عن الأول . ونستطيع أن نرجع اتساع الاستحسان الى استحسان قياسي ، واستحسان استثنائي ، ونستبعد الأول لأنه بعيد عن موضوعنا أما الثاني وهو الحكم المستثنى من أصل كلي أو قاعدة عامة لدليل خاص يقتضي ذلك . فهو السدي يكون سببا لطوء الإباحة ، ويعتبر من الرخص الشرعية . ومن أمثلة هذا النوع ما أورده سابقا عند الكلام عن الرخصة باعتبارها سببا لطوء الإباحة . ومن ذلك السلم ، والإجارة ، والاستصناع ، فإن كلا منها وقع فيه التعاقد على معدوم وهو مما يبطل البيع بحسب الأصل لما فيه من الجهالة ولكنه أباح التماسه على هذه الأشياء لضرورة حاجة الناس اليها .

وتستند إباحة هذه الأشياء الى أدلة شرعية . فالسلم يستند الى السنة فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه النهي عن بيع ما ليس عند الإنسان وأرخص في السلم . والإجارة تستند الى قوله تعالى « فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن » كما تستند الى السنة أيضا ، وأما الاستصناع فإنه يستند الى إجماع المسلمين على إباحة التعامل به .

ومن صور طوء الإباحة هنا . إباحة الترخيص بنظر الطبيب الى موضع المرض من بدن المرأة الحرة فإن ذلك مستثنى من قاعدة تحريم النظر الى بدنها ، وعلة الاستثناء الضرورة ، وهذا المثال يتجلى فيه معنى الاستحسان الاستثنائي ، ومعنى الرخصة أيضا ، لأن الحكم شرع على خلاف الدليل لوجود دليل آخر . والإباحة هنا طرات بعد الحظر .

وقد اعتبر الشاطبي الترخيصات التي من هذا القبيل مندرجة تحت الاستحسان فيقول : « ومن الاستحسان أيضا سائر الترخيصات التي من هذا القبيل . فإن حقيقتها ترجع الى اعتبار الحال في جلب المصالح ودرء المفاسد حيث كان الدليل العام يقتضي منع ذلك ، لانا لو بقينا مع أصل الدليل العام لآدى الى رفع ما اقتضاه ذلك الدليل من المصلحة فكان الواجب مراعاة ذلك .. »

#### رابعاً : العرف باعتبار أنه سبب لطروء الإباحة :

العرف فى اصطلاح الشرعيين : ما استقر فى النفوس من جهة العقول ، وتلقته الطباع السليمة بالقبول . والعرف له سلطته واقتداره فى وضع أحكام طارئة تدعو إليها الحاجة فيكون بذلك سبباً لطروء الإباحة ، ومن أمثلة ذلك إباحة استئجار الأجير ببعض ما يعمل فيه فيما تعارفه الناس مع ورود النهى عن ذلك فيما أخرجه الدارقطنى والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى أنه عليه السلام نهى عن قفيز الطحان لأن فى ذلك نقضاً لشرط من شروط عقد الإجارة ، وهو القدرة على تسليم الأجر وقت التعاقد ( ١٠ ) ، وجمهور الفقهاء على العمل بمقتضى ذلك النهى فى غير ما جرى به العرف ، إذا ما تعارف الناس على بعض جزئيات من هذا النوع فإن ذلك التعارف يرفع الحظر ويحل محله الإباحة الطارئة . ومن هذا ما يتعامل به الزارع فى القرى من إعطاء بعض القمح لدارسه أو ذاربه أو حامله من الحقل أو من الجرن ونحو ذلك ، ويمكن أن يدخل فى هذا ما تعطيه الدولة لشركات البترول من نصيب ، وإن كان هو أقرب إلى الجمالة منه إلى هذا .

#### خامساً : المصلحة باعتبار أنها سبب لطروء الإباحة :

نقصد بالمصلحة هنا المصلحة التى لم يرد نص من الشارع يدعو إلى اعتبارها أو عدم اعتبارها مع أن فى اعتبارها والأخذ بها جلب منفعة أو دفع مضره ، وهذه يطلق عليها الأصوليون : المصلحة المرسله ، ومثلوا لها بجمع القرآن فى عصر أبى بكر حفظاً له ، وحمل الناس فى عهد عثمان على مصحف واحد وإحراق ما عداه ، ومحاربة أبى بكر لما نعى الزكاة ، ونقل العز بن عبد السلام عن الشافعى أنه قال : لو عم الحرام فى بلدة بحيث لا يوجد فيها حلال جاز أن يستعمل من ذلك ما تدعو إليه الحاجة ولا يقف تحليل ذلك عند الضرورة . لأنه لو وقف عليها لادى إلى ضعف العباد ، ولانقطع الناس عن الحرف والصنائع والأسباب التى تقسوم بمصالح الأنام .

ومن هذا يتبين أن المصالح المرسله قد تطرا بسببها أحكام مختلفة من بينها الإباحة ، كما يتجلى ذلك فيما قيل من مبايعة المفضول مع وجود الأفضل . وقد وسع بعض الفقهاء من الصحابة والتابعين أن يمتنعوا عن مبايعة يزيد فى حين أن الكثرة منهم رأت مبايعة . وهذا يدل على أن هناك مندوحة تتسع لكل من الإقدام على المبايعة والإحجام عنها ، وذلك هو معنى الإباحة بالتفسير الأصولى الأخص وهو التخيير .



## سادسا : الذرائع باعتبار انها سبب لطروء الإباحة :

الذريعة كما يقول ابن القيم ما كان وسيلة وطريقا الى الشيء .  
وقد قسم الفقهاء الذرائع الى أربعة اقسام والذي يعنينا منها قسمان :  
١ - الذرائع التي وضعت للمباح لكنها قد تقضى الى مفسدة والمصلحة  
أرجح كالنظر الى المخطوبة والمشهود عليها للتعرف . وقالوا : إن هذا  
النوع جاءت الشريعة بإباحته أو استحبابه أو وجوبه بحسب درجته في  
المصلحة .

٢ - الذرائع التي وضعت للمباح لكنها قصد بها التوصل الى  
المفسدة كمن يتزوج بقصد تحليل الزوجة لمطلقها الذي بانته منه بينونة كبرى ،  
وكمن يتعاقد على سلمة ليصل الى الربا عن طريق هذا التعاقد كما في بيع  
المينة ، وقد اختلف الفقهاء في هذا النوع . فمنعه بعضهم وكرمه البعض  
وطروء الإباحة بسبب الذريعة واضح بالنسبة للنوع الاول الذي  
أوردناه فإن النظر الى الأجنبية كان محظورا لكنه أبيع باعتبار أنه وسيلة  
الى تحقيق مصلحة راجحة وهي إتمام الزواج ، أو التمكن من أداء  
الشهادة .

أما النوع الثاني الذي أوردناه فإنه بالتأمل والنظر يبدو أن من يقول  
بجواز مثل هذه العقود ينظر الى مفاهيمها الشرعية على الوجه الذي  
كانت محرمة عليه فيحتال على تغيير هذه المفاهيم بوضعها في صور  
أخرى مباحة ، وبذلك تكون حقيقة الامر أن الفعل الذي كان محظورا  
أصبح بعد ذلك الاحتيال أو التغيير الصوري مباحا . فمن هذه النظرة تكون  
الذريعة سببا لطروء الإباحة عند من أجاز ذلك .

وبعد هذه الأسباب التي ذكرنا أنها تفيد طروء الإباحة نستطيع أيضا  
أن نستنتج أسبابا أخرى تفيدها ، ومن ذلك ما قاله : من إباحة الظفر  
بالحق أو جنسه عند المدين الماطل ، فإن الفقهاء متفقون على أن من وجد  
نفسه حقه الذي عند آخر مالا أو عروضاً وكان يماطله في رده ، فإنه يباح  
له ديانة فقط أن يسترده منه ولو خفية إذا ظفر به . واختلفوا فيما إذا ظفر  
بجنس حقه على ما بيناه تفصيلا في مواضع أخرى ( ١١ ) .

ويدخل في أسباب طروء الإباحة أيضا إذن العباد بعضهم لبعض في  
تناول الأموال والمنافع والأعراض بالوجوه المشروعة ، ومن ذلك أيضا ما  
دل عليه حديث الشيخين وهو قوله عليه السلام : « لا يحل دم امرئ  
مسلم الا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه  
المفارق للجماعة » فقد أفاد هذا الحديث أن هذه الأشياء الثلاثة سبب لطروء  
الإباحة لهذا الدم الذي كان معصوما لولا وجود سبب من هذه الأسباب .

وبعد فإن أسباب هذه الإباحة الطارئة استنتاجها نتيجة ممارسة  
واستقراء ، ولم ندع بذلك استيعاب كل ما يمكن أن يكون سببا لطروء  
الإباحة ، فإنه يمكن أيضا في بعض الأحوال والصور أن يكون من سلطة

ولى الأمر تغيير بعض الأحكام ومنها المباح الذى قد تقضى المصلحة أن يحكم بتحويل كل من الواجب والمحذور إليه على ما بيناه فى كتابنا « الإباحة عند الأصوليين والفقهاء » ..

بقى أنه ينبغي لنا فى ختام الكلام عن أسباب الإباحة الطارئة فى الفقه الإسلامى أن نشير الى أن هناك أشياء تشبه المباحات من جهة أن فى كل منها رفع الإثم والحرَج من الشارع ، إلا أنها تتميز عن المباحات بأنه لم يرد فيها خطاب من الشارع للشخص نفسه ، وإنما ورد الخطاب بشأنه لمن له عليه ولاية رافعا العقاب عنه فى الدنيا ومبينا بأنه لا حساب عليه فى الآخرة . وما كان من هذا النمط لا نستطيع أن نسميه من المباحات وإنما هو من قبيل ما يسمى فى القانون الجنائى بموانع المسؤولية . كأن يكون الشخص غير أهل للتكليف فإن الفعل نفسه يبقى غير مباح واجبا كان أو محظورا ، ولذا فإنه إذا تضمن الفعل إتلفا أو اعتداء ضمن فى ماله فقط مع أن المسؤولية تثبت كاملة بالنسبة لمن شاركه من توافرت له الأهلية والإرادة على ما بيناه فى موضعه من الكتاب المذكور ، وقارنا بين أسباب الإباحة الطارئة التى ذكرناها وبين ما جاء به القانون الجنائى من أسباب مما لا يتسع له هذا المقال ولا يناسب عرضه فى هذا المقام .

وانى إذ اختتم هذا الموضوع فإنى أستمح القارئ العادى عذرا فيما قد يكون لاقاه فى قراءة ما كتبت فيه من عناء ، برغم محاولة تبسيط الموضوع وضغطه بقدر المستطاع ، والى لقاء فى موضوع آخر إن شاء الله .

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا « مباحث الحكم عند الأصوليين » عند الكلام عن الحكم الوضعى والكلام عن السبب .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا الإباحة عند الأصوليين والفقهاء من ص ٣٦٩ - ٣٨٤ وقد سلطنا فى التفرقة بين الإباحة الأصلية والطارئة مسلطا قد يختلف عن مسلك الأصوليين الذين قصرُوا كلامهم فى الغالب على الإباحة الأصلية ، وقابلوا ذلك بالإباحة الشرعية .

(٣) انظر ذلك فى كتابنا الإباحة عند الأصوليين والفقهاء صفحة ٣٨٣ و ٣٨٤ والموافقات جـ ١ ص ٢٢٤/٢٢١ .

(٤) المستصفى جـ ١ ص ٩٩ .

(٥) الاحكام فى اصول الاحكام جـ ١ ص ١٨٩ .

(٦) جـ ٣ ص ١٥٣ ..

(٧) الإباحة عند الأصوليين من ٤١٣/٣٨٨ .

(٨) كشف الاسرار جـ ٣ ص ٨٧٨ .

(٩) الإباحة عند الأصوليين والفقهاء ص ٤١٧/٤٢١ ..

(١٠) وقد أجاز هذا التعاقد الامام أحمد بن حنبل ، والزننى من الشافعية ، وطعنوا فى سند الحديث ودلالته .

(١١) المقاصدة فى الفقه الإسلامى بحث مقارن مطبوع سنة ١٩٥٦ المدخل للفقه الإسلامى .

# مأساة المسلمين في بورما

حقائق حول اضطهاد المسلمين في بورما .

يشكل المسلمون في بورما اكبر اقلية من السكان ، إذ يبلغ عددهم ثلاثة ملايين نسمة من بين حوالي ثلاثين مليون نسمة ، ويعيش معظمهم في المناطق الشمالية الغربية ، وأما بقية الأديان الموجودة في بورما فهي الديانة البوذية وهي ديانة الأغلبية السكانية ثم ديانة عباد الطبيعة .

ويتولى الحكم في بورما حكومة اشتراكية من البوذيين ، وقد نالت استقلالها عام ١٩٤٨ م ، والصعب أن المسلمين البورميين يلقون أقسى المعاملة من قبل حكومتهم الحالية ، فانهم يشردون من ديارهم ويهرلون منها وتغرض عليهم الضرائب البهظية . ولما كان معظمهم من المزارعين والأعمال فإن الحكومة تبتز أكثر من ٩٠٪ من حاصل انتاجهم الزراعي وهناك أمثلة كثيرة من قيام الحكومة بانتزاع ملكية الأراضي وكل شيء من المسلمين بالآذات .

وقد قرأت في مجلة المجتمع الكويتي الممدد الثاني السنة الأولى الثلثاء ١٧ من محرم الموافق ٢٤ من مارس ١٩٧٠ ( أنه جاء الى الكويت شاب بورمي وقيل لرئيس تحريرها لقد انتزعوا منا كل شيء ، كنت ووالدي نساكر في الأدوات الكهربائية وكان راسي ملثنا يسادل مليون روبية ، وكانت تجارتنا مزدهرة ولكن الحكومة الاشتراكية العسكرية في بورما لم يرق لها ذلك فاصدرت أمرا بتأميم جميع أموالنا ولم يبق لنا إلا عقارات بسيطة لم يسمح لنا ببيعها وهي معرضة للتأميم وفرت من بورما الى الهند وهبت على وجهي بحثا عن عمل وتركت زوجتي في الهند وجئت الى الكويت .

أما موقف الحكومة البورمية من الحرية الدينية فانها تحارب ممارسة الشعائر الإسلامية فلا يجري أحد تقريبا على اعتياد المساجد ونادرا ما تسنح الفرصة لإقامة صلاة الجمعة حتى أن المسلمين لا يسمح لهم بالخروج من مناطقهم وتسحب بطاقاتهم الشخصية ويزج بكثير منهم في السجون لا لشيء الا لأنهم مسلمون حتى فريضة الحج لم تسمح حكومة بورما لأحد من المسلمين لإدائها . فمؤذ عام ١٩٦٢ م لم يخرج أحد من بورما حاجا الى بيت الله الحرام حتى الآن . وتبذل رابطة العالم الإسلامي قصارى جهدها في سبيل اقناع حكومة بورما للسماح للمسلمين لإداء فريضة الحج ولإصلاح حالهم ووشمهم .

إننا نناشد الاقطار الإسلامية العرة في العالم أن تتدخل لحماية المسلمين من هذا الاضطهاد الشديد وأن تساعد المصون والمساعدة للمهاجرين من بورما في العالم الإسلامي فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم » . كما نرجو من هذه الحكومات الإسلامية عامة والعربية الشقيقة خاصة أن ترفع هذه المشكلة للأمانة العامة للأمم ووزراء الخارجية الإسلامية وإلى الأمين العام للأمم المتحدة عسى أن يحقق في الأمر ، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل .

# الحدود في الإسلام ٢

## الفصاح في الفقه

- ١ -

في العدد الثامن والتسعين من مجلة « الوعي الاسلامي » ( غرة صفر سنة ١٣٩٣ ) - وقف بنا الحديث عن الحدود في الإسلام ، عند حد القتل ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وذلك بعد أن عرضنا لحكمة الحدود التي أوجبها الإسلام على بعض الجرائم والمنكرات ، وما تنطوي عليه هذه الحكمة من آثار بالغة في حفظ كيان المجتمع الإنساني ، واحترام ناهوسه ، وإقرار أمنه ونظامه ، فضلاً عما تبعث هذه الحدود القائمة بسلطانها على كل فرد في المجتمع ، من إشاعة روح الأمن والسلام في النفوس ، والتهاف بها الا تخرج عن صورة الإنسانية السوية الكريمة ، التي خلق الله تعالى الإنسان عليها ..

وقد عرضنا في الحديث لما يتساقط من أفواه بعض السفهاء من الناس ، من مفتريات على الإسلام ، واتهام له بالهجية والوحشية في العقوبات التي فرض إقامتها في صورة علنية على مرتكبي جرائم الزنا ، والقتل ، والسرقة ، وشرب الخمر .. ثم كشفنا عن وجه الحكمة في حد الزنا ، وفي التفرقة بين المحصن وغير المحصن ، في صورة الحد الذي يقام على كل منهما . ونعود في حديثنا هنا الى بقية الحدود ، وليكن حديثنا اليوم مقصوراً على جريمة القتل ، وموقف الإسلام من هذه الجريمة ، وما رصده من عقاب لمرتكبها .

- ٢ -

وبادئ ذي بدء ، فقد فرق الإسلام في القتل بين ما هو قصد وعمد ، وما قد وقع عن خطأ ، ومن وراء النية والقصد .. إذ كان اعتداء الشريعة الإسلامية بأي قول أو عمل ، مردوداً الى النية التي انعقدت عليه ، ودفعت به الى حيز

وكم في إقصاء حياة يادى الألباب لكم تقول  
صدق الله العظيم

### للاستاذ عبد الكريم الخطيب

الواقع ، سواء فى ذلك الحسن أو السىء من الأقوال والأفعال ، حيث يكون مع الإنسان فى تلك الحال ، اختياره ومشيتته ، وإرادته .. فإذا وقع القول أو العمل عن خطأ ، أو نسيان ، أو إكراه ، لم يكن شىء من ذلك من كسب الإنسان ، ومن ثم لم يكن محسوباً له أو عليه ، فى مقام الثواب أو العقاب .. وفى هذا يقول الله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » ( ٨٩ : المائدة ) .. ومعنى تعقيد الإيمان ، توثيقها بالإرادة المدركة الواعية .. وما يجرى على الإيمان ، يجرى على كل قول وعمل يصدر عن الإنسان .. يقول الله تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، رينا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ( ٢٨٦ : البقرة ) .. ويقول النبى الكريم : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه . » ثم لأن القتل ، سواء أكان عمداً أم خطأ ، هو إزهاق لنفس إنسانية ، هى نفخة من روح الله ، وفى إزهاق هذه النفس ، عدوان على الله ، وانتهاك لحرمة فى هذا الإنسان الذى سواه بيده ، وأقامه خليفة له فى الأرض ، وأمر ملائكته بالسجود له يوم مولده ، احتفاء بظهور هذا الكائن العظيم . الذى أودع فيه الخالق العظيم من صفاته : العلم ، والقدرة ، والإبداع ، والخلق ، والإرادة .. وفى الحديث الشريف : « خلق الله آدم على صورته » ( رواه البخارى ومسلم ) .. من أجل هذا أقام الله تعالى فى شريعته ، حراسة ، دائمة ملازمة للإنسان تدفع عنه عوادي العدوان على حياته ، التى هى ملك لله وحده ، لا يجوز لأحد أن يسلبها غير الله ، إذ لم يكن أحد يستطيع منحها غيره سبحانه .. فأوجب سبحانه وتعالى القصاص ممن يتعدى حدود الله ، ويقتل نفساً أحيهاها الله ..

وإذا كان سبحانه — رحمة منه وإحسانا — قد تجاوز للناس عما يقع منهم من أعمال سيئة عن غير نية أو قصد ، كالخطأ والنسيان والإكراه فإنه جل شأنه في جانب إزهاق نفس الإنسان وارقة دمه لم يجعل الخطأ والنسيان والاكراه مبررا — على إطلاقه — للتجاوز عن قتل أى نفس ، تحت أى ظرف من هذه الظروف ، ولم يجعل دم الإنسان يضيع هدرا من غير محاسبة ، للقاتل ، وإن كان سبحانه قد خفف الحساب والمؤاخذه ، تحت هذا الظرف الذى وقع فيه القتل من وراء قصد الإنسان ، وذلك ليشعر القاتل ، ولتشعر الحياة كلها بأن أمرا عظيما فظيما قد حدث : « تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنفشق الأرض وتفطر الجبال هدا »

حقاً ، إن هذا القاتل ، إنما قتل عن غير قصد أو نية ، الأمر الذى يستوجب — رحمة وعدلا — ألا ينسوى حسابه فيه ، على ميزان من قتل عمداً ، وبغياً . . ولكن لا بد أن ينظر — مع هذا — الى ذلك الإنسان الذى قتل بيد أخيه الإنسان ، وأن ينال قاتله بعض العقاب على فعلته تلك ، الأمر الذى من شأنه أن يجعل عوارض الخطأ فى هذا المقام واقعة تحت حساب دقيق ، ومحاذرة واعية ، مصاحبة لمشاعر الإجلال والإعظام لدم الإنسان ، الذى إن أريق فى تلك الحال ، اهتزت له السموات والأرض ومن فيهن ، فزعا وفرقا ، وهذا من شأنه أن يقيم فى نفس الإنسان وازعا يزعجه عن تلك الأعمال الطائشة التى تقع عن استخفاف واستهتار وغير مبالاة ، والتى هى أكثر ما تكون سببا فى القتل الخطأ !!

### - ٣ -

لهذا أوجب الإسلام فى القتل الخطأ تلك العقوبة ، التى هى وسط بين القصاص والعفو ، القصاص فى جانب القتل ، والعفو فى جانب الخطأ . . يقول الله تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ ، فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى أهله إلا أن يصدقوا . . فإن كان من قوم عدو لكم ، وهو مؤمن ، فتحرير رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ، فدية مسلمة الى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، توبة من الله ، وكان الله عليما حكيما » ( ٩٢ : النساء ) . . والآية الكريمة فى هذا ، واضحة المعالم ، بيّنة الحدود ، فى تسوية الحساب لهذه النفس التى قتلت خطأ ، بغير جناية جناها صاحبها . . فاولا : استبعدت الآية الكريمة — فى استنكار بالغ — أن يقتل مؤمن مؤمنا ، فهذا الفعل المنكر ، لا يصح أن يقع من إنسان مؤمن بالله ، يتوقى حدود الله ، ويحذر محارمه ، ويحترم إرادته . . وثانيا : استثنت الآية الكريمة ، من استنكار قتل المؤمن للمؤمن ، أن يكون هذا القتل عن خطأ ، إذ كان الخطأ فى عمومه ، مما تجاوز الله تعالى عنه ، لهذه الأمة ، رحمة بها ، وإحسانا إليها . . وثالثا : ليس هذا التجاوز عن القتل الخطأ على إطلاقه ، بحيث يمضى القاتل ، وكأنه لم يفعل شيئا ، ولم يأت أمرا إدا . . فقد أوجب الإسلام على القاتل — لكى يتطهر من هذا الدم الذى علق بيده — أمورا هى :

١ — أن يحرر رقبة مؤمنة ، فيخلصها بذلك من العبودية ، التى هى فى حقيقتها ، إهدار لإنسانية هذا الإنسان ، وقتل بالحياة لآدميته . . وفى خلاص هذا الرقبة من العبودية إحياء لها من الموت ، وبعث لها من بين الأموات . . وكان القاتل بهذا قد أحيا نفسا مؤمنة ، بدلا من تلك النفس المؤمنة التى قتلها

خطأ .. وبذلك يكون قد سوى حسابه مع الله ، إذ قتل نفساً ، وأحيا نفساً ..  
كما أنه قد سوى حسابه مع الإنسانية ، إذ قد انتزع منها إنساناً ، وقدّم لها  
إنساناً !!

٢ - إذا لم يجد القاتل بين يديه الرقبة التي يمتقها ، أو المال الذي  
يشتري به رقبة ليتمتها - وجب عليه صيام شهرين متتابعين ، فإنه « لا يكلف  
الله نفساً إلا وسعها » ..

٣ - بقى بعد هذا أن يسوى القاتل لنفس المؤمن خطأ ، حسابه مع  
أولياء دم القتل .. وهؤلاء الأولياء ، تحكمهم ثلاث صور :

١ - أن يكونوا من المؤمنين ، وهم فى هذه الحال مخيرون بين أخذ الدية ،  
أو التصديق بها على القاتل ، وقد حثهم الله تعالى على التصديق .. وحسب القاتل  
ما يعالج من آلام وهموم ، من قتل هذه النفس المؤمنة !.

ب - أن يكون أولياء دم القتل المؤمن ، من قوم غير مؤمنين ، هم فى وجه  
عداوة للمؤمنين ، وفى حرب ظاهرة أو خفية معهم .. وفى هذه الحالة لا تقدم  
لهم الدية ، لأن فى تقديمها عوناً لهم بها فى حربهم مع المؤمنين ..

ج - أن يكون أولياء دم القتل المؤمن ، من قوم غير مؤمنين ، ولكن بينهم  
وبين المؤمنين عهد وميثاق بالموادعة والسلام .. وهنا يجب أن تقدم لهم الدية ،  
من مال القاتل ، فإن لم يكن فى مال القاتل ما يتسع لها ، أو لم يكن ذا مال  
أصلاً ، تولت الجماعة المؤمنة تقديمها لهم من بيت مال المسلمين .. ولا يقبل  
منهم التصديق بها على القاتل ، لأن هذا المال المقدم لهم على سبيل الدية ،  
هو حق لهم ، وهو إذا وقع لأيديهم أصبح مالا خبيثاً ، لا يوضع موضع الصدقة !!

- § -

هذا عن القتل الخطأ ..

أما القتل العمد ، فهو رأس الجرائم ، وكبيرة الكبائر ، والله سبحانه  
وتعالى يقول : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً ، فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب  
الله عليه ، ولعنه ، وأعدّ له عذاباً عظيماً » ( ٩٣ : النساء ) ..

هذا هو حساب الله تعالى للقاتل ، وذلك وعيده له فى الآخرة ..

أما حسابه فى الدنيا ، فقد أمر الله تعالى بالقصاص منه ، وقتله بتلك  
النفس التى قتلها ، عن عمد ، ظلماً وعدواناً .. والله سبحانه وتعالى يقول :  
« ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ، فلا يسرف فى القتل .. إنه كان  
منصوراً » ( ٣٣ : الإسراء ) ..

فالقاتل هنا ، لا يقبل منه تحرير رقبة ، ولا دية مسلمة الى أهل القتل ،  
ولا صيام شهرين متتابعين ، وإنما يقاد للقصاص ، ويقدم الى أولياء دم القتل ،  
ليقتصوا منه بقتيلهم .. فهو فى تلك الحال فى حكم المقتول .. ثم أن لأولياء  
الدم بعد هذا أن يقتلوه ، أو يقبلوا الدية منه ، أو يعفو عنه .. وذلك حسب  
مشيئتهم فى القاتل ، وفيما يقع فى تقديرهم للظروف والأحوال المتغيرة به ..  
فإن قتلوه ، كان قتلهم إياه حقاً وعدلاً ، وإن قبلوا منه الدية كان ذلك منهم إحساناً  
ورحمة ، وإن عفوا عنه ، كان ذلك فضلاً وتسامحاً .. وذلك كله مضاف الى  
حسابهم ، وليس للقاتل شيء منه !

وهذا القصاص إنما هو عقوبة دنيوية للقاتل ، وحق مطلق لأولياء دم  
القتيل ، ولولى الأمر القائم على جماعة المؤمنين .. وذلك ليكون عبرة رادعة  
لغيره ، ووازعاً قاهراً يزرع من تحدثه نفسه بالإقدام على قتل غيره .. وفى هذا  
سياسة لدم الإنسان ، حتى لا يكون فى الناس من تحدثه نفسه بقتل إنسان ، ثم

يظن ، أو يوقن أنه بمنجاة من القتل .. وبهذا تموت كثير من نوازع القتل ، وتغرب كثير من الخواطر التي تتردد في صدور بعض الناس للإقدام على قتل غيرهم .. والله سبحانه وتعالى يقول : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » ( البقرة : ٢٥١ ) .. ويقول جلّ شأنه : « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » ( البقرة : ١٧٩ ) ..

فالقصاص من القاتل ، — وإن كان في صورته الظاهرة موتا لإنسان ، وقتلا لنفس — هو في حقيقته ، حياة للناس جميعا ، وحماية لهم من قتل ذريع ، لا يبقى ولا يذر .. ويدخل في ضمان هذه الحياة ، هذا القاتل نفسه ، والقتيل الذي قتله ، ظلما وعدوانا !!  
ففي قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » ، وفي تنكير كلمة « حياة » ما يتسم لهذه المعاني كلها ..

فأولا : القصاص من القاتل ، يمسك كثيرا من الأيدي عن القتل ، في ظروف واحوال ، تتحرك فيها نوازع أصحابها الى العدوان على غيرهم ، وإزهاق أنفسهم ، فإن أكثر ما يردّ الناس عن الإقدام على هذه الفعلة النكراء ، هو حرصهم على حياتهم ، وخوفهم من أن يقتص منهم بالقتل بمن يقتلونه .. فهذا القصاص الراسد لهم ، هو الذي حفظ لهم حياتهم ، وحياة من كانوا يحدثون أنفسهم بقتلهم .. وهذا يعني أن قيام القصاص في القتل دستورا عاملا في الحياة ، هو الذي أبقى على حياة الناس ، ولولا هذا لاستخف الناس بالقتل ، ولم يزعهم من دين ضمير أو دين ، إلا من عصم الله ، والله سبحانه وتعالى يقول : « ولكم في القصاص حياة » .. ويقول عثمان بن عفان — رضى الله عنه — « أن الله ليزع بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن »

وثانيا : هؤلاء الذين نفذوا جريمة القتل في قتلهم .. انهم لم يقدموا على ما فعلوا إلا بعد تردد طويل ، قد يمتد سنين ، قبل الإقدام على القتل ، ووقوع الجريمة ، حرصا على حياتهم ، وخوفا من الموت الراسد لهم في القصاص منهم ، وبهذا التردد ، وتلك المطاولة ، حياة لهم ، وحياة لقتلاهم ، مدة امتدت من وقت الهم بالقتل ، والنزوع اليه ، الى وقت التنفيذ ، ولو انهم استجابوا لأول خطرة تخطر لهم بالقتل ، لخسروا هذه الفترة من حياتهم ، كما يخسرها من عجلوا بقتلهم .. هذا ما ينطق به واقع الحياة ، أمان لكل أجل كتابا ، وأما أن لكل أمة أجل ، إذا جاء أجلهم ، فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، فذلك غيب لا يعلمه إلا الله ، وأليه وحده سبحانه مرده ، وبيده وحده سبحانه الحكم فيه .  
وفي قوله تعالى : « لعلكم تتقون » .. إشارة كاشفة لهذا الاثر العظيم الذي للقصاص في حياة الناس ، وأنه أقوى قوة عاملة في حفظ حياتهم ، وذلك بتجنب القتل ، وانقاء عواقبه الوخيمة التي يجرها القتل على القاتل ، بالقصاص منه ..



بهذا التدبير الحكيم ، فيما شرع الله تعالى من القصاص في القتل ، حفظ سبحانه كثيرا من النفوس أن تقتل ، وكثيرا من الدماء الإنسانية أن تراق .. وفي ذلك — كما أثرنّا من قبل — إشعار بما للإنسان من مكانة كريمة عند الله ، من بين المخلوقات ، وأن دمه عزيز على الله أن يراق على الأرض ، كما يراق دم الحيوان ..  
وفي التعقيب على ما حدث بين ابني آدم من عدوان أحدهما على الآخر



وقتلته — يقول الله تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل ، أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها ، فكأنما أحيا الناس جميعا » ( ٣٢ : المائدة ) .

فإذا كان القتل عدوانا على الله ، الذي بيده وحده سبحانه الحياة والموت ، وإذا كان الإنسان لا يملك من أمر الحياة شيئا ، فليس له أن يملك من أمر الموت شيئا كذلك . . وإذن فإنه من تعدى حدوده ، واجترأ على حرمة الله ، لم يكن له عند الله حرمة ، ولله سبحانه غيرة على حرمة الله ، وتنتهك ، وعلى حماه أن يستباح ، وعلى مقدساته أن تكون بمعرض البغى والعدوان . .

وإنه بسبب حرمة الحياة الإنسانية وقداستها وكرامتها فرض الله هذا الفرض على بنى إسرائيل وجعله حكما قائما عليهم ، وهو : « أنه من قتل نفسا بغير نفس ، أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » . . ذلك أن قتل نفس واحدة ، هو في حقيقته قتل لإنسان هو شجرة الإنسانية كلها ، وكذلك الشأن فيمن أحيا نفسا إنسانية ، بأن كف يده عن العدوان عليها ، أو دفع يدا معتدية عليها . وهذا يعنى أن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا !!

فالإنسان — أى إنسان ، يمثل الإنسانية كلها ، إذ كان خلق الإنسانية كلها جميعا من نفس واحدة ، هي النفس السارية في كل إنسان ، والتي هي نفخة من روح الله . . يقول الله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ( ١ : النساء ) . . نفى كل إنسان قبس من هذه النفخة المقدسة ، التي كانت منها الإنسانية كلها . . فمن قتل نفسا ، فقد أخذ تلك الشملة المقدسة ، التي هي أصل الحياة ، ومن أحيا إنسانا ، أى لم يعرض له بسوء ، أو دفع عنه سوءا يتهدد حياته ، فكأنما أحيا الإنسانية كلها ، وترك شملتها المقدسة متقدة .

وهذا الحكم الذى أخذ الله تعالى به بنى إسرائيل ، هو حكمه تعالى في الناس جميعا : « أنه من قتل نفسا بغير نفس ، أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » هذا هو حكم الله تعالى على الناس كلهم ، وإنما توجه هذا الحكم من الله تعالى إلى بنى إسرائيل ، لأمرين :

أولهما : أن بنى إسرائيل ، هم أسوا صورة إنسانية للإنسان ، وفى طبيعتهم النكدة اجتمع كل ما فى الناس من أبشع صور البغى والعدوان . . فهم أسرع الناس إلى قتل النفوس ، وإزهاق الأرواح ، وإراقة الدماء ، ما أمكنتهم الفرصة ، وأسعفتهم الأحوال ، إرواء لتلك الطبيعة المتعطشة إلى امتصاص أموال الناس ودمائهم ، حتى إنهم لم يرعوا لرسول الله وأنبيائه اليهم حرمة لدمائهم ، فقتلوا كثيرا من هؤلاء المبعوثين اليهم من عند الله ، يحملون اليهم الدواء ، لما اندس في كيانتهم من علل وأمراض . . يقول الله تعالى فيهم ، منذرا بالويل والبلاء لهم : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » ( ٨٧ : البقرة ) .

وثانيهما : أن شريعة بنى إسرائيل التي أنزلها الله تعالى على موسى ، كانت أقدم الشرائع السماوية العاملة في الحياة ، إلى أن أدرکها الإسلام ، ونظر فيها وفى اتباعها . . فكان ما نزل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس

**جميعاً** - كان هذا القول الكريم ، مواجهة للمسلمين ، بما شرع الله تعالى لهم من شرع كان قد شرعه من قبل لأمم سبقتهم ، كما يقول سبحانه : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ( ١٣ : الشورى ) .. كما كان ذلك تذكيرا لبني إسرائيل بما فرضه الله تعالى عليهم فى الدماء ، وحرمتها ، حتى يقيموا التوراة على وجهها الذى اقامها الله تعالى عليه ، وحتى يستقيموا على شريعة الله ، بعد ان انحرفوا عنها ، وانفسدوا معالمها بالتبديل ، وسوء التأويل .

- ٦ -

واكثر من هذا ، فان حرمة دم الإنسان فى الشريعة الإسلامية ، لا تقف عند حد تجريم من قتل غيره ، واخذه بالقصاص منه فى الدنيا ، ورصد العقاب الاليم له فى الآخرة ، مرجوما بفضب الله ولعنته - بل إن تلك الشريعة قد جردت قاتل نفسه ، واخذته بما تأخذ به القاتلين غيرهم عمدا ، وانزلتهم منازلهم فى نار جهنم خالدا فيها .. ذلك ان هذا القاتل لنفسه ، قد اعتدى على حياة مقدسة ، البسها الله تعالى إياه ، وتولى بنفسه ما هو حق الله فيه ، فالله سبحانه هو الذى ينزعها منه متى شاء .. يقول سبحانه وتعالى : « كيف تكفرون بالله ، وكنتم امواتا فاحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » ( ٢٨ : البقرة ) فهذا الذى استمحل موت نفسه ، وعهد بيده الى إزهاقتها ، لضيق نزل به ، أو مرض اشتد عليه ، أو مصيبة أصابته فى مال أو اهل أو ولد ، أو نحو هذا مما يدعو بعض الناس الى الفرار من الحياة بالانتحار - وهذا الإنسان ، هو سىء الظن بربه ، كافر به وبقدرته ، متبرم بقضاء الله متبرد على حكمه فيه ، فكان جزاؤه عند الله هذا الجزاء الاليم ، الذى يتناسب مع فعلته الآثمة ، والذى هو من جنس عمله .. يقول رسول الله ، - صلوات الله وسلامه عليه - : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده ، يجا بها بطنه يوم القيامة ، فى نار جهنم ، خالدا مخلدا فيها أبدا .. ومن قتل نفسه بسهم تردى به ، فسهمة فى يده ، يتحسسها فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » ( رواه البخارى ومسلم ) .. ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « من قتل نفسه بشيء ، عذب به يوم القيامة » .

- ٧ -

هذا هو مقام الحياة الإنسان ، وتلك هى منزلتها عند الله .. لا يرحم الله تعالى فى الدنيا ولا فى الآخرة من لا يرحمها ، ولا يحفظ من لا يحفظها ، ولا يرمى حرمة لن لا يرمى حرمتها فى نفسه أو فى غيره .. ومع هذا ، فان مدنية الغرب ، والمخدوعين بهذه المدنية ، تستخف بقتل النفس ، وتستبيح دم الإنسان ، فى الأفراد والجماعات والشعوب ، وتهلك الحرث والنسل ، ولا ترى فى ذلك ما ينخس ضميرها ، أو يحرك مشاعرها ، ثم هى مع هذا ترمى الإسلام بالقسوة وتنتهم بالحيوانية ، والوحشية ، والهمجية وتثير فى وجهه حربا شعواء ، لا لشيء إلا لأنه جعل القصاص فى الدماء ، وقتل القاتل بمن قتله ، حكما من أحكام شريعته ، يقيمه بين الناس ، ويأخذهم به .. ثم ينتهون من هذا الى نتيجة ، هى أن هذه الشريعة هى من إفرازات الحياة البدوية القبلية ، التى ظهر فيها هذا الدين ، وطبع بطابعها .. وإنك لترى القوم فى تبرير اتهامهم للإسلام بالقسوة والبربرية والوحشية ، والتعطش الى إراقة الدماء ، وإزهاق الأرواح - تراهم هنا يحيلون الأمر الى عملية حسابية فى مجال الانتاج المادى ، ويقيمونها على ميزان الربح والخسارة

المادية ، ثم لا يحوجهم هذا الى أكثر من النظر الى قطعان الماشية التى يملكونها ، ليقيموا منها الحجة على ما يقولون !!  
فهم يسألون او يتساءلون : إذا نطح حيوان حيوانا من هذا القطيع او ذاك ، فقتله .. أفىكون من العقل والمصلحة أن يقتل هذا الحيوان القاتل ؟ أن ما تقضى به المصلحة ، ويدعو اليه العقل هنا ، هو أن يعزل هذا الحيوان عزلا مؤقتا عن بقية رفاقه ، حماية لها من بطشه وشراسته !! ثم ماذا يجدى قتل هذا الحيوان القاتل ؟ أيعيد قتله الحياة الى الحيوان الذى قتله ؟ ثم ألا تكفى الخسارة فى قتل حيوان ، حتى يضاف الى ذلك قتل حيوان آخر ؟ الا يعد ذلك من باب الحمقة والنسفه ، وسوء الراى ؟

إنهم يسوسون « القطيع » الإنسانى بما يسوسون به قطعان الحيوان ، وينظرون اليه تلك النظرة المادية التى ينظرون بها الى عالم الحيوان ، ويقولون - فيما يقولون - إنه قد قتل إنسان بيد انسان .. فان تكن الانسانية قد خسرت إنسانا واحدا بهذا القتل ، فانها ستخسر اثنين اذا قتل قاتله !

هكذا يسوى منطق القوم هذه القضية ، على تلك الصورة ، حتى إن قوانينهم الوضعية التى لبست ثوب المدنية قد خلعت تماما من النص على قتل القاتل ، مهما كانت الظروف التى قتل فيها ، مقدرة أن فى الحكم على القاتل بالسجن بضع سنين ، ما يكفى لإصلاحه وتأديبه ، ثم عودته الى الحياة عضوا عاملا منتجا !! فهذا عند القوم كسب للحياة ، بالابقاء على حياة القاتل ، والعمل على إصلاحه ، وتقويم انحرافه ، دون أن ينظروا الى ما وراء ذلك من حرمان إنسان حق الحياة ، بفملة هذا القاتل ، وما تترك هذه الفعلة من آثار مزعجة ، فى أهل القتل ، من زوج ، وأبناء ، وآباء ، وإخوة وأخوات ، وغيرهم من ذوى قرابته ! ودون أن يقدروا أن ترك القاتل حيا ، مع الاكتفاء بحبسه تلك المدة المحدودة ، فيه إغراء له ، ولغيره بالإقدام على القتل ، مرة ، ومرة ، ومرة ، ومرة ؟

أما نظرة الإسلام الى جريمة القتل ، فهى نظرة عامة شاملة ، تحيط بها من جميع جوانبها ، وتحتويها ظاهرا وباطنا ، وتحسم شرها حاضرا ومستقبلا .. ونعمود فنذكر هنا ما قررته الآية الكريمة : « **ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون** » .. من وجوب القصاص ، وقتل القاتل بمن قتله ، وما فى هذا القصاص من ضمان وثيق لحفظ الانسانية ، والابقاء على الجنس البشرى كله ، وانه لولا هذا القصاص ، لقتل الناس بعضهم بعضا بغير حساب ، وبدون مبالاة ، ولجريت الدماء انهارا ، حتى ينتهى الأمر بالآباقى من أبناء آدم الا اثنان هما أقوى أبناءه ، ثم لا يلبث الأمر بينهما طويلا حتى يعدو أحدهما على الآخر فيقتله ، ونعمود الحياة الى سيرتها الأولى فيما كان بين ابنى آدم : قابيل وهابيل ، اللذين كانا كل ما فى الانسانية من آدميين على ظهر الأرض ، ومع هذا فقد عدا أحدهما على الآخر فقتله ، ليكون له وحده السلطان على هذه الأرض !!



ولا ننهى هذه الكلمة ، دون أن نشير الى أن كثيرا من دول الغرب التى حرمت إعدام القاتل فى قوانينها ، قد عادت أخيرا ، فجعلت الإعدام عقوبة فى شأنون عقوباتها ، بعد أن أصبحت جرائم القتل فيها ، تقع جهارا نهارا على أعين الناس ، وبعد أن أصبح من المألوف أن يكون العيث والهزل والتسلية ، من أكثر البواعث على القتل ، حتى إنه لا يتورع أحد الهازلين العابثين ، من أن يلعب لعبة

الموت هذه فيقتل أسيرة بأسرها ، لا لشيء أكثر من أن يرفه عن نفسه ، ويسليها بهذا العبث !!

وإن أقرب مثل لتلك الدول التي أخذت تقرر عقوبة الإعدام في قانونها ، الولايات المتحدة ، التي طلب رئيسها منذ أيام ضرورة إدخال هذه العقوبة في قانون الدولة .. وذلك بعد أن أصبح القتل في الولايات المتحدة ، هو اللعبة المفضلة للتسلية والترفيه !!

ولا شك أن في هذا شهادة قائمة ناطقة بأن هذا الدين ، هو دين الله ، وإن كلماته ، هي كلمات الله ، وأن أحكامه ، أحكام الله ، وأنه لا تبديل لكلمات الله ، ولا نقض لأحكامه ، مهما امتدت الأزمان ، واختلفت الاوطان ، وإن نبج النابحون ، وعوى المعاوين ..

ثم لا بد من كلمة أخيرة نهمس بها في آذان أولئك المخدوعين المتهوسين ، المفتونين بأوربا وأمريكا من أبناء العروبة والإسلام !! والذين نراهم ونسمعهم يدعون — بغير فهم ولا عقل إلى إلغاء عقوبة الإعدام ، والتي يعدونها وصمة في جبين الإنسانية ، وشهادة قائمة في الناس بأن ديننا يعيش في غير زمنه ، وأن أهله يعيشون في عصر غير عصرهم .. وهم في هذا الهراء ، يحسبون أنهم دعاة إصلاح ، وقادة نهضة !! وما هم في الواقع إلا ببغاوات حبيسة في أقفاص أوربية وأمريكية ، يلتقطون ما يلقي إليهم من يد سادتهم من حب ، وما بطرق آذانهم من كلمات .. ثم ينقلون هذه الكلمات على نحو ما سمعوها ، دون أن يعقلوها ، أو يعرفوا لها مدلولاً ..

هكذا أولئك المتهوسون الببغاويون ، في كل ما ينعقون به من غريب الآراء ، وبدع الدعوات .. أنهم لا يعدون أن يكونوا « اسطوانات » مبعسة بالدعوات المضللة ، والمفتريات الخبيثة ، التي يسمعونها من هنا وهناك من أدعياء المستشرقين الذين يكيدون لديننا ، ولتراثنا ..

وقد وقانا الله شر هذا « البؤم » الناعب في ديارنا ، مبشرا بنقص حكم من أحكام شريعتنا ، بما كانوا يدعون إليه من إلغاء حكم الإعدام ، الذي يصم مجتمعنا — في أوهامهم — بالبربرية والوحشية ..

فبأي لسان يتحدث هؤلاء الببغاوات عن إلغاء حكم الإعدام ، وقد خرسست السفة أسانذتهم ، فلم تعد تنطق بهذا القول ؟ فليبحثوا لهم اذن عن مقولة أخرى يتعاملون بها ، وليدخلوا بها في زى المجددين التقدميين ، وذلك بعد أن تزايد لهم حمرة الخجل ، ويجف من جباههم عرقه ، أن كانت وجوههم تعرف الحياء والخجل .. وصدق رسول الله اذ يقول : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » ..

وإن في هذا لعبرة لمن يتلقون مثل هذا الزور من القول ، ويتأثرون به ، ويهتزون إيمانهم منه ، وليعلموا أن دينهم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن شريعتهم هي شريعة الله التي لا يفيض على الأيام معينها ، ولا تتعطل على الزمن مواردها .. والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم ، وفي رسوله الأمين : « وبالحق أنزلناه ، وبالحق نزل ، وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا » ..

# بالغة العصر الزكاة

للدكتور محمد شوقي الفنجري

من يرجع الى كتب الفقه الاسلامي ، يجد اختلافا بعيد المدى في كيفية تطبيق فريضة الزكاة ، عبر عنه فقيد الاسلام وشيخ الازهر الاسبق الامام محمود شلتوت بقوله : ( على رغم ما اعتقد من أن الخلاف النظري يدل على حيوية فكرية قوية وعلى سماحة النظام الذي يكون في ظله ذلك الخلاف — على الرغم من ذلك ، فكم يضيق صدري حينما أرى أن مجال الخلاف بين الأئمة في تطبيق هذه الفريضة يتسع على النحو الذي نراه في كتب الفقه والاحكام ) . ثم يقول : ( هذه الفريضة يجب أن يكون شأن المسلمين فيها أو شأنها عندهم جميعا كشأنهم في الصلاة ، وشأن الصلاة فيها تحديد بين واضح ، لا لبس فيه ولا خلاف « خمس صلوات في اليوم والليلة » ) . ثم يقول ( لست أشك في أن وحدة المسلمين في واجباتهم الدينية والاجتماعية التي أخذ الله بها عليهم العهد والميثاق ، تقضى على علمائهم وأولياء الأمر منهم بالمسارعة الى إعادة النظر فيما أثار عن الأئمة من موضوعات الخلاف التي أخشى أن تمس أصل هذه الفريضة ، ويكون

ذلك النظر الجديد على أساس الهدف الذي قصده القرآن من افتراضها وجعلها واجبا دينيا تكون نسبة المسلمين فيه وفي جميع نواحيه على حد سواء ( ١ ) .

ورغم المحاولات الحديثة التي بذلت وما زالت تبذل ، فإننا حتى الآن لم نستطع أن نذل مهمة ولي الأمر ، تنفيذ أحكام هذه الفريضة التي أرادها الله أن تكون ركنا أساسيا في تنظيم المجتمع ، وذلك باتفاق فقهاء الإسلام على أحكامها وعلى كل ما يتصل بهذه الفريضة بعد أن اختلفوا في كل ما يتصل بها اختلافًا بعيد المدى ، ثم إعلان الأحكام المتفق عليها للكافة حتى تكون موضع التكليف .

ولسنا هنا بصدد دراسة ولو أجمالية لموضوعات الزكاة ، فإن ذلك يتجاوز نطاق هذا المقال . وإنما كل ما يهمنا هو محاولة ربط أحكام الزكاة بواقع عالمنا الحاضر . ونكتفي هنا بعرض ثلاث مسائل رئيسية ، تعالج كل منها في فرع مستقل .

**الفرع الأول :** الزكاة هي مؤسسة الضمان الاجتماعي في الإسلام .

**الفرع الثاني :** وعاء الزكاة ، ونصابها ، وسعرها .

**الفرع الثالث :** هل يجوز أداء أهل الذمة للزكاة بدلا من الجزية الواجبة عليهم .

### ١ - الزكاة مؤسسة الضمان :

لم يكتف الإسلام بمجرد الدعوة إلى الضمان الاجتماعي بمعنى ضمان حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد ، وإنما أنشأ له منذ أربعة عشر قرنا مؤسسة مستقلة هي مؤسسة الزكاة التي هي بالتعبير الحديث مؤسسة الضمان الاجتماعي .

### ١ ( ا ) حداثة نظام الضمان الاجتماعي في العالم وقدمه في الإسلام :

من المعروف أن نظام الضمان الاجتماعي ، حديث في عالمنا الحاضر ، فهو نتاج صراع الطبقات وثمره المشاكل الاجتماعية المتولدة عن الثورة الصناعية والتشدد الاقتصادي . بخلاف الأمر في الإسلام ، فقد قرره منذ أربعة عشر قرنا كضرورة حتمية للتضامن على البؤس والفقر وتحرير الإنسان بانسم الدين من عبودية الحاجة .

ولعل أهم دور اسند إلى مؤسسة الزكاة في العهد الاسلامي الاول هو ضمان حد لائق لمعيشة كل فرد ، يسميه رجال الفقه الاسلامي بحد الكفاية وهو خلاف حد الكفاف ، ولذلك يعبر عنه بعض الفقهاء باصطلاح ( حد الفنى ) .

ولم يقف دور مؤسسة الزكاة على مجرد سد حاجة الفقير العاجز ، بل اعطاء فرصة العمل للقادر عليه . فكثيرا ما اعطى الفقير ما يمكن أن نسميه برأس مال ليبدأ تجارة ينميها أو يشتري آلات لصناعة يعرفها . كذلك لعبت مؤسسة الزكاة في العهد الاسلامي الاول دورها في تخفيف الاعباء العائلية ، من ذلك ما قرره عمر بن الخطاب باعطاء كل مولود مائة درهم ويزيد المعطاء كلما نما الولد .

### ب ) الضمان الاجتماعي هو الركن الثاني في العقيدة بعد الصلاة :

اعتبر الاسلام اداء حق الزكاة ، اى حق الضمان الاجتماعي وكفالة حدد الكفاية لا الكفاف لكل مواطن ، بمثابة الركن الثاني في العقيدة بعد الصلاة . فالقرآن يقول : ( واقبلوا الصلاة وآتوا الزكاة - البقرة / ٨٣ ) ، ويقول : ( وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة - البينة / ٤ ) ، ويقول : ( ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مضاهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - الحج / ٤٠ - ٤١ ) ، ويقول : ( وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون - فصلت / ٦ - ٧ ) . كما ورد في السنة الصحيحة ، ان الصلاة غير مقبولة ممن لا يحرص على ايتاء الزكاة .

وتعتبر حرب ابي بكر المسمى الزكاة ، اول حرب في التاريخ تخوضها دولة في مبدأ الضمان الاجتماعي ، فقد حدث عقب وفاة رسول الله ان امتنع فريق من العرب عن اداء الزكاة ، فقرر ابو بكر الصديق قتالهم وقال كلمته المشهورة ( والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عن منعه ) . وانه حين اعترض عمر بن الخطاب على قتال المتنعة عن اداء الزكاة قائلا كيف نقاتلهم وهم مسلمون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويقيمون الصلاة ، يجيبه ابو بكر في عزم وتصميم ( والله لأقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة ) ، فبقيت عمر بن الخطاب ويقول : ( فوالله ما هو الا ان رأيت الله شرح صدر ابي بكر للقتال ، فعرفت انه الحق ) .

### ج ) الزكاة فريضة مستقلة مخصصة لأهداف الضمان الاجتماعي :

والزكاة ليست مجرد احسان متروك لاختيار المسلم ، وانما هي فريضة الزامية يستوفيها الحاكم الاسلامي الى جانب الضرائب التي كانت تحصلها الدولة الاسلامية في عهدها الاول لمواجهة التزاماتها المختلفة ، كضريبة المشور ، وهي ضريبة جمركية . اذ الأمر كما ورد في الحديث النبوي ( ان في المال حقا سوى الزكاة ) . وكان يفرد للزكاة بيت مال مستقل خلاف موارد بيت المال الأخرى ، بحيث لا يجوز مثلا الإنفاق من حصيلتها على الجهاز الاداري للدولة .

وهى فريضة مخصصة لأهداف الضمان الاجتماعى ، بحيث لا يجوز استعمال حصيلتها أو توزيعها إلا فى أهداف الضمان الاجتماعى ، والتي عبرت عنها الآية الكريمة بقوله تعالى : ( **أنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله - التوبة / ٦٠** ) .

ومن ذلك يتبين ان المستحقين فى الزكاة ثمانى فئات هم :

— **الفقراء** : وهم الذين لا يستطيعون بحسب قدراتهم ومواردهم ان يوفرُوا لأنفسهم الحد اللائق للمعيشة ، وهو حد الكفاية لا الكفاف .

— **المساكين** : وهم فى رأى البعض الفقراء الذين يسألون تمييزاً لهم عن الفقراء المتعففين ، وهم على العموم أسوأ حالاً من الفقراء .

وقد جرت أقوال الأئمة على اعطاء الفقراء والمساكين من الزكاة بحالتها التى تجبى عليها أى نقداً ، فى حين أن الشريعة الفراء لم تنص على وسيلة معينة يلتزم بها الإمام فى اداء حق الزكاة للفقراء والمساكين ، وإنما خوله التصرف فيها بحسب ما تقتضيه المصلحة بحيث اذا وجد فقير مريض جاز أن يؤدى له الزكاة فى صورة خدمة طبية بدلاً من اعطائه مبلغاً من المال قد يكون عديم النفع أو ضاراً فى بعض الأحوال .

ونرى فى العصر الحالى أن من أفضل صور اداء حق الزكاة ، اقامة المستشفيات للفقراء والملاحى للعجزة واليتامى . وقد نص ابن عابدين على أن ما ينفق فى سبيل تعليم الفقراء وعلاجهم هو انفاق عليهم واعطاء لهم . وقد يكون من أجدى السبل ، استخدام جزء من حصيلة الزكاة فى انشاء مطاعم أو مساكن شعبية بل وفى انشاء مصانع يعمل بها الفقراء المشوهون كل بحسب قدرته فيجدون مورداً كريماً لرزقهم فضلاً عن زيادة العمالة والقضاء على البطالة المفروضة عليهم (٢) .

— **العاملون عليها** : وهم المكفون بتحصيل الزكاة ، ولا يجوز فى رأى البعض كالإمام الشافعى أن يتجاوز بحال من يتقاضونه ١/٨ المحصل من الزكاة وهذا يعنى أن الزكاة تغطى مصاريفها من ذاتها ، وأنه يتعين الاقتصاد على مصاريف تحصيلها وصرفها .

— **المؤلفة قلوبهم** : وهم الذين يراد كسبهم نحو الاسلام أو درء مخاطرهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، فهذا نصيب الدعوة للإسلام . وقد قيل أن عمر بن الخطاب اسقط أو عطل سهم المؤلفة قلوبهم حين رفض عطاءهم بقوله ( ان الله قد أعز الاسلام وأغنى عنهم ) وهذا تصور خاطئ ، إذ لا يملك عمر أو غيره أن يهدر أو يعطل نصاً ، وإنما الأمر مرده عدم توافر شروط تطبيق النص أو كما يعبر عنه البعض باصطلاح زوال الوصف .

— **الرقاب** : وهو القدر المخصص لتحرير العبيد فى العصر القديم ومحاربة جميع صور الاستغلال فى العصر الحديث وبذلك تعتبر الدولة الإسلامية أول دولة فى العالم حاربت الرق منذ أربعة عشر قرناً بل وخصصت لذلك جزءاً من ميزانية الدولة .



— **الفارمون :** وهم الذين استغفرتهم الديون لسد حاجاتهم الضرورية أو لتحملهم نفقات مالية لبعض المصالح العامة كاصلاح ذات البين أو كساد تجارتهم أو مصانعمهم لسبب خارج عن ارادتهم . فيعطون من الزكاة بقدر ما يقضى ديونهم ويرد اليهم معنويتهم فى الحياة .

— **فى سبيل الله :** وهو ما يتعلق بالحرب المقدسة وسائر المنافع العامة فلهذا الوجه حق فى الزكاة متى كان بها وفر ، الى جانب حقه الاصلى فى خزانة الدولة . ولذات السبب كان للمستحقين للزكاة حق فى موارد الدولة الأخرى ، متى لم تكفهم حصيلة الزكاة .

— **ابن السبيل :** وهو قديما المسافر الذى انقطع عن بلده وبعد عن ماله ، وهو حديثا السائح أو اللاجئ الذى انقطع عنه مورده بسبب خارج عن ارادته . ومن المسلم به أن للمشرع الاسلامى حرية توزيع حصيلة الزكاة على كل أو بعض هذه الفئات حسبما يراه متفقاً والصالح العام . فاذا اعطيت الزكاة لفئة واحدة بقدر ما تندفع به حاجتها اجزأت ، باعتبار ان الحاكم مخير فى التفریق فى الاصناف الثمانية وفى ان يخص بعضهم دون بعض ، وانما ليس له حرية التوزيع على غير هذه الفئات ، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول : ( انى والله لا اعطى احدا ولا امنع احدا ، وانما انا قاسم اضع حيث امرت ) . ويقول عليه السلام ( لا تحل الصدقة لغنى ولا لقوى مكتسب ) ، ويقول ( من سأل من غير فقر فأنما اكل الجهر ) . ويجمع الفقهاء ان من كان قويا على الكسب مع قوة البدن وحسن التصرف تكون الزكاة عليه حراما لأنه غنى بقدرته على الكسب فصار كالغنى بماله .

كما ان من المسلم بان الزكاة تؤخذ من المكلفين فى كل قرية أو مدينة وتنفق على المستحقين من أهل هذه القرية أو المدينة ، وما بقى بعد ذلك يرسل الى بيت المال الرئيسى للزكاة لينفق على المراكز القريبة من مكان تحصيلها والتي تحتاج الى معونة . ذلك لان أهل كل بلد أولى بزكواتهم حتى يستغنوا عنها ، فلا تحمل من أهل البلد الى غيره الا ان تكون فضلا عن حاجتهم وبعد استغنائهم عنها . ومؤدى ذلك ان فريضة الزكاة هي ضريبة محلية ، بحيث يستقل كل فرع لمؤسسة الزكاة فى تحصيل وصرف الزكاة فى نطاقه المحلى ، وما يزيد أو ينقص عن حاجته يستوفيه من الفروع المجاورة بتنظيم من المركز الرئيسى .

## ٢ — وعاء الزكاة ، ونصابها ، وسعرها :

### ( ١ ) وعاء الزكاة :

ان الأموال التى ثبتت فيها الزكاة بالسنة النبوية هى اربعة :  
— الابل والبقر والغنم .  
— الزروع والثمار .  
— النقود .  
— عروض التجارة .  
وقد اختلفت اليوم صنوف المال عما كانت عليه منذ اربعة عشر قرنا ، وظهرت صنوف جديدة من المال وزادت أهميتها ، ومن قبيل ذلك الدور والامكن المستغلة والآلات الصناعية ، والأوراق المالية ، وكسب العمل والمهن الحرة .

وانه لما كانت العلة فى فريضة الزكاة فى الاموال هى نماؤها بالفعل او بالقوة كما يقول الفقهاء . فان كل مال استجد ويقع فيه النماء حقيقة او تقديرًا تجب عليه الزكاة ، ايا كان ثروة عقارية كالعمارات او صناعية كالمصانع او نقدية كالاوراق المالية . وعن الرسول عليه السلام ( اتجروا فى مال اليتيم حتى لا تاكله الزكاة ) وقوله ( ما نقصى مال من صدقه ) ، وذلك لتعلقها بالاموال ذات النماء تحقيقا اى بالفعل او تقديرًا اى بالتمكن من النماء .

واذا كان الفقهاء القدامى لم يفرضوا الزكاة على بعض الاموال كدور السكن وادوات الصناعة الأولية ، ثمان الابل والبقر المواحل وحلى الزينة ، باعتبارها من الحاجات الشخصية المعدة للاستعمال ، فانها تظل كذلك معفاة باعتبارها اموالا غير نامية لا بذاتها ولا بالقوة . اما اذا تحولت دور السكن الى الاستغلال لا الاستعمال الشخصى ، ولم تعد اليوم ادوات الصناعة يملكها صانع يعمل بيده اى لاستعماله الشخصى انما هى للاستغلال ، فانه تلحقها حينئذ فريضة الزكاة .

#### ب ) نصاب الزكاة :

والقاعدة ان الزكاة لا تكون الا عن ظهر غنى ، فالمشغول بالحاجة الأصلية كالمعذور ، بحيث يعنى الحد الأدنى من الثروات او الدخول اللازم للنفقات الضرورية لمعيشة الفرد وهو ما يعرف فى الفقه الاسلامى بحد الكفاية ، وهو نصاب الزكاة الذى دونه عفو لا يتحقق به يسار . وعليه فان كل من لم يبلغ النصاب لا يؤدى الزكاة ، بل هو يستحقها . وقد ذهب عمر بن الخطاب عام الرمادة الى اباحة الزكاة لمن هو مالك لمائة شاة لا اربعين شاة كالأصل ، وذلك لان هذه المائة وقد اصابها الجرب والعنف لظروف عام المجاعة لا تغنى عن اربعين شاة فى الخصب . كما نقل عن عمر بن عبد العزيز قوله : و ( انه لا بد للمراء المسلم من مسكن يسكنه ، وخدام يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه . ومن ان يكون له الاثاث ، فاقضوا عنه فانه غارم ) .

وقد ورد فى السنة ان نصاب الزكاة اى حد الاعفاء هو ما دون العشرين دينارًا او المائتى درهم ، ويقدر ذلك البعض بالعملة المصرية الحالية بمائتين جنيه فى الحول (٣) . ومؤدى ذلك ان من كان دخله السنوى فى مصر دون ذلك فانه يعفى من الزكاة ، بل هو ممن يستحقها .

#### ج ) سعر الزكاة :

وسعر الزكاة بصفة عامة ، دون خوض فى التفاصيل ، هو بواقع ٢٥٪ من رؤوس الاموال المنقولة (٤) والائعام والنقود وعروض التجارة ، وما بين ٥٪ و ١٠٪ من الدخل بحسب ما اذا كان بجهد أو بغير جهد لقول الرسول عليه السلام ( ما سقته السماء ففيه العشر ، وما سقى بقرى ففيه نصف العشر ) . الا انه من المتفق عليه ، ان ذلك القدر هو الحد الأدنى المفروض فى الأموال ، لاستمرار قيام مؤسسة الزكاة وحيث لا تحتاج الجماعة الى غير حصيلته، اما اذا عجزت مؤسسة الزكاة فى حدود النصاب المقرر لها شرعا ان تقسود بالتزاماتها كمؤسسة للضمان الاجتماعى ، فان للشارع ان يقدر حاجة المؤسسة

ويحصل لها من اموال المسلمين ما يتجاوز هذا النصاب ، وبالقدر الذى يمكنها من اداء رسالتها بكفالة كل محتاج عاجز . وذلك إعمالاً لقوله تعالى ( فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم — المعارج / ٢٤ و ٢٥ ) ، وقول الرسول ( تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ) . وهو ما عبر عنه سيدنا على بن أبى طالب ( ان الله فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم ) ، وعبر عنه الامام بن حزم بقوله ( وفرض على الأغنياء من كل بلد ان يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك اذا لم تقم الزكوات بهم ) ، وعبر عنه الامام الشافعى بقوله : ( ان للفقراء حقية استحقاق فى المال ، حتى صار بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير ) .

### ٣ — اداء اهل الذمة للزكاة :

واذا كانت مؤسسة الزكاة هى مؤسسة الضمان الاجتماعى فى الاسلام ، يستفيد منها المسلمون وغير المسلمين على السواء ، فاننا نرى اليوم ، ازاء تغير الظروف جواز اداء اهل الذمة للزكاة بدلا من الجزية الواجبة عليهم ، وذلك كنظام ضريبى موحد .  
ونبين ذلك فيما يلى :

#### (١) طبيعة الزكاة :

الزكاة هى ضريبة دينية مخصصة ، يلتزم كل مسلم باوائها كركن من اركان الاسلام لا يكمل اسلامه الا بها ، وتلتزم كل دولة اسلامية باستيفائها وصرمها على اوجهها المخصصة .

— **فهى ضريبة** بمعنى الجبر والالزام ، والتعلق بالمال لا الشخص وهو ما عبر عنه الفقهاء القدامى بانها حق مالى ، ونعبر عنه بلغة اليوم بانها ضريبة ومن ثم فانه يخضع لها الفرد فى ماله بصرف النظر عن تحقق شرط التكليف الدينى فيه أو عدمه ، وهو شرط العقل والبلوغ . كما انها بهذا الوصف لا تسقط بموت المالك ، ولا بهلاك المال من صاحبه بعد استحقاقها .

— **ودينية** وذلك لانها ركن من اركان الاسلام ، لا يكمل ايمان المسلم الا باوائها ، ذلك ان فاعل الزكاة ومؤديها يريد بها وجه الله تعالى وثوابه واطاعة امره وعبادته . ولهذا سميت الزكاة « بالصدقة » تطيب بها نفس المسلم ويثاب عليها . فكل زكاة صدقة وليست كل صدقة اختيارية زكاة . فيقول الله تعالى : ( **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها — التوبة / ١٠٣** ) ، ويقول سبحانه ( **وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون — السور / ٣٩** ) . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : ( **وادوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم** ) ، ويقول عليه السلام : ( **اذا اعطيتم الزكاة فلا تنسوا ثوابها ان تقولوا اللهم اجعلها مغنما ولا تجعلها مغرما** ) ، ويستحب لمعطى الزكاة ان يحمد الله على نعمته ويفضله عليه بتمكّنه من اوائها .

والرأى منعقد بان من ينكر الزكاة يخرج عن الاسلام ويعتبر كافرا ، ومن منع عن اوائها تؤخذ منه كرها ، ولا يثاب عليها . وفى الحديث الشريف ( **والذى سمع بيده ، لا يموت أحد منكم فيدع ابلا أو غنما أو بقرا لم يؤد زكاتها الا جاءت** ) .

يوم القيامة أعظم مما كانت وأسمن تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها ، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس ) ، وقوله عليه السلام ( ان الصدقة لتمنع ميتة السوء ، وانها لتقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل ) .  
— وهي مخصصة لاهداف الضمان الاجتماعى ، اذ لا يجوز صرف حصيلتها الا على الفئات الثمانية السالف ذكرها ، والتي يجمعها صفة الحاجة ، وانه يتعين على الدولة ان تفرد لها ميزانية مستقلة ، ولا يجوز الصرف من حصيلتها على الجهاز الادارى للدولة او الإنفاق العام الحكومى .

وتخلص من ذلك الى امرين أساسيين : —  
**أولهما :** ان الزكاة من ناحية المسلم ، هى فريضة تعبدية ، تحقق له عائدا مجزيا في دنياه وآخرته .

**ثانيهما :** ان الزكاة من ناحية الدولة ، هى ضريبة مخصصة ، فهى من أهم موارد بيت المال «خزانة الدولة» ، ولكنه ايراد مخصص لاهداف الضمان الاجتماعى

### (ب) طبيعة الجزية :

وقد فرض الاسلام الجزية على اموال الذميين في مقابل الزكاة المفروضة على اموال المسلمين ، باعتبار ان لهم مالنا وعليهم ما علينا . فلا يخاطب أهل الذمة بالزكاة بصفتها التعبدية وعدم اسلامهم ، وانما يخاطبون بالجزية . واذا كان يلاحظ مضاعفة الجزية عن الزكاة ، فذلك لان أهل الذمة معفون من واجب الدفاع والقتال عن المسلمين . ولذلك تخفض الجزية عن يريد من الذميين مشاركة المسلمين في القيام بواجب القتال ، كما كانت تسقط الجزية اذا عجز المسلمون عن الدفاع عن الذميين وحياتهم (٥) .

فليست الجزية كما تصورها البعض خطأ ، ضريبة على الاشخاص ، او هى جزاء او عقوبة على غير المسلمين لحملهم على الاسلام . وانما هى ضريبة على الاموال ولا تفرض على كل الذميين وانما على الموسرين منهم ، كما يعفى منها الصبيان والنساء باعتبار اعفائهم من واجب الدفاع والقتال .

فاذا كانت الجزية على هذا النحو ضريبة مالية على الذميين في مقابلة التزام المسلمين بالزكاة ، وسبب مضاعفتها هو اعفاء الذميين من واجب الدفاع والقتال . وانه لما كان الوضع اليوم قد تغير وصار الذميون في الدول الاسلامية يخدمون كالمسلمين بالقوات المسلحة ، فانه يتعين بالتالى خفض سعر هذه الضريبة لتكون بذات سعر الزكاة . ومؤدى ذلك امكان تطبيق الزكاة كنظام ضريبي موحد على المسلم وغير المسلم ، وان ظل المسلم دون الذمي مخاطبا بالزكاة كالتزام تعبدى لا كالتزام مالى فحسب . ولنا في ذلك سابقة لعمر بن الخطاب على نحو ما سنبينه .

### (ج) اجتهاد عمر بن الخطاب في الجزية ودلالته :

حدث في عهد عمر بن الخطاب ان اشتكى نصارى بنى تغلب من الجزية قائلين : نحن عرب لا تؤدى ما تؤدى العجم ، ولكن خذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض ، قاصدين بذلك الزكاة . فرفض عمر بن الخطاب قائلا : الزكاة فرض

المسلمين ، فقالوا له : زد ما شئت بهذا الاسم لا باسم الجزية . فاستقط عنهم  
عمر الجزية واستوفاهما باسم الصدقة ( الزكاة ) ، وان ضاعفها عليهم قائلا :  
سموها ما شئتم (٦) . .

واذا كانت الزكاة على نحو ما رأينا ، هي ضريبة تؤدي على أموال  
المسلمين الخاضعين لها بغض النظر عن المالك لها . وكانت الزكاة هي الضريبة  
على أموال الذميين لا أشخاصهم ، وذلك في مقابلة الزكاة ، وان سبب  
مضاعفتها هو اعفاؤهم من واجب الدفاع والقتال .

فانه لا شك، ازاء التزام الذميين اليوم شأن المسلمين بالدفاع عن البلاد  
والقتال في سبيلها ، فانهم يلتزمون بذات سعر الزكاة كنظام ضريبي موحد على  
المسلم وغير المسلم (٧) ، ويبقى للمسلم جانبها التعبدى والثواب عليها بقدر  
حرصه على ادائها بطيب نفس ابتغاء وجه الله ومرضاته .

- 
- (١) انظر فضيلة الامام الشيخ محمود شلتوت ، الاسلام عقيدة وشريعة . طبعة دار القلم  
القاهرة ، ص ١١٠/١٠٩ .
  - (٢) انظر في هذا المعنى ايضا الدكتور ابراهيم نزار أحمد على ، الموارد المالية في الاسلام  
الطبعة الثالثة ١٩٧٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ص ٥٨ .
  - وكذا توصيات حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية المنعقدة بدمشق سنة ١٩٥٢  
— وكذا قرارات وتوصيات المؤتمر الثانى لجمع البحوث الاسلامية المنعقد بالقاهرة في  
مايو سنة ١٩٦٥ .
  - (٣) انظر الدكتور شوقي اسماعيل شحاته ، محاسبة زكاة المال علما وعملا ، الطبعة الاولى  
سنة ١٩٧٠ مكتبة الانجلو المصرية ص ١٩٩ .
  - (٤) وعليه فرؤوس الاموال الثابتة كالارض والمباني والآلات الصناعية ، لا تجب فيه الزكاة  
وانما تجب على الدخل الناشئ عنه .
  - (٥) يروى البلاذرى في كتابه فتوح البلدان أن المسلمين حين دخلوا حمص أخذوا الجزية  
من أهل الكتاب الذين لم يريدوا دخول الاسلام ، ثم عرف المسلمون ان الروم أعدوا  
جيشا كبيرا لمهاجمة المسلمين وانهم لا يتدرون على الدفاع عن أهل حمص وقد يضطرون  
الى الانسحاب ، فاعادوا الى أهل حمص ما أخذوه منهم وقالوا لهم شغلنا عن نصرتهكم  
والدفاع عنكم ، فانتم على أمركم ، فقال أهل حمص : أن ولايتكم وعدلكم أحب إلينا  
مما كنا فيه من الظلم والفسهم ، ولندفع جند هرقل من المدينة مع عاملكم ، ونهضوا بذلك  
وسقطت عنهم الجزية .
  - (٦) انظر الاموال ، لأبى عبيد ، والدكتور شوقي اسماعيل شحاته ، محاسبة زكاة المال  
علما وعملا ، المرجع السابق ص ٦١ .
  - (٧) انظر هذا المعنى أيضا فضيلة الاستاذ محمد أبو زهرة في مشروع قانون الزكاة الذى قدمه  
مجلس النواب المصرى سنة ١٩٤٧ .

# مائة الفارسي

## الإيمان ..

سال رجل الحسن البصري مؤمن انت ؟ فقال : ان كنت تريد قول الله تعالى : ( آمنا بالله وما أنزل إلينا ) فنعم ، به نتفكح ، ونتوارث ونحقق الدماء ، وان كنت تريد قول الله عز وجل : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » فنسال الله ان نكون منهم .

## ٢٢٠ سنة

قدم احد المعبرين على معاوية ، فقال له : كم اتي عليك ؟ قال : مائتان وعشرون سنة ، قال : ومن اين علمت ؟ قال : من كتاب الله . قال : ومن اي كتاب الله ؟ قال : من قول الله تبارك وتعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب » قال : حدثني عن الذهب والفضة قال : حجران ان اخرجتهما نقدا ، وان خزنتهما لم يزد ، قال فاخبرني عن قيامك وقصودك واكلك وشريك ونومك وشهوتك للباة . قال : اما قيامي فان قمت فالحسنة تبعث وان قعدت فالارض تقرب ، واما اكلی وشربی ، فان جعت كليت ، وان شبعت بهرت ، واما نومي فان حضرت مجلسا حالفتي ، وان خلوت فارقتي ، واما الباءة فان بذلت عجزت ، وان متعت غضبت .

## الزوج الوفي

روى أن رجلا أراد أن يطلق امرأته ، فقيل له ما الذي يرييك منها ؟  
قال : العاقل لا يهنك سرا .  
فلما طلقها . قيل له : لم تطلقها ؟ فقال : مالى ولا امرأة غيرة .

## كيف رأيت الدهر

سئل أحد المعمرين : كيف رأيت الدهر ؟ قال :  
سنيهاً بلاء ، وسنيهاً رخاء ، ويوم شبيه يوم ، وليلة شبيهة بليلة . . يهلك والد ، ويخلف مولود ، فلولا الهالك لامتلات الدنيا ، ولولا المولود لم يبق أحد .

## لا تقلل . . .

مدح أبو مقاتل الضريب الحسن بن زيد بقصيدة مطلعها :

لا تقل بشرى ولكن بشرىان  
غرة الداعي ويوم المهرجان  
فكره الحسن ابتداءه بلا تقل  
بشرى فقال لو قلت :

غرة الداعي ويوم المهرجان  
لا تقل بشرى ولكن بشرىان  
لكن أحسن لأن الابتداء بلا  
قبيح ، فقال له أبو مقاتل :  
لا كلمة أشرف من التوحيد ،  
وابتداؤه بلا .

## فتوى اللجام

ابتاع رجل من آخر فرسا ، فأراد البائع أخذ لجام الفرس . فأبى المشتري . . فترافعا الى عالم ، فمرضا عليه فقال لهما : اصبرا حتى اطالع . . فأخرج نسخة من البردة ، وتصفح أوراقها والتفتت الى المشتري وقال له : اثبتت أن الفرس جموح وخذ اللجام ، فلع البائع فى الخصام فانتهره وقال له يقول الامام البصيرى : « كما ترد جماح الخيل بالجم » فأبى شئ يرد هذا المشتري الفرس أن جمع . .

## المال

قال بعض الفرس : من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كاذب حتى يثبت صدقه ، وإذا ثبت صدقه فهو عندي أحق .  
وقال يونس : لو أن الدنيا مملوءة دراهم على كل درهم مكتوب من أخذه دخل النار لأمست وما على ظهرها درهم يوجد .

وقيل لما ضربت الدراهم والدنانير صرخ ابليس صرخة وجمع أصحابه فقال : قد وجدت ما استغنيت به عنكم فى تضليل الناس ، فالأب يقتل ابنه والأب يقتل أباه بسببه .

ملاحظات في  
الخط العربي

7.



( منهج ) بأمر الحاجة الى إجراء مقارنة شاملة بينه وبين منهج القرآن ( الغنى )  
وتبيان الأسباب التى صدرت المسلمين فى القرون الاولى عن التأثير بهذين  
المنهجين والتزام تعاليمهما التى لو أخذوا بها ونفذوها فى حقول الفن والتاريخ  
لسبقوا سبقا كبيرا ولقدّموا معطيات عظيمة فى كلا الحقلين .. !

### ( ٢ )

فى القرآن الكريم يغدو ( التاريخ ) وحدة زمنية .. تتهاوى الجدران التى  
تفصل بين الماضى والحاضر والمستقبل ، وتتعانق هذه الآونات الثلاث عناقا  
مصريا .. حتى الأرض والسماء .. زمن الأرض وزمن السماء .. قصة  
الخليقة ويوم الحساب .. تلتقى دائما عند النقطة الحاضرة فى عرض القرآن  
.. فهذا الانتقال السريع بين الماضى والمستقبل ، بين الحاضر والماضى ، وبين  
المستقبل والحاضر ، يوضح حرص القرآن على إزالة الحدود التى تفصل بين  
الزمن ، فتغدو حركة التاريخ التى يتسع لها الكون ، حركة واحدة تبدأ يوم خلق  
الله السموات والأرض وتتجه نحو يوم الحساب .  
ان الحياة الدنيا فصل تاريخى يتشكل من الماضى والحاضر ويرتبط بمستقبل  
يوم الحساب ولهذا يقدم لنا القرآن الكريم وصفا رائعا لهذا التوافق بين الماضى  
والحاضر والمستقبل ، وينقلنا بخفة وإبداع بين الآونات الثلاث حيث تذوب  
الفواصل والحواجز وتسقط الجدران .. !!

### ( ٣ )

يبدو أن هنالك ( حتمية ) لا محيص عنها فى سقوط الدول والحضارات ..  
وحتى تجربة الاسلام كدولة وحضارة أطاحت بها هذه الحتمية .. والقرآن  
بواقعيته وأحاطته المعجزة يقرر هذه الحقيقة ولا يستثنى منها الاسلام والمسلمين  
« وتلك الأيام نداولها بين الناس » وقد قال « بين الناس » بمعنى عموم هذه  
( السنّة ) التى لا محيص عنها والتى تقوم ولا ريب على أسبابها ومقدماتها فى  
صميم العقل الانسانى نفسه .. وهذا لا يدفع الى اليأس — بل على العكس —  
انه يدفع المؤمنين الايجابيين الى محاولة تقديم مزيد من التجارب .. !!  
ان الحياة الدنيا أشبه بالناعور .. والشجاع الشجاع هو الذى يحصل  
على ( صعدة ) أكثر فى تاريخ هذه الحياة الدائرة ، كى يرى البشرية صورا من  
حقائق التطبيق الصحيح للمبادئ السماوية .. ويمكن تشبيه هذه الوضعية  
( الدينامية ) برجل كتب عليه أن يحيا فى مدينة ما ، وأتيح له أن يفادها الى  
أى مكان مرتحلا طالما أسعفته إمكاناته وإرادته .. إلا أن مصيره دائما هو أن  
يعود الى مدينته الاولى .. والانسان ، كلما كان ذا إرادة أقوى ، وعزيمة  
أسمى ، وجهد وإبداع أشد تركيزا ، كلما أتيح له السفر الى منطقة أبعد واكتشاف  
مزيد من المجاهيل ..

إن كلا منا هو هذا الرجل ، وبمجموعنا كجماعة ننتمى الى هذا المبدأ أو  
ذاك ، نستطيع أن نرحل ، ونعلم البشرية أن ترحل معنا الى تلك الآفاق البعيدة  
الرائعة .. فإذا ما حتم علينا أن نعود ، فلا بد أن نبذل محاولات ثانية وثالثة  
من أجل إعادة الكرة والاستعداد لرحلة أكثر غنى وسسامة وتجوالا .. وهذا

لا يعنى ان المنجزات الحضارية تصاب دوماً بنكسات ( دورية ) ، على العكس ،  
إنها تبقى صاعدة على سلّم لا ترجع عنه الى أسفل .. هذا فيما يتعلق بالابداع  
المادى للحضارة أى ما يصطلح عليه باسم ( المدنية ) .. أما القيم والمبادئ  
فهى التى تتعرض للانتكاسات ، وهى لا تستقيم إلا بانتصار المبدأ الاقوى والاكثر  
انسجاماً ، مع بنية الانسان .. ولن ينأتى هذا إلا بأن يتولى زمام القيادة ،  
ويكون فى القمة رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يريدون علواً فى الأرض  
ولا فساداً !!

( ٤ )

يعطى القرآن الكريم صورة مليئة بالحياة والتدفق لمجرى التاريخ  
البشرى ، ويحاول — بآيات بينات — أن يهدم السدود التى تفصل زمناً عن  
زمن أو مكاناً عن مكان .. فتاريخ البشرية وحدة متصلة بزمانها ومكانها ..  
تحكمها قوانين عليّة ( غيبية ) يعبر عنها القرآن بكلمة ( سنن ) وهى قوانين  
لا يفلت من حكمها أحد ، ولكنها لا تفعل فعلها فى كثير من الأحيان مباشرة ،  
وانما بوسائط تعطى الحرية فى الاختيار ، إلا أنها فى مداها البعيد تعمل ضمن  
القانون الغيبى الالهى الدقيق .. فالقرية الظالمة التى عنت عن أمر ربها وانحرفت  
عن الطريق ، يسخر المترفون لعقابها ، فيفسقون فيها ، فيحق عليها القول دماراً  
يمحوها من صفحة الوجود .. وأحياناً أخرى تنسجهم القوى العليا فى صنع  
التاريخ مباشرة ، ودونها سبب أو واسطة .. وليست حشود الملائكة الكرام  
الذين قاتلوا الى جانب المسلمين فى معركة ( بدر ) الفاصلة ، سوى مثل من  
الأمثال ..

( ٥ )

يضع القرآن الكريم اسساً مرنة لحركة التاريخ البشرى وتشكيل المصير  
.. فهو يرسم الخطوط الأساسية للنظام الذى يلزم به أفراد المجتمع الإسلامى  
كى يفدو كل واحد منهم قادراً بشكل أو آخر ، على الاسهام فى حركة التاريخ  
.. ولكنه — من جهة أخرى — يفتح الطريق أمام المتفوقين ، للوصول بجهدهم  
الدائب وعطائهم المبدع ، الى القيم التى لا يستطيع بلوغها إلا القلة الفذة ..  
هؤلاء هم الذين تقع على عاتقهم مسؤولية توجيه التاريخ وتشكيل حركته ..  
فالمجتمع المسلم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين  
رضوان الله عليهم ، كان يمثل ( تشكيلة ) من الأفراد السذجين التزموا بالنظام  
وأحسنوا الالتزام ، فصنعوا تاريخاً مشهوراً فى عقدين من السنين .. ومن بين  
هؤلاء كان يبرز أمثال أبى بكر وعمر وعلى وابن الوليد ليوجهوا التاريخ وفقاً  
لمبادئ الاسلام ..

( ٦ )

الرؤية القرآنية تدعو الى ان تنبثق ( حركة التاريخ البشرى ) عن الحق ،  
تربط الأرض بالسماء ، تحتّم نشوء حضارة مبدعة متطورة .. تربط الأجيال  
بالأجيال ، والماضى بالحاضر والمستقبل ، والانسان الفرد بالبشرية .. تنفخ  
روح العمل والتنافس فى شرايين الانسان ، تدفعه الى استغلال الزمن والتراب  
ليصنع منهما تاريخه ، تشحذ إرادة الابداع والعطاء ..

الحساب والميزان والجنة والنار هي المقاييس النهائية لفاعلية الانسان التاريخية ، والفاعلية التي تصنع التاريخ لا تعدو أن تكون إحدى اثنتين : بناء وهدامة .. التاريخ عملينا هدم وبناء .. هدم للانسان وبناء له .. هدم للحضارة وبناء لها .. ومن ثم فإن التقييم النهائي لدور الانسان فى التاريخ يأتى هناك .. وهو ليس تقييما أخلاقيا فحسب ، ولا ذاتيا فحسب ، بل هو تقييم موضوعى يحاسب الانسان على ما قدمت يداه ، وما تقدم يدا الانسان حصيلته التاريخ ، فهما اللتان تمعنان التراب بالزمن ، بالفكر ، بالروح ، بالارادة فيتشكل التاريخ ، والحساب والميزان ، بما أنهما جزء أساسى من الحق الذى يقوم عليه بناء الكون ، يحتمان على الانسان ابتداء أن يكون إيجابيا ، أن تكون حياته معطاءة دوما .. أن يملا دوره المتاح له فى التاريخ ، لأنه سيحاسب على ذلك كله ، وفق ادق الموازين حكمة وعدلا ..

( ٧ )

ينبثق التفسير ( المسيحى ) للتاريخ عن فكرة ( الخطيئة والخلاص ) وتحولها من نطاقها الفردى الى النطاق الجماعى . وإذن فإن التاريخ — فى هذا التفسير — تحكمه جبرية تجعل الأمم المسيحية تتجه جميعا ، فى حركة صاعدة ، الى مثلها الأعلى ، مهما اقتربت من ذنوب وأرتكبت من معاصى وآثام ، فما دام المسيح عليه السلام قد ( خلصها ) بصلبه فقد رفعت عنها المسؤولية وسبقت الى مصيرها دون مقاومة أو عناء .. فى التفسير الاسلامى تمتد نظريته الاخلاقية فى المسؤولية الفردية فتشمل النطاق الجماعى ، ولا يتحدد مصير أية جماعة الا نتيجة لما تقدمه من أعمال ، وهذا يعنى أن التاريخ لا تحكمه جبرية تجعل من فعاليات الأمم حركة صاعدة ومصيرا مكتوبا بأحرف من نور .. وانما تتعرض هذه الأمم فى سيرها للصعود والهبوط ، للنجاح والفشل ، للارتفاع والانخفاض ، اعتمادا على ممارساتها ومعطياتها .. ومن ثم تبرز المسؤولية كعامل أساسى فى توجيه التاريخ . ان النذر التى يقدمها الله سبحانه تبدو فى التفسير المسيحى سلطة على أولئك الذين لا يؤمنون بفكرة الخطيئة والخلاص ، أما فى التفسير الاسلامى فننصب على كل انسان وكل جماعة تتنكب عن المعنى على الصراط المستقيم ، ومن ثم فإن النعمة قد تكتسح المسلمين أنفسهم بمجرد خروجهم عن هذا الصراط !

( ٨ )

شن فلاسفة التاريخ الغربيين حملة قاسية على ( ارنولد توينبى ) فى كتابه الشهير ( دراسة للتاريخ ) ووصفوه بأنه مفكر لاهوتى مزج استنتاجاته الفكرية بكثير من القيم والرؤى الروحية . والحقيقة أن خطوة ( توينبى ) تعتبر فتحا جديدا فى مجال التفسير التاريخى ، كما كان كتاب إشبينغلر ( سقوط الحضارة الغربية ) قد شكل جزءا كبيرا من هذا الفتح . ولكن خطوة توينبى هذه ، ومن قبله إشبينغلر ، فيها نوع من التسارجح وعدم الاتزان ، أو بالأحرى نوع من الانفصالية ( العلمانية ) بين القيم العقلية والروحية . ومن هنا استطاع الماديون والطبيعيون والعقليون أن يجدوا ثغرات واسعة للطعن ضد توينبى . ان تفسير التاريخ البشرى يجب أن ينبثق عن موقف موضوعى شامل يربط ويوازن بين سائر القيم التى تصنع التاريخ مادية وروحية ، طبيعية وغيبية

ولن يتحقق هذا — بطبيعة الحال — الا فى نطاق ( الموقف الاسلامى ) حيث لا يستطيع مفكر أو ناقد أن يجد أى مجال للطعن ضد القيم الروحية ، إذ هى — هنا — ليست منفصلة عن ( المادية ) و ( العقلية ) وهى تعمل بانسجام وتوافق مع سائر القوى فى تحريك وتوجيه الأحداث التاريخية .. ذلك أن القيم الروحية — فى الاسلام — ليست مجرد ممارسات فردية شعائرية بالمعنى اللاهوتى بل هى قيم ذات جذور عميقة وارتباط عميق بواقع الحياة البشرية والوجود الجماعى على السواء ..

( ٩ )

يتصف الخالق سبحانه بالرؤية المثلثة لأبعاد الزمن الثلاث : الماضى والحاضر والمستقبل ، بما أنه سبحانه « وسع كل شئ علما » . ولذا فالتفسير الذى يقدمه القرآن الكريم للتاريخ ، بما أنه شامل محيط ، يعطى أصدق صورة للسنن التى تسيّر هذا التاريخ . وبما أن هذه السنن ذاتها من صنعه سبحانه ، إرادة وعلمًا ومصيرًا ، فإن هذا التفسير يأخذ صفة الكمال .. ويزيده موضوعية وكمالاً رؤية الله سبحانه البعد الثالث الذى يصنع التاريخ : فطرة الإنسان ، تركيبه الذاتى .. الحركة الدائمة فى كيانه الباطنى ، اهتزازاته العقلية والعاطفية والوجدانية .. وإرادته المسبقة ، وما تؤول اليه هذه جميعا من معطيات تمنح حركة التاريخ أبعادها الحقيقية ..

( ١٠ )

ترتبط الرؤية التاريخية بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا .. أى سورة قرأت .. أى صفحة شاهدت .. طالمتك هذه الأشارات الى ( مواقف ) تاريخية لا ريب أنها تشكل بمجموعها نسقا رائعا ومتكاملا للتفسير الإسلامى للتاريخ .. فمساحة واسعة من القرآن إذن يشغلها الاهتمام بهذا الجانب الحيوى من أجل هذا كان التفسير الإسلامى أمرا محتما ما دام القرآن الكريم يضرب دوما على هذا الوتر الحساس ويدعو المتأملين الى الخروج بنتيجة نهائية عن مصير الحركة التاريخية ودور الإنسان فى مداها القريب والبعيد .

ان جانبا كبيرا من سور القرآن وآياته البينات تنصب على إخطار البشرية بالنذير الإلهى وتنبثق عن رؤية وتفحص التاريخ .. وان أشد صيحات المفكرين المعاصرين حدة ومرارة تلك التى ترفع أعلام الخطر الذى يحيط بمسيرة البشرية ، وتنبثق هى الأخرى من رؤية التاريخ ، ان القرآن الكريم لا يقدم ( قصصه ) و ( صورته ) و ( مشاهداته ) لجرد ترف ذهنى ، أو إثشباع حاجة المؤمنين الى القصص والصور والمشاهدات .. انها يجىء بها من أجل أن ( يحرك ) الإنسان صوب الأهداف التى رسمها الاسلام ، ويبعده فى الوقت ذاته ، فردا وجماعة ، عن المزالق التى أودت بهصائر عشرات ، بل مئات ، من الأمم والجماعات والشعوب .. ( فالحركة ) لا مجرد السرد القصصى كانت أبدا هدف العروض التاريخية للقرآن .. كما أنها — فى الوقت نفسه — هدف الصيحات المعاصرة التى سبرت أغوار التاريخ وأشارت الى الهاوية التى تنتظر مسيرة

القرن العشرين .. « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين . ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » !!

( ١١ )

إن ( الموقف ) الإسلامى من التاريخ يتميز بمرونته وبعده عن التوتر أو التأزم المذهبى الذى يسمى الى قولبة الوقائع التاريخية وصبها فى هيكله المسبق ، واستبعاد أو تزيف كل ما لا ينسجم وهذا الهيكل ، الأمر الذى يوقع التفسير الوضعية فى كثير من الأخطاء والانحرافات . أما التفسير الإسلامى فإنه ينظر بانفتاح تام الى الأحداث ويسلط الأضواء على مساحاتها جميعا دون أن يقتصر على الأحمر أو الأخضر لى تبدو حمراء أو خضراء .. إن رؤيته للأحداث رؤية واقعية شاملة فى امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلية .. فيما كانت عليه ، وما هى كائنة عليه وما سوف تكون عليه .. أنه — مثلا — يعترف ( بالتمايز القومى ) ويعطى لهذا العامل ( الواقعى ) حجه الحقيقى ، رغم نزعة الإسلام العالمية واستتلائه على الكيانات المحدودة المنغلقة على الأرض أو اللون أو الجنس .

وهذا يقودنا الى حقيقة أخرى وهى أن التفسير الإسلامى تفسير (واقعى) لا يتأثر بقيمه ومثالياته فى تفسيره للواقع — كما يفعل هيفل وماركس على سبيل المثال — إنما يتكلم عن الواقع كما هو ، دون تبرير أو تعديل أو تحوير ، ولكنه من خلال حركته على أرض الواقع هذه ينطلق الى مثالياته وآفاقه .. أنه يسمى معركة ( حنين ) هزيمة وغرورا ، ويعلم المسلمون ، من خلال واقعيته هذه ، ألا يبرروا أخطاءهم وينحرفوا فى تفسير الأشياء والوقائع .. ولكنه يعلمهم — فى الوقت نفسه — أن يفيدوا من هذه الرؤية الواقعية للتاريخ لصياغة العالم المرتجى ..

وهكذا فإن ثمة فرقا حاسما بين المذاهب الوضعية وبين المذهب الإسلامى فى تفسير التاريخ .. فى الأولى تصاغ حقائق التاريخ وفق المذهب المصنوع سلفا فتفسر على الانسجام مع وضعية المذهب وتساق للتدليل عليه وتأكيده . وهذا الخطأ يجىء من حقيقة أن وقائع التاريخ سبقت فى الزمن تخطيط المذاهب ، ومن ثم فإن المذاهب جاءت كقضية (بعديّة) تسمى الى أن تجبر ( القبلّيات ) على التشكل بها .

أما فى القرآن فإن التفسير ينبثق عن رؤية الله سبحانه ، وهى رؤية تختلف عن الرؤية الوضعية فى أنها تحيط علما بوقائع التاريخ ، بأبعادها الزمنية الثلاث : الماضى والحاضر والمستقبل ، لأنها رؤية الذات الإلهية التى صنعت الواقعة التاريخية ووضعتها فى مكانها المرسوم من خارطة التساريخ البشرى والكونى على السواء .. ومن ثم فإن التفسير القرآنى ليس أبدا مسئّلات بعديّة تسمى الى أن تقولب حوادث التاريخ القبليّة فى إطارها المعترف ، إنما هو مذهب ينبثق بأسلوب ( موضوعى ) ( عما حدث فعلا ) وعن طبيعة التصميم التاريخى للبشرية ، فهو إذن تبلور للخطوط الأساسية لحركة التاريخ بصيغها القرآن الكريم فى مبادئ عامة يسميها ( سننا ) ويعتدها المفسرون الإسلاميون منطلقا لا لتزييف التاريخ وإنما لتفسيره وفهمه وإدراك عناصر حركته ومصائر وقائعه ومسالكها المعقدة المتشعبة .

الرؤية الوضعية تمتد الى الماضى لتقبس منه و ( تختار ) ما يعزز وجهات نظرها ، والرؤية القرآنية تحيط بالماضى لكى تكتفه فى قواعد وسنن تطرح امام كل باحث فى التاريخ يسعى الى فهمه ، والى ان يرسم على ضوء هذا الفهم ، طرائق حياته الحاضرة والمستقبل ، باعتبار ان الأزمان الثلاث إنما هى وحدة ( حيوية ) تحكمها قوانين واحدة كذلك التى تحكم الحياة سواء بسواء .

### ( ١٢ )

إذا ما نظرنا الى مذاهب التفسير فى موقفها من حتمية سقوط الدول والحضارات نجدما تتفق جميعا ، ويضمنها الاسلام ، فى هذه الحتمية . ( فهيرشل ) فى مثاليته يرى النشاس فى ممارساتهم التاريخية كآلات مرحلية يستخدمها العقل الكلى فى فترة محدودة ، ثم ما يلبث أن يطيح بها صوب الفكرة الاحسن لكى يجيء ذلك اليوم الذى يكون التاريخ فيه بمثابة التجلى الكامل لهذا العقل . و ( ماركس ) يخفض التاريخ ، بدوله وحضاراته وتجاربه ، لحتمية تبدل وسائل الانتاج وانعكاسه على ( الظروف ) وان كل وضع تاريخى مآله الزوال بمجرد هذا التبدل الديناميكى الدائم . . ثم ما يلبث ماركس أن يقع فى تناقض أساسى مع نظريته عندما يقرر ( الدوام ) و ( الثبات ) لمرحلة حكم الطبقة العاملة ( البروايتاريا ) حيث لا زوال بعدها .

أما ( اشبنغلر ) و ( توينبى ) فيعلنان عن حتمية سقوط الحضارات كأمر لا مفر منه . . وبينما يفرق اشبنغلر فى تشاؤميته نجد توينبى يقع فى تناقض صريح . . هو الآخر — عندما يؤكد فى الأجزاء الأخيرة من دراسته للتاريخ على أن هنالك أملا فى بقاء الحضارة الغربية المعاصرة بوجه الأعاصير .

هذه المذاهب ، وغيرها ، تقف جميعا موقفا يكاد يكون موحدا إزاء حتمية السقوط . . والذى يفرق النظرة الاسلامية عنها أنه يقول بما يمكن تسميته ( الحتمية التناؤلية ) أى أنه يقرر حتمية سقوط الدول والحضارات لكنه يقرر فى الوقت نفسه امكانية أية أمة أو جماعة أن تعود باستمرار لكى تنشئ دولة أخرى أو تقيم حضارة جديدة بمجرد أن تستكمل الشروط اللازمة لذلك وأولها عملية ( التغيير الداخلى ) التى أكد عليها القرآن بقوله « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » والتى تشمل كل التغييرات الأخلاقية الأساسية التى تمكن الإنسان من مواجهة التاريخ .

والاسلام يؤكد مرارا على دور الإرادة البشرية فى صياغة المصير ، ومن ثم فإنه ما أن تنهيا هذه الإرادة للعمل فى ميدان التاريخ عن طريق الشحذ والاستعداد الأخلاقى ، حتى تكون قادرة على مواجهة التحديات المادية والخارجية من أى نوع كانت ، فتجنأ وتصوغها من جديد لصالح الإنسان . . وهكذا يعود الإنسان — فى الاسلام — لينتصر على الحتميات وليستعيد قدرته الأبدية على التجدد والتطور والابداع ! بينما تقف فى مواجهته كل المذاهب الوضعية لكى تؤكد أنه اذا ما أطيح بتجربة تاريخية فإنه لا قيام بعدها لأنها محتوم عليها أن تواجه هذا المصير فى عالم لا يعترف بقدرة الإنسان على المجابهة والاستعادة والانتصار . . !!

يؤكد القرآن الكريم على أن ( العصيان ) بشتى أبعاده ، تجنى ثماره المرّة ليس في الآخرة فحسب ، بل هنا في الدنيا أولا .. فالعذاب ينتظر العصاة هنا وهناك ، في الأرض والسماء ، وينزل قوة وضعفا لكي يكافئ مدى العصيان وحجمه وطبيعته . فالمصير — في القرآن — واحد لأنه ينبثق من أعماق الانسان ، من مسؤوليته الفردية الحرة ومن اختياره ، هذا الاختيار لأنه ( رهين ) بما كسبت يده . المصير واحد ، وتلك هي قمة الانسجام مع طبيعة الوجود الانساني والبناء الحضاري ، فليس ثمة ( تعليق ) للجزاء الى يوم البعث ، اذ أن هذا يعني تناقضا واضحا مع أبسط القوانين التي تسيّر الحياة والأشياء . اذ لا يمكن أن يزرع الانسان حسكا وشوكا ثم يقطع ثمارا حلوة .. ما دام قد زرع العلقم فلا بد أن يقطع العلقم ويزدرد الشوك ويذوق المرارة ، بناء على طبيعة قوانين الحياة ذاتها .. القوانين التي تؤكد على أن ( الجزاء ) يتشكل من جنس العمل ، هنا في الأرض وهناك في السماء .

بعبارة أخرى ، ان المصير الفردي والجماعي ، الذي ينبثق عن الاختيار ، سرعان ما يتشكل هنا أولا وفي السماء بعد ذلك ، ربما كان الفرق بين المصيرين في الدرجة والنوع لا في الكينونة ، فالمصير كائن هنا وهناك ، والخارجون عن طريق التوجيه الإلهي سيجدون العذاب ينتظرهم في الأرض قبل أن يحاسبوا في السماء .. عذابا يأتيهم من بين أيديهم وأرجلهم ، ينصب عليهم من فوق ، وينفجر من أعماقهم ، يزلزل عليهم وجودهم ، ويسقط - مؤسستهم الجماعية ، ويمزغ حضارتهم بالترايب .. عذابا يوجهه سياطه تارة الى النفس وأخرى الى الجسد ، ويعمل معاولة حيناً بعد حين في كل ( المعطيات ) التي قدمها مجموع الأمراد على السواء ، وربما كان من بين هؤلاء بعض الصالحين ، إلا أن العذاب الذي يجيء وفق هذه الصيغة الجماعية لا يعرف أحدا دون أحد ، ولكنه يستهدف هذا التشكيل الذي أقامته الأيدي المعوجة والنيات السيئة والقيادات الجاهلية . ومن هنا يأتي التحذير الخطير : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » !!

وهكذا نجد أعمال الانسان العاصي تسمى الى مصيرها الفاشل ، هنا أولا ، فتحبط ، ثم تعود لثمتحن مرة أخرى هناك — فيما بعد — فتحبط مرة أخرى « أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين » « فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين » .. الاحباط والعذاب ، دونما نصير .. ومن ينصر الخاطئين الذين اختاروا الطرق المعوجة ، وصدروا عن نيات سوداء إزاء خالقهم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ؟!

فالمصير واحد إذن — وفق تعليمات القرآن وتحذيراته — ليس ثمة تجزئة ولا ازدواج وليس ثمة فاصل أو جدار بين الأرض والسماء ، ولا بين جزاء الانسان هنا وجزائه هناك ، إن المؤمنين يجدون مصيرهم السعيد هنا أولا ، بركات تنزل عليهم من السماء ، وأما وبقينا ينتجر في أعماق أعماقهم كينابيع ثروة دفقة ما لها من قرار « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء » .. « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » .. وأية سعادة تعدل

سعادة الانسان الذى تحرر من الخوف والحزن ؟ .. ان كل عذاب يهون إزاء الخوف والحزن ، وكل مصير يحتمل إزاء فتك الحزن ونذير الخوف .. إن الخائفين والحزونين لا يقر لهم قرار ولا يتذوقون سعادة ولا يحسّون طعم الحياة ، إنهم ليسوا أحياء ولكنهم ميتون ، قتلهم الخوف والحزن .. إن هذا الخوف وهذا الحزن يبدآن .. أفراد ، ولكنهما سرعان ما ينعكسان على الواقع الجماعى ويعطيان للتاريخ لونه الممتلئ وللحضارة وجودها القلق المهزوز .. اننا نلحظ اليوم هذا الحزن وهذا الخوف على مساحات واسعة من خارطة العالم ، وهو مصير كان لا بد من تحقيقه إزاء العصيان الذى غطى معظم مساحات الأرض .

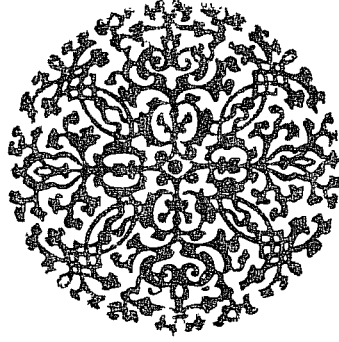
ان المؤمنين أفرادا وجماعات ، كانوا دائما سعداء قبل ان ينتقلوا الى السماء ليضاعف لهم الجزاء . وقد أتاحت لهم هذه السعادة العميقة فرصة حقيقية لتجميع طاقاتهم كلها وتوجيهها وجهة نداء لتصب فى مجرى الحضارة الواسع اللانهائى . وهكذا انعكس اختيار الأفراد ومصيرهم على طريق الأمة والجماعة ومصيرهما ، فكانت الأمم المؤمنة أكثر الأمم ثابته وإيجابية وإسهاما فى إغناء حركة التاريخ .

يبقى بعد هذا شئ يجب أن يقال : ان المصير هنا فى الأرض ينبثق قبل كل شئ من ارادة الأفراد واختيارهم ، ولكنه سرعان ما ينساح على الجماعة كلها ليعطيها صفاتها وملامحها بما إنشأها البحر الذى تصب فيه كل الإيرادات والاختيارات الفردية ، ومن ثم فإن الجزاء سينصب على الأفراد والجماعات على حد سواء ، وهكذا فإن العذاب — فى الأرض — قد يصيب عصاة بالذات — كأفراد — وقد يدمم على الجماعة كلها فيمزقها شرا ممزق .. كما أن السعادة — فى الأرض — قد تمنح المؤمنين بالذات — كأفراد — وقد تنزل على الجماعة المؤمنة كلها فتوحيدها وتجعلها جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

أما فى السماء فيتقدم الانسان وحيدا ليحاسب أمام الله سبحانه ، يحمل معه كتابه الذى خط فيه اختياره وسطر على صفحاته أعماله ، فينال — بعد حسابه — مصيرا مكافئا لهذا الاختيار وذلك العمل .. فى اليوم الآخر تتفكك الجماعات وينصب الحساب على المنطلق الأول للعمل الانسانى ، وهو الفرد الذى لا مفر له من أن يجابه مصيره هناك « لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتية يوم القيامة فردا » .. !!

ولكن — وبين الحين والآخر — ستشهد المحاكمة الكبرى يوم القيامة ، أما شتى أسهم كل أفرادها أو جلهم فى العصيان ، صدروا عن نيات سوداء ، وقدموا أعمالا لا وزن لها عند الله .. أو أن بعضهم — على الأقل — سكت ولم يحرك يدا ولا لسانا ولا قلبا ، إزاء ( العصيان ) الذى يمارس أمام عينيه ، والفجور الذى يتمخض عن سكوته ، والظلم الذى يطبع برقاب الصالحين ، وهو واقف ينظر دونها حراك .. ستدخل هذه الأمة النار « كلما دخلت أمة لعنت أختها » .. وصدق الله العظيم « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .





# الحضارة وركانها في الإسلام

الدكتور : احمد شوكت الشطى

عرفت الحضارة بأنها مجموعة مظاهر الرقى فى قارة أو فى قسم منها أو عند قوم من أقوامها وتطور أفرادها وجماعاته نفسيا واجتماعيا وعلميا وتمتعه بالازدهار فى ميادين التجارة والصناعة وآفاق العلم وحقول الزراعة واتساع العمران وتوسع البنيان وشمول الرخاء بين أفراد الشعب وجماعاته وما الى ذلك مما يوفر للناس حياة فاضلة وعيشة مطمئنة هنية .

هذا وإذا كان التعريف بالحضارة صعبا كما بيّنا فكم بالحرى أن يكتنف التعريف بالحضارة العربية التى فجرت ينبعها عند العرب ، رسالة الإسلام القرآن الكريم العربى اللسان وأسهم بها أمم وأقوام عربية وغير عربية ، مسلمة وغير مسلمة ، عثرات وصعوبات تدفعنا الى التساؤل عما اذا كانت حضارة العرب بعد الاسلام هى حضارة إسلامية ، أم هى حضارة عربية ، أم هى حضارة عربية إسلامية ؟ .

أ - هل الحضارة العربية التى أعقبت ظهور الإسلام عند العرب حضارة إسلامية ؟ انها فى الواقع حضارة بدأت إسلامية اذ شمع نورها من تعاليم الاسلام ونمت فى ظله وتحب رعاية خلفائه الأولين ، فهى من حيث انطلاقتها حضارة إسلامية بحتة .

❁ الحضارة تمنى الإقامة فى الحضر .

٢ — هل الحضارة التي برزت عند العرب بعد الاسلام عربية بحتة ؟ الواقع انها حضارة عربية لأن القرآن العربى كان سبب انطلاقها ولأن الذين أسسوها بها من غير العرب كانوا ممن تثقفوا بثقافة إسلامية قوامها اللغة العربية التي عزت عليهم أكثر من لغة آبائهم وأجدادهم فانصرفوا عنها حتى انه ليس من المبالغ فيه القول بأنه لم يؤلف منهم بغير العربية خلال العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية إلا النزر اليسير (١) ، ان فى ذلك كله ما يبرر نعت تلك الحضارة بالحضارة العربية .

٣ — هل الحضارة التي أعقبت ظهور الاسلام عند العرب حضارة عربية إسلامية ؟ . الحقيقة ان تلك الحضارة انطلقت من مسلمى بلاد العرب ثم انتشرت فى بيئات وأقاليم مختلفة العقائد وبين أمم وأقوام عديدة عربية ومستعربة لا يدين بعضها بالاسلام ولكن مبادئه أعجبتها وعدل حكمه راعها وحرية الأديان فى ظلها أبهرها وأمره بالتحلى بمكارم الأخلاق كان موضع تقديرها فاندفعت الى الاسهام بتلك الحضارة وكان بعض هؤلاء عيسوى النحلة فأهدوا تلك الحضارة بما لديهم من علم ومعرفة ونقلوا اليها ما عرفوه من حضارات الأولين خاصة حضارة اليونان فأصبحوا مساهمين بتلك الحضارة مشاركين فيها ، لذلك رأينا أن تعريف تلك الحضارة بالحضارة العربية الإسلامية أقرب الى واقعها فى جميع مراحلها فجرينا على ذلك فى جميع مؤلفاتنا .

ومما لا شك فيه أن المستشرقين الذين تعمقوا بدراسة الحضارة العربية الإسلامية لحقهم من الحيرة ما لحق بنا فسماها بعضهم بالحضارة الإسلامية وفى مقدمتهم آدمز (٢) وسماها الآخرون بالحضارة العربية وفى مقدمتهم غوستاف لوبون (٣) .

### أركان الحضارة العربية الإسلامية

تقوم الحضارة العربية الإسلامية على دعائم ومقومات عديدة :  
أولها — دعامة الإيمان : ونقصد به تلك الدعامة التى تولد فى الإنسان الطمأنينة النفسية فتزوده بسلاح يخفف عنه آثار الخوف والقلق والمصائب والأحزان والآثرة والظلم والعدوان (٤) .  
ثانيها — الدعامة العقائدية : لقد تميزت الحضارة العربية الإسلامية باحترام العقائد السماوية جميعها كما تميزت بتسامح دينى عجيب لم تعرفه

(١) يعزى للبيرونى قوله : انه اذهب إلى ان اهجى باللغة العربية من ان امدح بلغة قومي .

(٢) A dams مؤلف كتاب الحضارة الإسلامية .

(٣) G. be hon مؤلف كتاب الحضارة العربية .

(٤) لقد أحسن الكاتب الإنكليزى كوليم التعبير عن اعتزاز العرب بالإيمان وأثره الطمئنين فيهم بقوله : كنت مسافرا على باخرة الى طنجة فى بلاد المغرب ، إذ بعاصفة هوجاء تهب فتشرف السفينة على الفرق فينزل الهول بالركاب فلا يدرون ما يصنعون ويشهد الهسرج والمرج بينهم فيزيد من قلقهم ومن الفوضى فى أعمالهم ، وبينما الناس كذلك إذ بى أرى جماعة من العرب استقوا فى صف واحد يصلون مكبرين مهللين مسبحين . فسألت أحدهم ماذا يفعلون ونحن على أبواب الفرق ؟ . فأجاب : سمعنا للخلاص كفيرنا ولما لم نوفق جميعا انقطع عند غيرنا هبل الرجاء فاصبحوا فى حالة من الشقاء ما يفده شقاء ، بينما كنا مؤمنين برحمة من الله فتنجينا مما نحن فيه من بلاء .

حضارة أخرى . لقد بعث الحضارة العربية الإسلامية دين واحد ولكنها كانت للأديان جميعها لذلك استهوت أممته العالم بضعة قرون (٥) .

**الدعامة الإنسانية :** تميزت الحضارة العربية الإسلامية باقرار وحدة النوع الانساني رغم تنوع أعرافه ومنايبته وأوطانه واجتذت التمييز العنصرى من أصوله فالناس سواسية لا فضل لأحد على غيره إلا بالعمل الصالح الذى يقدمه للمجتمع . ولا يخفى أن الحضارة الحالية مع تقدمها لم تستطع حتى يومنا هذا أن تضع حدا للطغيان العنصرى فى كثير من مناطق العالم .

ولك أن تتساءل أيها القارىء عن قصة التمييز العنصرى وعن رأى الحضارة العربية الإسلامية فيها . لقد كان الإيمان بالتمييز العنصرى حليف قوم تبنوه منذ قديم الأزمان فلم يتراجعوا عنه مع ما جلب لهم من محن وشقاء ، ولقد وسع الفكرة فى أواخر القرن الثامن عشر عالم انجلىزى هو السير وليم جونز اذ اكتشف بعض الصلات بين اللغات اللاتينية والاعريقية والالمانية والسنسكريتية فادعى بوجود قرابة وشيجة بين شعوبها ثم أيدى ذلك عالم آخر هو السير ماكس ميلر فزعم أن آباء الهنود والأوروبيين الأولين كانوا يقطنون أراضى آريان فى أواسط آسيا ثم هاجروا منها متجهين الى الجنوب أو الى الغرب حاملين معهم آثار حضارة ميكانيكية . قسم بعد ذلك ميلر الشعوب الى آرية وغير آرية وزعم بأن الشعوب الآرية متفوقة على غيرها . ولقد أخذت الفكرة الآرية والتفوق العنصرى المستند اليها فى المانيا النازية طابعا سياسيا وقوميا فقسّم علماءها الشعوب الى درجات متفاوتة الاستعداد والكفاءات تأتى بموجبها المانيا النازية فى طليعة المتفوقين .

والحقيقة أن الشعوب والأعراق وان كانت متفاوتة فى بعض الصفات إذ بينها الأبيض والأسود والأصفر والأحمر ، فانها من حيث الاستعداد للرقى والحضارة سواء فلم تكن الحضارة وقفا على شعب واحد فى زمن من الأزمان بل تناقلتها أمم مختلفة فكانت الصين مقرا لها كما كانت بلاد وادى النيل ووادى الفرات من مراكز انبعاثها ثم انتقلت الى اليونان فالى العرب الذين احتضنوها وزادوا عليها ثم انتقلت الى الغرب ومنه الى العالم كله .

ولو أردنا تصنيف الأمم استنادا الى عصورها الذهبية فى ماضيها لاعتبر الأوروبيون فى أحط الدرجات . هذا وان العلم لا يقر أيضا التفوق العنصرى ولا نقاوة الأعراق ، ولقد أثبت البحث فى زمر دماء البشر أنه ليس فى العالم شعب خالص النقاء الا فى فئات معزولة وفيما عداها فان الدماء اختلطت بتأثير الهجرات الجماعية التى تمت عبر التاريخ .

والواقع أن اقحام المواهب العقلية والاستناد الى تفوقها الموقوت فى تقسيم الشعوب وتمييز الناس بعضها من بعض على هذا الأساس أمر شجبه العلم وأبطله التاريخ وكذبته المعرفة بشتى نواحيها .

**المقومات العلمية :** لقد اعتمدت الحضارة العربية الإسلامية على العلم كما اعتمدت على الايمان فخاطبت العقل والقلب معا وأثارت العاطفة والفكر فى آن واحد .

لقد حبيب القرآن الكريم بالعلم فقدس القلم ، حتى أقسم به فى قوله تعالى :

﴿٥﴾ إنه لمن المؤسف أن يكون فى العرب فئات تستغف من قومنا وهضارتهم باعتبار أنها ليست شيئا اذا قيست بروائع الحضارة الحديثة واختراعاتها ومتوهجاتها فى آفاق العلم الحديث ، وفى رأى أن ذلك لا يبرر الاستخفاف بهضارتنا بل يدعو الى بحثها من جديد .

« ن والقلم وما يسطرون » (٦) وأشار الى انه وسيلة العلم والتعلم بقوله تعالى : « اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » (٧) وساعد على مطاردة جيوش الأوهام والأساطير في العالم قديمه وحديثه فنهى الكتاب الكريم عن أن يتبع أحد أحدا عن غير علم في قوله : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » (٨) . كما شجعت الأحاديث الشريفة على طلب العلم وتخليده والعمل به بأقوال بلغت في البلاغة قممها ، وفي الحكمة ذروتها . من ذلك :

أطلبوا العلم من المهد الى اللحد ، طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فضل العلم خير من فضل العباداة ، قليل من العلم خير من كثير من العباداة ، ومنها : أكرموا العلماء ، تعلموا وعلموا فان أجر المعلم والمتعلم سواء ، ومنها : كن عالما أو متعلما ولا تكن الثالثة ( أى جاهلا ) ، ومنها أيضا : لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه علم فقد جهل ، ومنها : باب من العلم يتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها .

ان تاريخ الحضارات لا يعرف حركة ثقافية أعظم من تلك التي نشأت في البلاد العربية والإسلامية ولا يعرف حركة في العالم تحاكي اقبال العرب والمسلمين عليه ، فقد كان تهافت طلاب العلم في جميع أنحاء البلاد العربية والإسلامية على بغداد ودمشق وقرطبة وغيرها من مراكز التعليم أشد وأكثر من تهافت طلاب العلم على جامعات أوروبا وأمريكا في هذه الأيام وكان الأساتذة يتوافدون الى مراكز التعليم من مختلف الأقطار التي تتكلم العربية لا طمعا في مغنم وإنما حبا في نشر افكارهم وتلقين معارفهم ، وكان التزاحم بين الأساتذة على أشده فأقدرهم وأفهمهم من جمع حوله أكبر عدد ممكن من المستمعين . وكان القرآن الكريم أساسا في حلقات التعليم (٩) . ولا ريب أن اختلاف الأساتذة وتباين طرق تدريسهم وتشعب مادة الدراسة وعدم التفريق بين أستاذ وآخر من حيث الجنسية أدى الى إلهاب شعلة الفكر في أدمغة كثيرين ممن كانوا يرتادون تلك المساجد ، فقد كان الطلاب لا يترددون في الاستماع الى أستاذ من نيسابور

(٦) سورة ٦٨ : آية ١

(٧) سورة ٩٦ : آية ٤ و ٥

(٨) سورة الإسراء ١٧ : آية ٣٧

(٩) ولقد اقترح أن تسمى الحضارة العربية أو الحضارة الإسلامية بحضارة القرآن للأسباب الآتية :

١ - لأن الحضارة ، موضوع بحثنا وليدة ثورة إنسانية شملت جميع مرافق الحياة دعا اليها القرآن ، فبدل حال العرب وغيرهم بأحسن مما كان .

٢ - لأن القرآن خلد العرب وهال دون أن يطويهم الزمان ولولاه لأصبح العرب وما يقال عن حضارتهم في خبر كان .

٣ - لأن توجيه القرآن الحضارى معجز نكتفى بالتدليل على ذلك شجبه العنصرية منذ قديم الزمان ، شاعلة الدنيا والناس الآن .

٤ - لأن أسسه في لم الشمل مدعاة الى التمسك بها والعمل بهديها وسبيل الى بعث الحضارة العربية وتخليدها ، فقد بينت آياته المعجزات أسباب هلاك الأمم وأسباب خلوها وأعظمها شائنا اتفاق كلمتها .

وأخيرا : لأن القرآن وسيلة جمع الشمل بين العرب ، مسلمهم ومسيحيهم ، وبين جميع المسلمين ، فمن لم تأخذه آياته بالدين ، أخذته بالبلاغة والتعبير الرصين أو بالمثل العليا والأشوة الإنسانية التي هي هدف جميع المصلحين في كل آن وحين .

ثم ينتقلون الى استاذ من سمرقند بعد أن يأخذوا من الأول ما يريدون أخذه دون أن يجد الطلاب والأساتذة غضاظة فى عملهم هذا ما دام جميعهم يتكلمون لغة واحدة هى لغة القرآن العربية .

لقد كان تأجج الفكر العربى فى السنوات التى أعقبت انتشار الاسلام شبيها بتوهج النور من نار كامنة تحت الرماد ايقظها الظفر والسمعة العالية الممتازة . لقد أضاء العلم العربى بأشعته العلمية العالم المعروف آنذاك ، وليس فى الدنيا ما يحاكى توقد شعلة العلم العربى وانتشاره . ولم يكتف العرب بنقل العلوم بل بسطوها تارة ووسعوها طورا وشرحوها احيانا وأضافوا اليها الكثير من المعرفة . **الركن الصحى** : اعتبرت الحضارة العربية الاسلامية المتمتع بالصحة التامة نوعا من انواع النعيم فحرصت على توفيرها للانسان فى مراحل عمره مذكىكون جنينا الى أن يصبح شيخا . لذلك لم ينظر الاسلام الى الزواج كأمر دبرته الفريضة بل حث على البحث فى صحة عرسيه ( الزوج والزوجة ) جسما ونفسا ضمنا لحسن ثمره ، الأولاد ، لأن صفات السلف وقسما من أمراضه تنتقل الى الخلف بالوراثة .

جاء فى القرآن الكريم : « **وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم** » ( ١٠ ) ، وفسر حديث ابن عباس القائل : ( **أربع لا يجزن فى البيع والنكاح : المجنونة والمجنونة والبرصاء والعفلاء** ) ( ١١ ) بعض نواحي الصلاح الذى أشارت اليه الآية الكريمة ، ووضع عمر بن الخطاب استنادا الى تلك الآية وذلك الحديث الشريف تشريعا جاء فيه ( **أيما رجل تزوج امرأة فدخل بها فوجدها مجنونة أو برصاء أو مجنونة أو عفلاء أو بها قرن فلها الصداق بمسببها أياها وهوله على من غره منها** ) .

فاذا أردنا صياغة هذا التشريع صياغة تتناسب مع تقدم العلم جاز لنا القول بأن الاسلام ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض النفسية الخطرة ، وما الجنون إلا نوع منها ، كما ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض المعدية ذاكرا الجذام نموذجا لها ، كما ينهى عن زواج المصابين والمصابات بالأمراض الوراثية بذكره البرص نموذجا لها ويبطل أخيرا زواج المصابين والمصابات بالتشوهات العاتقة للزواج والأنسال .

ولقد حذر الاسلام من كل زواج غير مرضى الثمرة بالأحاديث الشريفة الآتية : ( **اغتربوا لا تظنوا ، تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ، إياكم وخضراء الدمن** ) . يتبين من ذلك حرص الحضارة الاسلامية على صحة النسل بسلامة أصله وارشادها الى ما يضمن حفظ صحة الإنسان فى سنى حياته بحسن تغذيته من غير افراط أو تفريط والعناية بنظافته رمز الذوق والجمال ودليل الأدب وحسن الحال ( ١٢ ) وبدعوته ( الانسان ) الى الحركة لأنها حسنة وبركة فرضها الاسلام بالصلاة وشجّع عليها بالأحاديث الشريفة التى سنت الرماية والسباحة والمسابقة والمبادحة استعدادا لمجابهة الأمور بقوة دليل القول المأثور ( كان أصحاب الرسول يلعبون ويتباحون فإذا حزمهم الأمر كانوا هم الرجال ) . لقد حرم الاسلام ضمنا لصحة الجسم والعقل والنفس ، المسكرات والمخدرات وحتى الدخان . فقد رحلوا الغرب الاختصاصيون مقام الصحة فى

( ١٠ ) سورة النور ( ٢٤ ) الآية ٢٣ .

( ١١ ) العفلاء : من العفل وهو تشوه فى المرأة يمنع من التناسل .

( ١٢ ) وقد روى فى الأثر : بنى الدين على النظافة . وجاء فى الآية الكريمة ( والله يحب المتطهرين ) .

مقومات الحضارة الإسلامية فأعجبوا بها أي أعجاب فأكبروا شخصية الرسول الكريم واعتبروه أعظم مشروع صحن أنجبه العالم .  
**ركن التكافل الاجتماعي :** لقد دعت الحضارة العربية الإسلامية إلى الاسهام بالتكافل الاجتماعي ففرضته على المومر ومتوسط الحال بالزكاة ورغبت فيه جميع الناس على اختلاف ثرواتهم بالصدقات ووضعت قواعد للتضامن بين أفراد الأسرة الواحدة فأوجبت الأرباب الحاجات منهم حقا مفروضا يؤديه لهم ذوو اليسار منهم بما يقوم بكفايتهم من مؤونة وكسوة وسكنى وغير ذلك من شؤون الحياة الضرورية وجعل على الزوج نفقة زوجته من كل لوازم الحياة ، بل ونفقة زوجة قريبه الذى تجب نفقته عليه ، ولقد دعا الاسلام إلى محاربة الممتنعين عن أداء المفروض عليهم من الزكاة ، فحارب أبو بكر الممتنعين وقال جملته الشهيرة : « والله لو منعونى عقاب بغير كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه » وقد نظمت فريضة الزكاة وبيئت مقاديرها وأوقات ادائها بحيث يشعر الأغنياء بأنهم حراس على المال حتى يؤدوا منه حقوق الفقراء فصار المال بذلك بمنزلة المال المشترك بين صاحبه وبين الفقير .

ويرى ابن حزم أن للفقراء والمحتاجين حقوقا فى أموال الأغنياء خلاف الزكاة حتى إذا لم تكفهم وجب على الأغنياء أن يقوموا بكفايتهم وأن يجبرهم ولى الأمر على ذلك إذا لم يقوموا به من أنفسهم ، وأجاز الاسلام صدقة الوقف وهو حبس رأس المال أبدا والتصدق بثمرته على جهات البر والإحسان . وكان ينفق عمر بن الخطاب على المحتاجين فكان يعطى الأموال على كفاية الرجل وعلى ماضيه ومقدار حاجته وكان يزيد العطاء لمن يولد له ولد ، وهذا ما كفلته اليوم أرقى دول العالم فإذا ترعرع الولد زاد العطاء وإذا بلغ زاده أيضا ولم يكن يفرق فى إعطائه للفقراء والمساكين بين مسلم وغير مسلم . ولما كثرت الأموال فى بيت المال فى عهد الفاروق أنشأ له ديوانا نظمت أعماله تنظيها محكما ودونت فيه ميزانية الدولة وخصص للفقراء منه نصيب وافر يداوى منه مرضاهم ويكفن موتاهم وينفق عليهم منه .

لقد فرض الاسلام الزكاة كأحد أركانه وجعلها حقا للفقراء بالآية الكريمة : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » كما جعل الزكاة منة يمتن بها على الأغنياء فلا يمتنون بها على الفقراء وذلك بالقول الكريم : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » .

وتمشيا مع روح السماحة التى اتسمت بها الحضارة العربية الإسلامية لم يجعل الاسلام الانتفاع بأموال الزكاة قاصرا على المسلمين بل جعله شاملا كل محتاج ، قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين » . وعلى هذا الأساس وجد عمر بن الخطاب مرة على باب المسجد رجلا أعمى يتكفف الناس فسأله عن حاله فعلم أنه يهودى فأجرى له رزقا يكفيه . وفى إعطاء غير المسلمين الحق فى الاستفادة من أموال الزكاة يضرب الاسلام المثل الأعلى فى السمو الإنسانى .

يتوقف تقدم المجتمع على شعور أفراده بواجبهم نحوه وقيامهم بهذا الواجب كما يتوقف هذا التقدم على شعور المجتمع بمسؤوليته نحو كل فرد من أفراده وسعيه لتحقيق الرفاهية والطمانية له .

والمثل الأعلى للمجتمع هو ذلك المجتمع الذى تسوده روح التراحم والترابط التى تسود العائلة فيشعر كل فرد بأنه عضو فى هذه الأسرة الكبرى التى تقدم

له الرعاية والأمن والمساعدة فيما إذا احتاج إليها .  
**دعامة الاشتراك بمؤتمر الحج السنوي :** الحج معروف ينتظم من الانسان قلبه وبدنه وماله . وليس من المعقول أن يكون القصد من هذا الاجتماع مجرد الطواف والوقوف في عرفات فإن الله يعبد في كل مكان ويجب الداعي في كل مكان ، وإنما الفاية السامية المقصودة من الحج مسارعة القادرين من أرباب الرأي والحزم الى البحث في أمور المؤمنين ليشهدوا منافعهم وليزيلوا تفتهم . أما المنافع فمعروفة وهى ما تعود بالخير على المجتمع أولا وعلى الفرد ثانيا ، وأما إزالة التفت فليس المقصود منه إزالة التفت الأدنى وهو إزالة أدران البدن من شعث السفر ، وإنما هو تنبيه بالأدنى وهو درن البدن على الأعلى وهو درن العقل ودرن الجماعة ودرن العاطفة ، وأما درن العقل فهو وقوعه تحت ضغط الشكوك والأوهام ، وأما درن الجماعة فهو وقوعها تحت سيطرة الجهل والفقر ، وأما درن العاطفة فهو الوقوع تحت سيطرة القوة الفاضبة وضغط الشهوة والهوى .

**مقومات الدفاع عن السلم والحرية في الحضارة الإسلامية :** لقد دعت الحضارة الإسلامية الى توفير الأمن والسلم ، الى التعاون والتآخي الى اقرار الحق في نصابه والى تمتع الناس بحريتهم الطبيعية وبثمار العدل والمساواة ، فكانت حضارة إنسانية سداها الموعظة الحسنة وكلمة الحق ، ولحماتها الدفاع عن حقوق الانسان وحفظ كرامة ورحمة الانسان لأخيه الإنسان ، لذلك نبذت الحضارة الإسلامية القتال فلم تلجأ اليه إلا اذا التوت بالمعقول السبل فعبثت بالحياة وأراقت الدماء وتحكمت بالجبروت والطفیان وقضت على العدل وميزت الإنسان عن أخيه الانسان وانتزعت الأوطان أو اغتصبت البلدان سمحت حينئذ تلك الحضارة بارتكاب الصعب وهو خوض معامع الحرب والقتال حتى يرجع أهل البغى والعناد الى الصواب والرشاد . ولقد طالبت الحضارة الإسلامية في هذه الحال بالاستعداد الكامل وتحضير كل وسائل القوة ، كما دعت الى أن تكون الأمة كلها جندا مدريا على السلاح لا يستثنى منهم سوى أرباب الأعداء المشروعة . ولقد شجعت تلك الحضارة النساء على الاشتراك في الحروب للتمريض ، هذا كله اذا لم يهجم العدو فاذا هجم وجب على جميع الناس أن يخرجوا للدفاع عن الحوزة فتخرج المرأة ولو بدون إذن زوجها وكذلك الولد بغير إذن أبيه ، ووضعت في الحروب قواعد إنسانية رحيمة تفوق كل تصور .

وإذا كانت حضارتنا اليوم تفخر بمبادئ الصليب والهلال الأحمر فان هذه المبادئ لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة لما طالبت به الحضارة الإسلامية ، فقد أوجبت الإفراج عن الأسير في حالات كثيرة ، منها المبادلة والفداء وتعليم أطفال العرب والمسلمين ، كما حبت الناس برعاية الأسرى بل عدت القائمين بذلك في زمرة الأبرار (١٣) . كما أنها منعت قتل الرهبان ، وأنكرت قتل النساء والأطفال ولو احتسب بهم العدو . وغير ذلك ، وسوف تبقى مبادئ الرسول وخلفائه وأعمالهم في غزواتهم وكلماتهم أبلغ ما يمكن أن يتصوره العقل في هذا الميدان الإنساني إذ عهمت الرحمة على الانسان والنبات والحيوان ، وهل من قول مدعوم بالعمل في حرب ينم عن الرحمة أبلغ من قول الرسول وخلفائه وأعمالهم ، وكانوا حين تعقد الأولوية على أمراء الجيوش يوصونهم بتقوى الله وعدم الاعتداء مرددين التواصي الآتية : (( لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا طفلا

صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند همة النهضات وفي شن الفارات ولا تعفروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تنبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لماكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، نزهوا الجهاد عن غرض الدنيا اندفعوا باسم الله وامضوا بتأييد الله بالنصر ولزوم الحق والصبر ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » . ومن ذلك قول الرسول : « لا تقتلوا عسيفا ولا أسيفا . أى لا تقتلوا الشيخ ولا الأسير » . وفى حديث على رضى الله عنه : لا يتبع مدبر ولا يقتل أسير ولا يذفف على جريح (١٤) .

**وصفوة القول :** بنت الحضارة الاسلامية سياستها الإصلاحية على اعتبار السلم دعامة المجتمع الانسانى والحالة الأصلية التى تهبى للتعاون والتعمارف وإشاعة الخير بين الناس عامة ، واعتبرت الحرب وسيلة لشذوذ لم ينفع فيه الحوار والحكمة والموعظة الحسنة ودفاعا عن النفس ، فإذا وقعت أوصى بالرافة فيها ألا تكون حرب تنكيل وتخريب فلا يقتل فيها النساء والشيوخ والعجز والأطفال (١٥) .

**ركن الرفق بالحيوان :** تميزت الحضارة العربية الاسلامية بما يفاخر به اليوم ويعد مظهرا من مظاهر الحضارة وأعنى به الرفق بالحيوان ، وقد نقل عن الرسول قوله : فى كل ذات كبد أجر ، فاستفسره أحد الصحابة وهل أن لنا فى البهائم أجرا . فأجاب فى كل ذات كبد رطبة أجر . وتمضى الحضارة الاسلامية فتشرع الرحمة بالحيوان وتحرم المكث طويلا على ظهره ، فيقول الرسول فى ذلك : لا تتخذوا من ظهور دوابكم كراسى وتحرم إجاعته وتعريضه للضعف والهزال ، وقد أوصى الرسول بالبهائم المعجمة بقوله : اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة ، كما يحرم إرهاقه بالعمل فوق ما يتحمل . وعلى ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكة ، وقد ذهبوا الى ما هو أبعد من هذا ، فقال بعضهم إذا جاءت هرة عبياء الى بيت شخص وجبت نفقتها عليه ، وكان الخلفاء يذيعون البلاغات العامة على الشعب يوصونهم فيها بالرفق بالحيوان وكان من وظيفة المحتسب أن يمنع الناس من تحميل الدواب فوق ما تطيق أو تعذيبها أو ضربها ، وأما المؤسسات الاجتماعية فقد كان للحيوان منها نصيب كبير وحسنا أن نجد فى ثبت الأوقاف القديمة أوقافا خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة وأوقافا لرعى الحيوانات المسنة المعاجزة . وكان عمر بن الخطاب يصرف معاشا للفقير صاحب الدابة المريضة ينفق منه عليها حتى تشفى .

**الركن الأخلاقى :** يقول برنار فى كتابه عن فلسفة الثورة الفرنسية (١٦) :

(١٤) وقد قال أحدهم بذلك شعرا مخاطبا قائد الجيش العربى الأول :

وقفت أمام الجيش ترفد أسه	وتضم فى تلك المواطن خايبا
تقول لهم لا تحملوا غير زادكم	ولا تفسدوا من الماء عذبا جاريا
ولا تهلكوا زرعاً ولا تهتكوا حمى	ولا تستبيحوا نسوة أو ذرايا
ولا تحرقوا باللائنين كنائسا	ولا تهدموا باللاجئين مغانيا
ولا ترهقوا الأسرى قرب محارب	الى الحرب يسعى مكرها لا معاديا

(١٥) وقد قال الرسول فى ذلك : لا تقتلوا الذرية فى الحرب .

(١٦) ص ٦٧ ، يقول فولتير فى كتابه الى مركيزة دى دى ديفان : أن بين البشر تضامنا أخلاقيا سببه أن فى كل فرد منهم غريزة أخلاقية تشمعه بالمعالة كما تشمعه بالظلم الذى يقع على إنسان آخر .



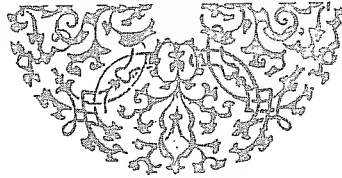
لقد احتاج الانسان الى قرون لمعرفة جزء من قوانين الطبيعة فى حين يكفى الرجل الحكيم يوم واحد لمعرفة واجبات الانسان الاخلاقية .

لقد أشاد كل من محمد والمسيح عليهما السلام بالأخلاق الفاضلة وبوجوب التحلى بها لأن الأخلاق الفاضلة واحدة فهى هى لدى كل من يعملون عقلهم بالرغم من جميع الخلافات التى يمكن أن نلاحظها فى الأعراف أو فى المصالح المتصارعة أو فى اللغات أو فى الأشكال التى تظهر بها القوانين والعبادات ، فأننا نجد فى كل مكان رأس مال مشتركاً بينها وقانوناً يصلح لجميع البلدان وتعرف بداهته فى داخل ذواتنا أنه قانون الأخلاق . فان فى داخلنا غريزة تجعلنا نشعر بما هو عادل واحساساً بالعدالة يشترك فيه جميع الناس وهو موجود بحكم قانون الطبيعة التى لا تعلن إلا حقائق منقوشة فى قلوب الناس جميعاً . لقد غرس الله فى كل إنسان بذرة الأخلاق الكريمة فما عليه الا أن يعنى برعايتها لأنها قوام التعامل بين الأفراد وفى المجتمعات .

ذلك هو مكانة الأخلاق فى نظر الفلاسفة فما هو نصيب الحضارة العربية الاسلامية من الأخلاق والدعوة الى التمسك بها .

لقد وجهت الحضارة العربية الاسلامية الإنسان الى التحلى بمكارم الأخلاق معتبرة الأخلاق القويمة دعامة المجتمع فكان من ذلك أن دعت الى الألفة والتعاون والتأخى والتوادد بين الناس لا بل رغبت الناس بالعفو عن السيئة ودفعها بالحسنة ، فقد جاء فى سورة الروم : « ولا تستقوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » . ولقد دعت تلك الحضارة الى الانصاف بالحكمة واللين بل عدت حسن الخلق من الدين (١٧) .

لقد بلغت الحضارة العربية الاسلامية فى دعوتها الى مكارم الأخلاق شأوا سامياً لم تبلغه حضارة لا فى القديم ولا فى الحديث لا بل جعلت من كبرى أهداف الرسول الكريم اتمام مكارم الأخلاق كما يؤكد ذلك الحديث الشريف القائل : انها بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وفى رواية وإنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق ، فإذا عرفنا أن فلاسفة اليوم اعتبروا الأخلاق المقياس الوحيد لتقدير الحضارات والمفاضلة بينها أدركنا مكانة الحضارة العربية الاسلامية بين الحضارات العالمية .



---

(١٧) جاء رجل الى النبى وسأله ما الدين : فاجابه الدين حسن الخلق وكرر عليه السؤال مرارا حتى قال له الرسول أما تفقه الدين حسن الخلق . وقيل لرسول الله فلانة تقوم نهارها وتقوم ليلاً ولكنها تؤذى جيرانها فبلسانها فقال رسول الله لا خير فيها .



# الدعوة الإسلامية

في لهجتها في تحت إلهامها

للاستاذ : سفيان سالم

## مسلمو أفريقيا جزء هام من العالم الإسلامي :

لم يعد ثمة شك في أن المسلمين الأفريقيين الذين يعيشون اليوم داخل حدود القارة التي تبلغ مساحتها ١٢٠٠ إلى ١٢١٠ ميلا مربعا والذين يبلغ عددهم حسب آخر الإحصائيات التي نعرفها أكثر من ثمانين مليون نسمة - لم يعد ثمة شك في أن هؤلاء المسلمين يشكلون قوة هامة وحساسة في حاضر العالم الإسلامي ومستقبله ..

وإذا كانت الدول الاستعمارية الأوروبية التي احتلت أفريقيا قرابة خمسمائة عام ، بدأت بالبرترغال التي كان هدفها الرئيسي من سيطرتها على أفريقيا محاربة الإسلام ، وإيقافه عن زحفه المقدس إلى أقصى الجنوب .

أقول : إذا كانت هذه الدول قد نجحت إلى حد ما في عزل مسلمي أفريقيا جنوب الصحراء وبعض المسلمين في مناطق أخرى من أفريقيا عن الاتصال بالحركة الإسلامية العالمية - فإن هذه الشعوب بعد أن خطمت أغلال الاستعمار واتاحت لنفسها فرصة الاستقلال والانطلاق إلى أبعد من حدودها نستلمب من غير شك دورا هاما مع شعوب العالم الإسلامي في تحقيق مستقبل أفضل لخير الإسلام والمسلمين .

وتظهر أهمية مسلمى أفريقيا ومدى المساهمة الضخمة التى يمكن ان يقوموا بها فى حركة الدفع الثورى للدعوة الاسلامية ، اذا عرفنا مقدار ما تشتمل به قارتهم الكبيرة التى يعيشون داخلها من امكانيات اقتصادية واستراتيجية وبشرية هائلة ..

فالمحاصيل الزراعية التى تنتجها أفريقيا ، تكاد تتنوع على نحو شامل بحيث لا يوجد محصول زراعى آخر فى العالم لا يزرع فى أفريقيا ، وثروتها المعدنية بلغت من الضخامة حدا جعل انتاجها من الماس يصل الى ٩٨ ٪ من الانتاج العالمى ومن الذهب ٥٥ ٪ منه ومن النحاس ٢٢ ٪ .. هذا الى جانب الثروات المعدنية الهائلة الأخرى من اليورانيوم والكروم والكوبالت وغيرها .

أما امكانياتها الاستراتيجية فى عصر أصبح فيه للموقع الاستراتيجى كل هذه الأهمية التى تحدد مصير الدولة سياسيا وعسكريا واقتصاديا فيكفى أن نعرف أن حدودها الغربية تقع على المحيط الأطلسى ، ثم يحدها المحيط الهندى من جهة الشرق وهو المحيط الذى يتصل بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق البحر الأحمر أو بحر العرب ، وبعد ذلك تشرف أفريقيا فى الشمال على البحر الأبيض .

وإذا تركنا أهمية القارة الأفريقية من حيث وفرتها الاقتصادية ، وحساسية وضعها الاستراتيجى ، وتحدثنا عن طاقتها البشرية يبرز عامل رئيسى يصبح له امتياز فى تقدير مدى أهمية شعوب أفريقيا فى ميزان الثقل الدولى .

فالإحصائيات الأخيرة تقدر بـ ١٩٨ مليون نسمة منهم خمسة ملايين من البيض الأوروبيين الذين استوطنوا بعض الأجزاء ، وهو عدد يجب أن نسقطه من الإحصائية حين نذكر عدد الشعب الأفريقى .. هذه العوامل الثلاثة وأعنى بها ثروة أفريقيا الاقتصادية والبشرية ثم موقعها الاستراتيجى يجعل لمسلمى هذه القارة أهمية كبرى ، حين نقيم دورهم فى ميدان الدعوة الاسلامية العالمية .

### توزيع المسلمين فى أفريقيا اليوم :

على الرغم من الحروب الصليبية التى شنتها الدول الأوربية على مسلمى أفريقيا وعلى الرغم من حركات التبشير التى دخلت مع الاستعمار الغربى الى هذه القارة ..

وعلى الرغم كذلك من ضعف المسلمين ماديا أمام أعدائهم الذين فاقوهم عدة وسلاحا ، واستمرار هذا التفوق بفضل الثروة الصناعية التى مكنتهم من الغلبة والقهر .

وعلى الرغم من كل هذه العوامل وغيرها استطاع المسلمون فى أفريقيا أن يحافظوا على عقيدتهم الروحية بل ليس هذا فحسب ، وإنما أخذ عدد المسلمين يتزايد بفضل ما تنطوى عليه تعاليم الاسلام من البساطة والمبادئ الإنسانية السامية ، وهذا ما صرح به رجال التبشير انفسهم .

فى بحث شامل لمجلة « الكريستيان ساينس مونيتور » نشرته منذ عشرة أعوام تعرض الكاتب — وهو قسيس مسيحى قام بزيارة طويلة لأفريقيا — للظروف التى تعرضت لها المسيحية فيها فقال :

( على الرغم من الجهود الضخمة التى يقوم بها المبشرون المسيحيون فى أفريقيا اليوم ، وعلى الرغم من الأموال الطائلة التى تنفق على تحويل الأفريقيين الى الديانة المسيحية . . فان الأفريقيين أقل حماسا للدخول فى المسيحية منهم فى الاسلام فالاحصائيات الدقيقة التى أجريت فى أفريقيا قد أكدت أن دخول الأفريقى فى المسيحية يقابله دخول ٨٧ من زملائه فى الاسلام ، واستطيع أن أصرح بأن الظروف التى تكتنف المسيحية تعتبر السبب الرئيسى فى هذه النتائج فهى ديانة الرجل الأبيض الذى يستعمر الرجل الأفريقى ، ويعامله فى شئ من القسوة والظلم ، وهذا ما لمستة بنفسى حين تحدثت الى بعض الأفريقيين فى غرب أفريقيا . ثم أنعزال رجال الدين المسيحى عن الحياة القومية والاجتماعية التى يعيشها الأفريقيون .

فالاندماج لا يتم الا فى حدود أداء الوظيفة الدينية فقط ، كذلك يشعر بعض الأفريقيين الذين تحولوا الى المسيحية أن الأوروبيين وهم فى نظرهم أصحاب الدين المسيحى ، لا يطبقون تعاليم المسيح كما وردت فى الانجيل من اعطاء الفرد حريته وتمتعه بحقه فى المساواة مع غيره . . الخ .

يضاف الى هذه العوامل عامل آخر على جانب من الاهمية وأعنى به اصطدام تعاليم المسيحية أحيانا مع تقاليد الأفريقيين القديمة ثم يستطرد هذا الكاتب فيقول :

وحين نقارن الاسلام بالمسيحية نستطيع أن نقول — والأسف يملأ قلوبنا — أنه لا يزحف فى أفريقيا زحفا بطيئا مطردا بل يكتسح طريقه فى سرعة مذهلة فان عدد الأفريقيين المسلمين أصبح يتجاوز اليوم الثمانين مليونا — هذا بالإضافة الى تزايد تزايد مطردا سريعا .

وقد أدركت حين لمست بنفسى أن الأفريقيين ينظرون الى الاسلام على أنه دين الشرق المسالم الذى لم يستعمر أفريقيا ، وهناك سبب آخر قوى لنجاحه وهو أن الاسلام يستطيع فى سهولته أن يتلاءم مع تقاليد الأفريقيين القومية .

ثم أن الاسلام لدى الأفريقيين يتم عن طريق مواطنيهم المسلمين ، وليس عن طريق رجال الدين ، وهو اعتبار له أهميته .

ومعاهد التعليم التى يهاجر اليها الزوج فى القاهرة وبلاد الشمال الأفريقى ليست هى الأخرى سوى مصنع ينتج دعاة اسلاميين مزودين بمنطق عاطفى يكون لتأثيره بين مواطنيهم الوثنيين والمسيحيين ( على زعمه ) بعد عودتهم ( فعل السحر ) .

أقول فلعل ما جاء على لسان هذا القسيس يوضح لنا فى جلاء طبيعة الصراع الدينى فى أفريقيا ومدى نجاح الاسلام فى مد خطوطه وممسالكه عبر مجاهلها وشعابها المختلفة .

أن الدين الاسلامى دين بسيط سمح لا يعترف بكهانة وطقوس وحين تخالط معانيه شغاف القلوب يتأصل فى عمق وتمتد جذوره الى أغوار النفس الانسانية فلا تستطيع قوة فى الدنيا كائنة ما كانت أن تؤثر فيه بعد ذلك .

### ما هو الاسلام ؟

سؤال من وجهة النظر الى قضايا العصر واهتماماته والصراع البشرى فيه ، ما هو الاسلام ؟

## والجواب :

الاسلام دين الله ، بمعنى أنه تفسير للحياة على أساس « مشيئة الله الواحد » ..

ثم الالتزام بهذا التفسير الذي يتم نتيجة « إيمان » أى تصديق من طريق العلم المباشر ، أو العلم بالاستدلال بأنه الله « الذى ليس كمثله شئ » والذى هو صانع ومحرك ومدبر لهذا الكون ومن فيه وما فيه بين الأزل والأبد على أساس وحدة هذا الكون ، واتساق قوانينه وتساوى وحدات أجزائه وأشيائه أمام هذه القوانين ..

كذلك فان العبادات والشرائع والنظم الاجتماعية والاقتصادية التى أوحى الله بها الى أنبيائه وإلى محمد صلى الله عليه وسلم هى موضع التصديق الكامل والتطبيق الأمين ..

وهى مسئولية مقررة من الأفراد تجاه المجتمع ، ومن المجتمع تجاه الأفراد ومن كل فرد تجاه نفسه من حيث أن هذه الشرائع والنظم هى أساس قيام « مجتمع المؤمنين » ، الذى ليس فيه واحد من البشر أكثر من واحد ، ولا واحد أقل من واحد ، وإن الجميع سواء فى موقفهم البشرى أمام القانون الأعلى على كل شئ وهو « الله » ..

هذا تعريف الاسلام من وجهة النظر الى موقفه العقائدى .  
وأما من وجهة النظر اليه كمنهج لبناء المجتمع ، فإن تعريفه على أساس مقوماته الاجتماعية يكون كالآتى :

الاسلام هو نظام إلهى فى تشريعه ، وعلمى بتجربته ، وهو يقوم على بناء المجتمع عن طريق بنائه الإنسانى للفرد والقيادة فى هذا المجتمع جماعية بين أبنائه الذين هم بالايمان عباد الله وأخوة بين أنفسهم ، وسادة على الموارد المسخرة لهم ، والذين يقيمون مجتمعهم على أساس أن العمل هو مصدر الحقوق والدرجات للأفراد فى هذا المجتمع ، وعلى أساس أنهم من نقطة الاخاء بالايمان ، شركاء بالعمل فى الموارد والثمرات والأموال التى هى فى المجتمع ، وفى أيدي المؤمنين أموال الله ..

وعلى أساس أن هذه المشاركة تعنى بالوازع وبالالزام أن يعود فائض الحاجة فى يد كل فرد — أى ما يفيض عن حاجاته الأساسية — الى أيدي أخوته الآخرين أى الى المجتمع الذى يتحرك بهذه الأموال على أساس العلم المستمد من تجربة الايمان الى العمران والانفتاح بالسلام على كل العالم .  
من هذا التعريف نبدأ فنسأل ونبحث عن هذه المجالات التى تبرز فيها علاقة الاسلام الواضحة بالمفاهيم العامة لما جد من تيارات فكرية معاصرة وآراء مستحدثة وأساليب مختلفة للتبشير .

## قضية القضايا :

من بؤرة التقدم العلمى الحديث فى هذا العصر ، ومن مركز عملياته العقلانية المعقدة يسطع ضوء خاطف تعشى فيه العيون فى جو تزار فيه أدوات القوة وتمزقه ضوضاء الدعاية ، وتسيطر عليه أدوات الدقة .  
فيضع أكثر الناس أيديهم على أعينهم يمسحونها ، ثم يعاودون النظر

يلتمسون — فى ظلمات هذه الأضواء المعتدية — طريقا مأمونا الى سلام العالم ،  
والى حياة جديدة تعيش فيها الأجيال البشرية ، وتتمو فى رعاية العلم بغير  
عدوان ..  
فى عالمنا المعاصر حيث يقف المتقدمون والمتخلفون معا على حافة هاوية ،  
نجد الظواهر الآتية فى قضية الدين واستخدامات العلم :

١ — نجد انكماش جماعات المؤمنين بالدين الإلهى الحق على سطح  
الأرض .. دين الوحي الذى يجمع بين الايمان والعمل لبناء سلام الانسان  
وتقدمه .

٢ — نجد انتشار معتقدات العزاء الروحي من أول ( اليوجا ) الهندية الى  
( الغنوصية ) اليهودية ، وهى معتقدات سرية باطنية تؤمن بالروح التسى لا يمكن  
أن يقال ما هى .  
وتنكر وتقهر الجسد الذى يمكن ان يقال ما هو ؟ بينما تطلب بالرياضة  
أو السحر أو الشعوذة ما لا يمكن أن يدركه الانسان الا بالايمان والعمل .

٣ — نجد انتشار القلق فى المجتمعات الصناعية العلمانية والاشتراكية من  
فراغ تحس به تجاه « قوة ما » وراء الطبيعة قوة غير مادية وان كانت حركة  
المادة هى الدليل الأول عليها هذا .. وان كانت المادية العلمية تنفى بالعلم السلام  
والتقدم فى مجتمعها شكلا من أشكال العدل الاجتماعى وتعلى من قيمة العمل  
وتكرس حقوق الجماعة دون استغلال .  
الا أن ذلك يقع مشروطا بانكار الدين مما يترتب عليه ترك هذا الصراع  
المحس فى أعماق النفس الانسانية الكادحة فتتململ وتضطرب وتنظر الى  
بعيد ..

٤ — الى جانب هذا يوجد المجتمع الذى تتمثل فيه قضية القضايا ومشكلة  
المشاكل فى هذا العصر .  
يوجد ( المجتمع الرأسمالى ) الذى يرفع أمام ضحاياه راية الايمان بينما  
يدفع بالعلم وتطبيقاته الى خدمة السياسات والخطط العدوانية للصهيونية  
والاستعمار .

هذا المجتمع العجيب المتظالم المتضارب يدفع العلم الى الخروج عن أهدافه  
والى التمرد على عقيدته يدفع بهذا المارد المختال ( التكنولوجيا ) . لينفلك من  
سلطان الارادة الخيرة فى المجتمع الانسانى وليستعصى على أى اتجاه للاخاء  
البشرى والسلام العالمى والرخاء المتبادل بين الشعوب ..  
ان ( أمريكا ) تنفق مليارات الدولارات وهى ترسل إرسالاتها الاستعمارية  
تحت أثواب المسيح ، ورايات المسيحية ، لتقدم لبسطاء الشعوب النامية فى  
أفريقيا خدمة العلم المتقدم ، وترسم لهم الصليب على بعض السلع والتكنولوجيا  
الاستهلاكية ، وترى أن ذلك يبرر سرقتها لموارد ومستقبل شعوب حية فى  
آسيا وأفريقيا .

وعندما لم تنجح هذه الخديعة البلهاء ، عادت ( أمريكا ) ترسل قاذفات  
تقابلها الضخمة وعليها الشعار المسيحى أيضا ، لتدمر وتحرق وتبيد شعوب  
( فيتنام وكمبوديا ولاوس ) والشعب العربى باسم الحضارة الامريكية المسيحية .  
والدكتور القس « فلويد شاكلوك » الامريكى يبدى دهشته العظيمة من هذا  
الأمر فى كتابه ( الايمان الثورى ) ويقول :

« ان البعثات الامريكية الدينية المسيحية قضت مائة وخمسين عاما تجاهد  
فى بلاد الصين ، ولكن فى ثلاثين عاما دخلت الشيوعية بلاد الصين — أنه يتساءل  
كيف لعب دعاة الشيوعية على عقول الناس بالأقوال الجوفاء ، والوعود المعسولة؟  
ثم يجيب اجابته الغبية فيقول — : ان الشيوعية كسبت الصين بالقوة بينما  
رسل المسيحية — يعنى رسل الاستعمار — لا يقبلون اللجوء الى المسائل العنيفة .

ان ( أمريكا ) — أيضا — تنفق مليارات الدولارات لكى يمد العلم المتمرد  
على السلام اقدامه فى الفضاء ، ويطأ من أجل أغراض الدعاية أو الأغراض  
العسكرية وجه القمر بينما الأرض ملأى أمام أعين ( القديس ستام ) بملايين  
المرضى والجوع ..

والعلم المتمرد ينفذ بصره ويعيث بأصابه فى معاملته السرية يخطط لجريمة  
تصنيع الأدميين فى أنابيب الاختبار ، فيحكم على انسانية الانسان بالموت من حيث  
يفصله فى المعمل عن كل ما هو طبيعى فى الحياة بينما هو يحشد فى نفس الوقت  
أسلحته الكيميائية والبيولوجية ، وخططه للتعميم الجماعى من أجل اباداة الانسطن  
الطبيعى عندما يكون منونا » .

وهكذا العلم الذى هو الأمل أصبح مع تحديات الصهيونية والاستعمار هو  
المشكلة . وهذه هى قضية القضايا .

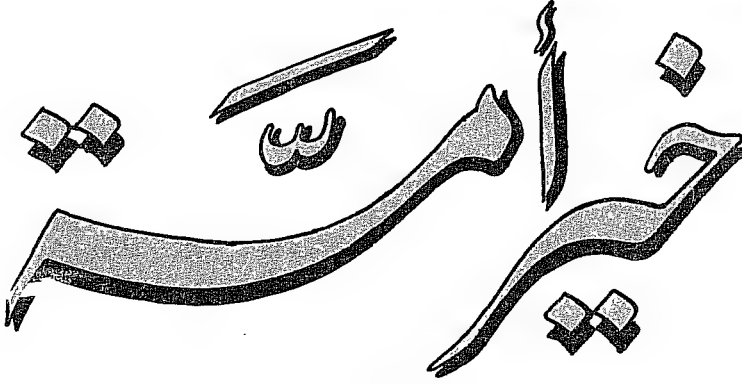
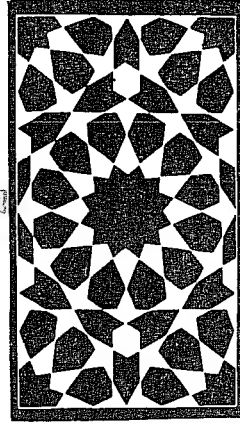
وعلىنا نحن — العالم الاسلامى — آباء البشر فى التاريخ وأولياء أنفسنا فى  
الواقع ان نبحث هذه القضية من جذورها — نبحثها من البداية ونحن نتخذ الطريق  
الصحيح الى فهم واجبا الدينى وتصور دورنا الانسانى فى أحياء الحياة لسو  
استطعنا أن نشارك من خلال تجربتنا وأسلافنا فى تقييم العلم بالعلم الالهى من  
خلال رؤية صحيحة للدين الاسلامى ، أننا بهذا نحقق القوة الكاشفة فى داخلنا  
وخرجنا التى مصدرها الايمان وأساسها العلم واطارها وغايتها الاسلام وحركتها  
وجهادها البناء والفداء نستطيع أن نعيش رغم تحديات العصر فى انسجام معها  
وتعاطف وكشف ، وفوق ارادة اعداء الاسلام فى كل مجالات الحياة الاقتصادية  
والثقافية والانسانية دون قصور أو اهدار أو قلق .

نستطيع أن نبني وأن نعيش حياتنا كاملة كما سلف فى تاريخنا الاجتماعى  
حيث يمكن ان تتساوى الوحدات البشرية أى الأفراد والمواطنون بمقادير وأنواع  
العمل أمام الله ولصالح المجتمع حقا والتزاما حياة لا تتناقض فيها القوانين ، ولا  
تتصادم المصالح ، حياة لا يختلف فيها العقل عن التجريبي ولا الدينى عن الدنيوى  
حياة هى الوجود الحق المترع بالأمن والحب والإخاء .

● موجز بحث مقدم من الاستاذ سفيان سسالم دارمى لمجمع البحوث  
الاسلامية ..



من وحي ذكرى  
مولد الرسول



للدكتور / محمد الدسوقي

١ - اطبقت كلمة العلماء والباحثين على ان البشرية كانت قبل مولد محمد صلى الله عليه وسلم في حاجة ماسة الى من يأخذ بيدها الى سواء السبيل ، فقد ضلت طريقها الى الله ، واتخذت الأصنام والأوثان - على تعددها وتباينها - آلهة تؤمن بها وتعنو لها ، وعاشت حياة طابعها القهر والبغى والفساد ، لقد كان ظلام الجاهلية مطبقا ، شمل العقائد والأخلاق والمعادات ، وران على الضمائر والمشاعر والعقول ، وجعل المجتمع الانساني ائسبه ما يكون بالقطيع في الغاية تقوده الشهوات الجامحة ، وتحكم علاقاته القوة الباغية ، وكان لا بد ان يشرق الفجر ليبدد الغياهب ويقضي على المفسد ، ويرشد الضالين والحيارى الى طريق الحق والى صراط مستقيم .

٢ — وانبثق الفجر فى بطحاء مكة بمولد محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد كان مولده عليه السلام إرهابا بنهاية ذلك العهد المظلم فى تاريخ البشرية ، وبداية لعهد جديد مشرق بالوحدانية والحرية والعزة والكرامة والعدالة والفضيلة .

لقد بعث الله محمدا على رأس الأربعين من عمره بدعوة الاسلام التى انقذت البشرية من دياجير الجاهلية ، ورسمت لها سبيل سعادتها فى الدنيا والآخرة .

لقد حررت دعوة الاسلام البشرية من إيسار المبودية لغير الله « وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله هو » (١) « إن الهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق » (٢) .

وكما حررت دعوة الاسلام البشرية من إيسار الشرك والوثنية حررتها كذلك من إيسار الطائفية والعنصرية ونظرية الدماء المقدسة ، فكانت أول صيحة عامة فى التاريخ ترسى مبادئ الأخوة والمساواة على أسس وطيدة من الإيمان .

٣ — ولأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات الإلهية جاءت دينا عاما للناس كافة ، كما جاءت صالحة للإنسان فى كل زمان ومكان أتى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد امتن الله على المؤمنين بهذه الرسالة الخاتمة والدعوة العامة بأن جعلهم خير أمة أخرجت للناس ، بما است حفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ، ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه ، والذى يهدى للتي هي أقوم ، والذى يحقق للإنسان — دون غيره من الكتب والنظم — الحياة الكريمة التى تليق بخلافة الإنسان المقدسة لله فى الأرض .

٤ — واستحفاظ الأمة الإسلامية على هذا الكتاب الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن يكون الكل شهداء عليه يعنى التزام هذه الأمة بكل ما جاء به القرآن الكريم التزاما صادقا ، وصياغة حياتها وفق توجيهاته وتعاليمه ، والعمل على إذاعة دعوته وإقامة شريعته بين الناس قاطبة ، وسبيل ذلك الحفاظ على أمانة الدعوة إلى الخير والبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لتظل دائما كلمة الله هى العليا ، وتبقى القيادة دائما فى هذه الأرض للخير لا للشر (٣) . وهذا هو مناط الخيرية التى أسبغها الله على الأمة الإسلامية ولم يسبغها على أمة سواها « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٤) .

٥ — على أن الخطاب فى هذه الآية الكريمة ليس خاصا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، كما ذهب إلى هذا بعض المفسرين (٥) ولكنه عام يشمل الأمة كلها بلا تفرقة بين قبيل وقبيل ، فكل مسلم مسئول عن أمانة الدعوة إلى الخير والبر ، وإن كان

لأهل الرأي والخبرة والعلم والمعرفة دور بارز واثر واضح في القيام بها ، فضلا عن أنه لا بد من سلطة تمكن لهذه الأمانة وتنحدر عنها ، يشهد لهذا قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (٦) فالآية تقرر أنه لا بد من سلطة في الأرض تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، لأنه إذا جاز أن يتولى الدعوة إلى الخير غير ذي سلطان فإن الأمر والنهي لا يقوم بهما إلا ذو سلطان ، فهذا تكليف ليس بالهين ولا باليسير إذا نظرنا إلى طبيعته وإلى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم ومصالح بعضهم ومنافعهم وغرور بعضهم وكبريائهم ، وفي الناس من ينكر المعروف ويعرف المنكر ، ولا تفلح الأمة إلا أن يسود الخير وإلا أن يكون المعروف معروفاً والمنكر منكراً ، وهذا ما يقتضى سلطة للخير تأمر وتنهى وتطاع (٧) .

٦ — ومما يؤكد مسئولية كل فرد في المجتمع الاسلامي عن الدعوة إلى الخير — فضلا عن السلطة التي تمكن لهذه الدعوة — أن القرآن الكريم جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين وبين أن هؤلاء يأمرون بالمنكر والنهي عن المنكر على حين يدعو أولئك إلى الخير والبر « والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعضهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم » (٨) « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله » (٩) . قال الإمام القرطبي تعليقا على الآيتين : « فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على أن أخصى أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه » (١٠) .

وقد روى أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على المنبر ، فقال : من خير الناس ؟ قال : آمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر واتقاهم لله ، وأوصلهم لرحمه (١١) . ومن الأحاديث المعروفة في هذا الصدد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان (١٢) . والأحاديث النبوية كثيرة في الحض على أداء هذه الأمانة والتحذير من التفريط فيها وعاقبة هذا التفريط ، كما أن هناك آيات عديدة — غير ما أوردته آنفاً — جاء فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، صفة للمؤمنين ، وهذا كله يؤكد مسئولية كل فرد في المجتمع الاسلامي « فكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » ، ويشير إلى أن هذا المجتمع يتميز دائما عن سواء من المجتمعات بهذه السمة الأساسية ، وهي العمل الإيجابي لحفظ الحياة البشرية من المنكر وإقامتها على المعروف مع الإيمان بالله (١٣) .

٧ — وأما قوله تعالى في سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » (١٤) فإنه لا يدل على إعفاء المؤمنين من مسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ذلك أن معنى الضلال في الآية ليس مجرد المعصية ولكنه الكفر ، لأن السياق يحتم أن يكون هذا هو المراد

بالضلال فيها(١٥) ، بالإضافة الى ما روى في سبب نزولها(١٦) ، فالآية تقول : « وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » فهذه الآية وصف صريح للكفار الذين أصروا على ضلالهم وغييهم ، وهذا يقتضى أن يكون الذين ضلوا هم الكفار لا عصاة المؤمنين ، لأن الكلام عنهم في هذه الآية ، وقد جاءت بعدها تلك الآية ، لتأمر المؤمنين أن يتمهدوا أنفسهم بالإصلاح ، فيلزموا بإداء ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه ، ثم تقرر لهم أنهم لن يضسروهم كفر الكفار بشيء ما داموا هم قد اهتدوا ، فدعوا الكفار الى الإيمان وحذروهم مقبة كفرهم(١٧) .

ويبدو أن من الصحابة من فسر تلك الآية على غير الوجه الذي ينبغي أن تفسر به ، وظن أنها ترخص للمؤمنين في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن ثم قام أبو بكر رضى الله عنه خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنكم تضعونها على غير موضعها وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه — أوشك الله أن يعمهم بعقابه »(١٨) .

فالخليفة الأول في هذه الخطبة القصيرة يشير الى أن هذه الآية لا تعفى المؤمنين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأن اهتداء المؤمنين يستلزم قيامهم بواجب نصره الحق ومقاومة الباطل والنشر ، وقد أكد هذه الحقيقة بما أورده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاضاف به الى الآية دليلا آخر على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من طبيعة الإيمان ، لا يتسمح الإيمان بحال في الزام المؤمنين بهما ، بل هو يتوعددهم جميعا على السكوت عن تغيير المنكر بعقاب الله ، لا يخص طائفة منهم دون طائفة . وقد لعن اليهود على السنة الرسل لعدم تغييرهم المنكر « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »(١٩) .

٨ — وإن مما ينبغي أن تدركه هذه الأمة دائما انها أمة جعلها الله بما أسبغ عليها من نعم ، واختصها برسالاته الخاتمة — في مركز القيادة والمسئولية عن نفسها وغيرها ، فبيدها مشعل الخير ومنار الهداية ، ولهذا كان عليها أن تعطى دائما لغيرها لا أن تتلقى من سواها ، تعطى الاعتقاد الصحيح والنظام الصحيح والخلق الصحيح والعلم الصحيح(٢٠) ، يجب أن تكون الأمة الإسلامية قوة إيجابية في مختلف مجالات الحياة ، تؤثر في غيرها ولا تتأثر بسواها ، يجب أن تكون لها شخصيتها الفريدة التي تتسم بالإيمان بالوحدانية والأخوة والمسئولية الفردية والجماعية ، هذا واجبها ورسالتها ولا وجود لها بين الأنام إلا إذا حافظت على هذه الرسالة وقامت بذلك الواجب وأيقنت أن مركزها في الطبيعة يفرض عليها مسئوليات وتبعات وفي مقدمتها الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن هي أهملت وتقاعدت وأخلت الى الوهن ، فلا مكانة لها في الصدارة والقيادة ، بل لا وجود لها في الحياة .

قال الإمام القرطبي وهو يفسر قوله تعالى « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به ، فإذا تركوا التفسير

وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ، ولحقهم اسم الذم ، وكان ذلك سببا لهلاكهم(٢١) .

٩ - إنها سنة الله بين عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ما من أمة يمكن الله لها فى الأرض فلا تطهرها النعمة ولا يستخفها شيطان الانس والجن ولا تحيد عن شريعة الحق وتعدل ، ولا تتهاون فى الدعوة الى الخير ومقاومة الفساد والنشر إلا أعزها الله وأدام عليها النعمة وكتب لها الغلبة وأيدها بنصره (( الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ))(٢٢) .

وما من أمة يستشرى فيها الفساد ويتعاطم الباطل ويستأسد المنكر ، ويخسئ الحق إلا أنزلها الله وتخلى عنها ولم يستجب لدعائها ، فقد روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فعرفت فى وجهه أن قد حضره شيء فتوضأ وما كلم أحدا ، فلصقت بالحجرة استمع ما يقول ، فقعد على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا أيها الناس : إن الله يقول لكم : (( مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسألونى فلا أعطيكم وتستنصرونى فلا أنصركم )) فما زاد عليهم حتى نزل(٢٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا : (( لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم ))(٢٤) . وفيما قصه الله علينا فى القرآن الكريم من شأن بنى إسرائيل خير عظة وتذكرة ، فقد وقعت بنو إسرائيل فى المعاصي ، فلما نبهتهم علماءهم لم ينتبهوا ، فجالس العلماء هؤلاء العصاة وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وسليمان وعيسى بن مريم ، وصدق الله العظيم (( لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ))(٢٥) .

١٠ - وبعد فإن سنة الله بين عباده ماضية الى يوم القيامة ، والأمة الاسلامية إذا كانت خير أمة أخرجت للناس فإن هذه الخيرية منوطة بمسئولية الدعوة الى الحق والذود عنه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن هى حافظت على هذه المسئولية وقامت بها على أحسن وجه ظلت أهلا لهذا الشرف الكريم والفضل العظيم ، وظلت لها مكانتها فى الريادة والقيادة ، وإن هى فرطت وأهملت أو حاربت المعروف وسالت المنكر ذهبت عنها صفة الخيرية وأصبحت بلا وجود حقيقى فى الحياة ، لأنها فقدت أسباب قوتها وعزتها كما أشار الى هذا الإمام القرطبى .

والأمة الاسلامية اليوم لم ترع تلك المسئولية - أفرادا وجماعات - حق رعايتها لا نحو نفسها ولا نحو غيرها فكان ما نعانیه من التفرق والضعف وشيوع المنكرات ، واستعلاء من كان بالأمس خاضعا لنا (( وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ))(٢٦) .

إن نصر الله لا يتنزل على عباده الذين ضيعوا وفرطوا ولم يعضوا  
بالنواجذ على كل ما يحفظ لهم الفضل والخير والقيادة والسيادة .

لقد أنزلنا الله منازل الهداة وكتب علينا أن نرفع لواء المعروف ، لنكون  
بحق خير أمة ، ووعدنا بالنصر ما دما نسير على درب الحق ، لا نخشى في الله  
أحدًا ، فلا خيرية بلا جهاد ضد الباطل والمنكر ، ولا نصر بلا إيمان يدفع إلى  
بذل الأنفس والأموال وصدق الله العظيم « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » (٢٧) .



- (١) الآية ٢١ في سورة التوبة .
- (٢) الآية ٤ ، ٥ في سورة الصافات .
- (٣) في ظلال القرآن د ٤ ص ٢١ .
- (٤) الآية ١١ في سورة آل عمران .
- (٥) أنظر الفخر الرازي د ٨ ص ١٩١ والبحر المحيط د ٣ ص ٢٨ .
- (٦) الآية ١٠٤ في سورة آل عمران .
- (٧) في ظلال القرآن د ٤ ص ٢٦ .
- (٨) الآية ٦٧ في سورة التوبة .
- (٩) الآية ٧١ في سورة التوبة .
- (١٠) تفسير القرطبي د ٤ ص ٤٧ .
- (١١) للمصدر السابق .
- (١٢) الآية ١٠٥ .
- (١٣) أنظر مقدمة كتاب دراسات في التفسير للأستاذ الدكتور مصطفى زيد .
- (١٤) مما روى في سبب نزولها أن المؤمنين كانوا يتحصرون على الكثرة ويتمنون إيمانهم وأنهم كانوا إذا أسلم الرجل منهم قيل له : سفهت أباك « من هدى السنة للأستاذ على حسب الله ، والاستاذ الدكتور مصطفى زيد . الحديث الرابع عشر » .
- (١٥) المصدر السابق .
- (١٦) المصدر السابق .
- (١٧) المصدر السابق ، ويتسمع بمعنى يتساهل .
- (١٨) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه .
- (١٩) المائدة : ٧٩ .
- (٢٠) في ظلال القرآن د ٤ ص ٢١ .
- (٢١) تفسير القرطبي د ٤ ص ١٧٣ .
- (٢٢) الآية ٤١ في سورة الحج .
- (٢٣) قيسات من الرسول ص ٥٣ .
- (٢٤) أخرجه الترمذي .
- (٢٥) الآية ٧٨ ، ٧٩ في سورة المائدة .
- (٢٦) الآية ٤٠ في سورة المنكوت .
- (٢٧) الآية ٤٧ في سورة الروم .

## فترات للـ

# أشياء تستحق المعرفة في القرآن الكريم

الأستاذ محمد بلي الفوتى

(٣) وجميع سور القرآن تنقسم على أربعة أقسام : الطوال ، وهي سبع سور : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، وبراءة معاً لعدم الفصل بينهما بالبسملة ، وقيل هي يونس ، القسم الثاني : المئون ، وهي : السور التي لا تزيد آياتها على مائة ، أو تقاربها . الثالث ، وهي : التي تلي المئين في عدد الآيات . سميت المئين لأنها تتثنى — أي تكرر أكثر مما تكرر الطوال والمئون . الرابع هو آخر القرآن . وأول سوره الحجرات الى آخر القرآن على قول الامام النووي ، ويسمى هذا القسم ( الفصل ) لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة .

والفصل ينقسم ثلاثة أقسام : الطوال ، والأوساط ، والقصار . فطواله : من أول الحجرات الى

القرآن الكريم ، هو كلام الله المعجز ، المنزل باللفظ العربي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، المكتوب في المصاحف ، المحفوظ في الصدور ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، وهو آخر الكتب السماوية نزولاً . وهو كتاب غني عن التعريف لما له من الشهرة العالمية ما ليس لكتاب آخر ، وهو جامع لخيري الدنيا والآخرة .

(١) يحتوي على مائة وأربع عشرة سورة ، منها ست وثمانون سورة مكية ، وثمان وعشرون سورة مدنية ، على ما ورد في مصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه .

(٢) وعلى ثلاثين جزء ، كل جزء مقسوم على حزبين ، وكل حزب ينقسم على نصف ، وثلاث ، وربيع ، وخمس ، وسدس ، وسبع ، وثمان ، وتسع ، وعشر .

البروج ، وأوسطه : من الطارق الى سورة البينة ، وقصاره من الزلزلة الى آخر الناس . وقيل : طواله : من (ق) الى سورة عم ، وأوسطه : من عم الى سورة ( والضحي ) . وقصاره : من سورة الضحي الى آخر القرآن .

(٤) أطول سورة في القرآن الكريم ، هي سورة البقرة ، وآياتها ( ٢٨٦ ) نزلت في المدينة وهي أول سورة نزلت في المدينة .

(٥) أقصر سورة في القرآن هي : سورة الكوثر ، وآياتها ثلاث ، نزلت في مكة بعد سورة ( والعاديات ) . (٦) أول سورة نزلت كاملة ، هي : يا أيها المدثر . نزلت في مكة بعد سورة الزمل .

(٧) أكثر سورة فيها ذكر اسم الله في كل آية من آياتها هي : سورة المجادلة . وآياتها اثنتان وعشرون آية نزلت في المدينة بعد سورة ( المنافقون ) .

### آياته

(٨) يحتوى على ست آلاف ومائتين وست وثلاثين آية ، على حسب ما ورد في مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه .

(٩) أول آيات نزلت من القرآن هي : اقرا باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرا وربك الأكرم . الذى علّم بالقلم . علّم الإنسان ما لم يعلم . سورة العلق . (١٠) أطول آية في القرآن هي : يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه .... الآية ( ٢٨٢ ) سورة البقرة .

(١١) أقصر آية في القرآن الكريم هي : ( طه ) سورة طه ، مكية نزلت بعد سورة مريم .

(١٢) أول آية نزلت في الاطعمة هي : قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم . ( ١٤٥ ) الانعام . (١٣) أول آية نزلت في الأشربة هي : يسألونك عن الخمر والميسر ... الآية ( ٢١٩ ) سورة البقرة .

(١٤) أول آية نزلت في القتال هي : اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . الآية ( ٣٩ ) سورة الحج .

(١٥) أول آية نزلت في شأن القتل هي : ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ( ٣٣٠ ) الاسراء . (١٦) أعظم آية في كتاب الله هي : الله لا إله الا هو الحى القيوم . الآية ( ٢٥٥ ) سورة البقرة .

(١٧) أكثر آية تفويضا هي : ومن يتق الله يجعل له مخرجا . الآية ( الثانية ) سورة الطلاق .

(١٨) أشد آية رجاء هي : قل يا عبادى الذين أسرفوا ... الآية ( ٥٣ ) سورة الزمر .

(١٩) اطمع آية في القرآن هي : اطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم الآية ( ٣٨ ) المعارج .

(٢٠) أجمع آية للخير والشر ، وهي : أن الله يأمر بالعدل والاحسان ... الآية ( ٩٥ ) سورة النحل .

(٢١) آية واحدة تجمع كل الحروف الهجائية هي : قوله تعالى : محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ... الآية ( ٢٩ ) آخر سورة الفتح .

### كلماته

(٢٢) يحتوى على سبع وسبعين ألف ومائتين وخمسين كلمة على قول مجاهد .

(٢٣) أطول كلمة في القرآن لفظا وكتابة هي : فأسقيناكموه ( الآية



سورة الكهف . و ( الكاف ) من  
النصف الثانى .

### تاريخ نزول القرآن

( ٢٢ ) ابتدا نزول القرآن منجما فى  
ليلة اليوم السابع عشر من رمضان  
( وهى ليلة الجمعة للسنة الحادية  
والاربعين من مولده صلى الله عليه  
وسلم ، حيث أوحى اليه بأول أمر من  
القرآن الكريم وهو : اقرأ باسم ربك  
الذى خلق . الى آخر ست آيات من  
سورة العلق ، وهو فى غار حراء  
يتحنن ( يتبرر ) .

وانتهى النزول فى مساء الجمعة ،  
تاسع ذى الحجة يوم عرفة ، للسنة  
العاشرة من الهجرة ، وللسنة الثالثة  
والستين من مولده ، وأوحى اليه آخر  
آية ، وهى : اليوم اكملت لكم دينكم . .  
( ٣ ) المائة .

وانزل عليه من القرآن وهو بمكة :  
٨٦ سورة فى مدة اثنتى عشرة سنة  
 وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما ،  
من ١٧ رمضان سنة ( ٤١ ) الى أول  
ربيع الأول لأول سنة ( ٥٤ ) من  
مولده . وكل ما نزل فيها فى هذه  
المدة يقال له ( مكى ) .

ونزل عليه صلى الله عليه وسلم  
بعد الهجرة ( ٢٨ ) سورة فى مدة  
تسع سنوات وتسعة أشهر ، وتسعة  
أيام ، من ربيع الأول لسنة ( ٥٤ )  
الى تاسع ذى الحجة سنة ( ٦٣ ) من  
مولده ، للسنة العاشرة من الهجرة .  
وكل ما نزل فى هذه الفترة ، سواء  
كان ذلك فى المدينة ، وفى مكة ، يقال  
له ( مدنى ) .

فالمدة التى بين مبتدا التنزيل  
ومختمه : اثنتان وعشرون سنة  
 وشهران واثنتان وعشرون يوما .  
فسبحان الله العظيم ، هو الأول  
والآخر والظاهر والباطن وهو بكل  
شئ عليم .

( ٢٢ ) سورة الحجر ، وهى تتألف من  
أحد عشر حرفا .

( ٢٤ ) أول كلمة نزلت فى القرآن  
هى : ( اقرأ ) أول سورة العلق .

### حروفه :

( ٢٥ ) يحتوى على ثلاثمائة وثلاثة  
وعشرين ألف وثلاثمائة وسبعة  
وتسعين حرفا ( ٣٩٧ر٣٢٣ ) . وقال  
عبد الله بن مسعود : ( ٣٢٢ر٦٧٠  
حرفا ) ، وقال عبد الله بن عباس  
إنها ( ٣٢٣ر١٠٥ حرفا ) . والله اعلم  
بالصواب .

قال النبى صلى الله عليه وسلم :  
من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ،  
والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول :  
( الم ) حرف ولكن : الف ، حرف ،  
ولام ، حرف ، وميم ، حرف . رواه  
الترمذى عن عبد الله بن مسعود ،  
مرفوعا .

### انصافه :

( ٢٦ ) نصف القرآن بالسور هو :  
آخر الحديد ، والمجادلة من النصف  
الثانى .

( ٢٧ ) نصفه بالآيات هو : فالقى  
موسى عصاه فاذا هى تلقف ما  
يأفكون ، الآية ( ٤٥ ) الشعراء .

والآية التالية : فالقى السحرة  
ساجدين . الآية ( ٤٦ ) من النصف  
الثانى .

( ٢٨ ) نصفه بالكلمات هو :  
( الجلود ) فى قوله تعالى : يصهر به  
ما فى بطونهم والجلود ، الآية ( ٢٠ )  
سورة الحج . وقوله : ( حديد ) فى  
قوله : ولهم مقامع من حديد . الآية  
( ٢١ ) سورة الحج من النصف الثانى .  
( ٢٩ ) نصفه بالحرف هو : ( النون )  
فى : لقد جئت شيئا نكرا ، الآية ( ٧٤ )



من محاورات الشيطان : قصة من الأدب الديني ..

# صباح في الظلام

الأستاذ محمد ليبب البوهي

في إحدى الليالي .. وربما كنت متعبا .. تكاسلت عن صلاة المغرب .. ودخلت العشاء .. وظللت ساعة أو زهاءها في الظلام .. فلم أقم حتى لأضيء نور الغرفة فخيّل إلي أنني أراه إلى جوارى .. فهو يأتي في مثل هذه الساعات والأحوال .. فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. ولكنه لم يتحرك ولم يذهب ... قلت عجبا .. الست أنت الشيطان ؟ قال : نعم إني هو .. قلت : ولكنني استعذت بالله منك لتذهب .

فاجاب : إن الاستعانة لم تكن صادرة من قلبك — مجرد كلمات ردها لساتك على أطرافه ، حتى قلبك لم يكن حاضرا — وأما عزمك للخلاص مني فقد كان غائبا تماما — إن الاستعانة القوية التي يعينها صاحبها هي سلاح لا أقوى على مواجهته .. ولكن هب أن معك مدفعا ذا طلاقات معدة .. ولكنك وضعت المدفع بعيدا عنك .. فوق جبل بعيدة ، ثم اعترضك في الطريق قاتل فقلت له : اذهب والّا ضربتك بالمدفع الذي هناك .. إن هذا لا يكون غير نوع من السخف .. وهكذا الأمر بيننا إنك لم تكن جادا في الاستعانة ولذلك فاتني هنا .. لقد غفلت عن صلاتك فهذه ساعتى .. إنها حقى .

ثم تمهل الملعون وقال : ولكن لماذا تريد أن تصرفنى ؟ .. إبنى أستطيع أن أسليك ما دمت متعبا متكاسلا عن الصلاة ..

قلت : فانت سعيد اذن بهذه الفرصة .. ؟

قال : ساحاول أن اكون صادقا معك .. إبنى اطلب اليك أن تزيج كلمة السعادة جانباً .. لقد مسحت هذه الكلمة من قاموس حياتى منذ أجيال موهلة فى ظلمات القدم — منذ أخرجت آدم وأمكم من الجنة ..

قلت : فانت إذن تشعر بالندم .. !!؟

قال : وماذا يجدى الندم . إبنى أشعر بالحقد والرغبة فى الانتقام .

إن عدوى الأكبر قد نال رضوان ربه منذ تلقى منه سبحانه كلمات قتاب عليه .. لقد زاد ذلك الغفران من غيظى .. لقد أفلتت الأب من برائتى فانا أزرع الألفام فى طرقات ابنائه .. إنها الفام قد تبدو فى صورة التحف .. إبنى أبشأ فى أكثر الأحيان تحت شجيرات الورد . إن لذتى الكبرى حين أبصر أشلاء الذين تنسفهم الفام لذاتى .. إنهم يسمعون ضحكاتى حين يتخبطون وهم يهوون إلى الأعماق السحيقة ..

قلت فى غيظ شديد : ألا يستطيع أحد أن يراك على حقيقتك ؟ فضحك المجرم الأبدى وأجاب : لا أعتقد أنك تظننى ساذجا إلى هذا الحد .. !! ، إذا مررت بالحنانات ، أو علب الليل ، أو كثير من دور اللهو الأسود . فسوف ترى أقواما يتسامرون ويتنادمون ويقضون أوقاتهم فى تعاطف كاذب .. إبنى سيد هذه المواقف .. وهؤلاء الأخلاء هم أعوانى .. إن بعضهم لبعض عدو فى صورة صديق وإبنى لبارع فى إعداد هذه الصور فى أزياء شتى ، لقد يمضى وقت طويل دون أن يعرف كل منهم الآخر على حقيقته ، إن الخيانات الزوجية .. وسرقات الأموال .

وما الى ذلك من الجرائم ، إنما تنشأ غالبا من بين هؤلاء الذين يتعارفون ويتسامرون تحت لوأى .. إبنى أرى أنك توشك أن تسألنى سؤالا عن أولئك الذين يتنكبون طريقى من الأتقياء ، إن هؤلاء لا يرونى إلا أنى لا أستطيع أن أقترب منهم على الإطلاق الا فى مثل هذه الساعة التى أنت فيها الآن .. وأنت تعرف أننى بالمرصاد .. إن اللص الذى يريد أن يسرق دارا فيها جواهر ، فانه يتوارى وهو يراقب تلك الدار منتهزا فرصة يغيب عنها صاحبها فيسوطو على الغنيمة .. إن غنيمتى هى قلوبكم فلا تلوموا غير أنفسكم حين تغفلون عنها .

قلت : وحين تفترس احدا من بنى البشر .. من أولئك المساكين الذين تنسف حياتهم وسعادتهم بقوة الألفام التى تبثها فى الشهوات والملذات أتراك تنصرف عنهم بعد ذلك . ! ؟

قال بقوة : لو أنصرفت عنهم لكان ذلك لونا من ألوان الرحمة . وذلك شئ لا أعرفه . إبنى أنتظر هؤلاء فى ساعة الموت حين يكونون على أبواب الأبدية .. حين تبسط لهم الملائكة أيديهم قائلة : اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون .. حين تحاول أرواحهم أن تقيب فى طيات الأحساد فتنتزع كما ينتزع السفود من الصدف .. إبنى فى هذه اللحظات أكون واقفا عن بعد .. إنهم يرونى هارئا شامتا ضاحكا .. إنهم يرونى بقوة وأنا أزفهم إلى عرصات الجحيم ..

قلت فى اسى ووجيعة : يا لك من خسيى حقيىر . ترى هـل تقف بك الشماتة بالمساكين من بنى البشر عند هذا الحد .. ؟  
أجاب وقد تجهم وجهه واسود حتى صار فى لـون القطران .. وما ظنك بهؤلاء الذين جمعوا الأموال وكدسوها دون إنفاق فى الوجوه التى أمروا بها .. وما ظنك بهؤلاء الذين يفرون من واجب مقدس أو يكتفون بتهاوى الكلام .. وما ظنك بقاطعى الأرحام .. إن الغامى ليست كلها شهوات وملذات حسية .. إن الأشحاء تعود أرواحهم من قبورهم لترى ماذا يصنع الوراث بأموالهم ، ثم تلتسعهم أموالهم بشواظ من نار .. وهؤلاء ليسوا أقل حظا من الآخرين ، ممن ذكرت أمرهم لك ، أو من الذين يتيهون على الأرض مرحا .. أو الذين تمر الآيات من أذانهم اليمنى لتخرج من اليسرى دون أن تحرك قلبا أو تدعو الى ارادة السلوك والتطبيق .. إن فى سجلات حسابى الكثير وفوق الكثير .. وهؤلاء وهؤلاء يظل تشبى الأسود ماثلا أمامهم فى قبورهم .. إننى أترجع وإياهم كؤوس الحشرات .. إننا من صنف واحد .. وقد اختار بعضنا بعضا فلا مفر من المصير .

قلت : سواء كنت تسمى هؤلاء أعداء لك أو أصدقاء فإن الأمر سيان لأن العواقب لا تختلف ، ولكننى أسالك هل ترصدهم عندك فى سجلاتك السوداء فى درجة سواء ؟

فاجاب معاتبا : كيف تظن هذا الهراء .. ؟ كيف تريدنى أن أسوى بين التافه الحقير الذى يختلس بعض المال أو ذلك الخنزير القذر الذى يخلو فى ظلمات العار والحرام بامرأة ما ، كيف أسوى بين هذا أو ذاك بذلك المتربع على عرش سلطة عظمى ويأمر قاذفات النار بتدمير القرى على ألوف النساء والأطفال ثم يشرب سعيدا نخب هذا الإنتصار !! إن هذا الرجل يسير تحت ظل جناحى على حين أدفع الآخرين باطراف أناملى ..

ثم استطرد اللعين وهو ينظر الى بعيد : ولكننى أقول لك حقا وصدقا ... إننى وضعت التساج على رأسى ذلك الذى اخترع القنبلة الذرية .. إننا معشر الشياطين على مدار ألوف الألوف من الأجيال لم نستطع أن نفعل ما فعلتموه أنتم بأنفسكم ..

قلت : أيها الكذوب لا تحاول أن تراوغ .. إنك أكبر عالم من علماء الشر الأسود .. إنك كبير علماء الذرة والصواريخ المدمرة ، أنك أنت الذى أوحيت بها ووضعت أفكارها فى رؤوس هؤلاء ..

فاجاب فى تمنع : قد يكون الأمر كذلك على صورة ما .. ولكننى لا أفعل ذلك إلا حين أجد استجابة فى القلوب .. لو كانت هناك ذرة من الحب الإنسانى والتعاطف البشرى فى قلب هؤلاء لما استمعوا الى وما فعلوه ..

ان الذى تعانون منه جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها هو ضياع الحب .. بالحب قامت السموات والأرض .. إن ما تسمونه أنتم جاذبية الكواكب لبعضها .. تلك الجاذبية التى تمنعها من التردى فى الفضاء .. هذه الجاذبية بين الجمادات .. بين ذرات الأحجار حتى تتماسك ، كل هذا يمكن أن تسميه حبا .. ان الكائنات والجمادات والأشجار والنجوم والجبال والدواب تتعاطف انتم فقط الذين تتغذون بالكراهية ، وإننى أنتظر الساعة التى أرث فيها وحدى

أرضكم .. ربما لا يمضى على ذلك وقت طويل .. إنكم تقتربون من ساعة  
الصفير ..

قلت : إن الصياد حين يريد أن يصيد سمكة فإنه يضع لها طعاما لذيذا فى  
الشخص فما هو الطعام الذى ترى أكثر الناس يحبونه ؟

قال ضاحكا أنت كعادتك تريد أن تفوص إلى أعماق مهنتى .. لا بأس ..  
إن أعظم طعام يحبه الناس هو الفرور .. الفرور يجعلهم يفلتون عن حقيقة الذات  
... إنك تعرف أين تنتهى أعظم وجبات الطعام الشهى بعد ساعات من تناوله ..  
ومع ذلك يرتكون الجرائم فى سبيل المزيد مما يهوى لهم ذلك .. وهم يرون  
مساكن الذين كانوا من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وبأسا ، ويسمعون من التاريخ  
عن مصير أصحاب الصولجان .. ومع ذلك يتكالبون ليسلكوا نفس الطريق  
.. إننى أزين لهم ذلك .. أن الكشف عن الحقيقة فى كل ذلك لا يحتاج إلى ذكاء  
كبير .. ولكنك ترى أن أعظم العيون قدرة على الإبصار تستطيع أن تحجبها عن  
الآخر بورقة صغيرة تضعها أمام العين .. إن الورقة التى فى يدي وأضعها أمام  
عين الحقيقة هى الفرور .. إنهم بعد أن يذهبوا ويكشف عنهم الفطاع ويصبح  
بصرهم حديدا .. هنالك تظهر لهم الأمور على حقيقتها .. هنالك ياكلون الأصابع  
ندما ويقولون ليتنا نرجع مرة أخرى بعد أن أبصرنا ..

.. أن التلميذ الصغير فى أى مدرسة هو أسعد حظا من الانسان فى  
الآخرة .. أن التلميذ اذا رسب فى امتحانه فأمامه فرصة الإعادة ودخول الامتحان  
مرة أخرى .. ولكنكم أنتم وأسفاه معشر البشر ليس أمامكم غير امتحان واحد  
.. إننى أحجبه عنكم بهذه الورقة التى حدثتك عنها .. إننى أسبب لكم الفيظ  
الأبدى .. إن ما يثلج صدرى هو انه لا رجعة لكم بعد أن تذهبوا .. لا فرصة  
أخرى لإصلاح ما مضى وفات ..

قلت : من الأمور التى لا ليس فيها أنك على صلة قوية بأولئك الذين يدعون  
أنفسهم بالصهيونيين ويخيل لى أنهم أحباب لك وأنك تعتمد عليهم كثيرا .. اليس  
الامر كذلك تماما ؟

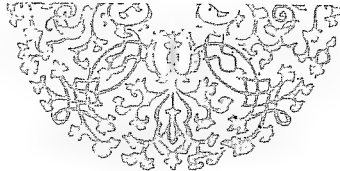
قال : هذا سؤال خبيث فانت تعلم جوابه .. وإنك لتدرك انه ليس لى  
أحباب على الإطلاق ، أما أن يكون هناك أعوان .. فنعم .. وإننى لعلى صلة قوية  
بهم .. وسوف تظل هذه الصلة قائمة الى آخر الدهر ، إننى أنا وهم جميعا قد  
طردنا من ظلال الرحمة ، إن اللعنة قد حقت على كل منا ومنهم ، أعنى على  
الشياطين وعليهم ، فنحن إذن سواء ، وإننى لأزهو بأننى أمليت عليهم دستورهم  
الإجرامى العظيم الذى يسمونه « بروتوكول حكماء صهيون » وإننى لأقرأ  
فى عينيك أنك تريد أن تسألنى سؤال آخر فتقول : وماذا أمليت عليهم فى  
دستورهم ذاك يا إبليس .. ؟ حسنا .. سأجيبك على هذا السؤال الافتراضى  
الذى يدور فى خلدك .. لقد رسمت لهم من بعد موسى خط السير ليكونوا زعماء  
الفساد بشتى أنواعه ، أعنى الفساد الاجتماعى والاقتصادى والفساد السياسى  
والثقافى وما الى ذلك فى كل زمان وفى كل مكان يحلون فيه ، حتى ما يمكن أن  
تسميه بالفساد العقائدى ، إننى أنا الذى أمليت عليهم تلك الخرافات التى دسوها  
فى دينكم ليشفخوا العامة منكم بكل ما هو نافع وليصرفوهم عن كل ما هو جوهري  
ونافع ، وإنك لتعلم أن عدد سكان عالمكم الأرضى الآن ثلاثة آلاف ومائتا مليون  
واليهود منهم نسبة ضئيلة مشتتة فى البقاع المختلفة ، إنهم ثلاثة عشر مليوناً

فحسب ، ان عددهم قليل ولكن فسادهم هائل ومريع ، ولذلك فهم يعتمدون على التسلل من وراء الأبواب التي نام عنها أصحابها ، أنهم أساتذة علم النفس في أكثر جامعات الغرب ، فيدسوا من خلال هذا العلم بعض ما جاء في (( بروتوكول حكماء صهيون )) ، أنهم على سبيل المثال يجدون فرويد اليهودي لأن نظريته تمجد الفريزة الجنسية ويجعلها أساسا لكل شيء وهم يريدون أن يفرقوا الآخرين جميعا في شئون الجنس ، أي يهبطوا بهم إلى مستوى الدواب ، أعني إلى أسفل سافلين ، ولقد احتضنوا الفيلسوف الألماني نيتشة لأنه يرى الرحمة بالآخرين عيبا يجب الخلاص منه لقد سيطروا على عقولكم بفسادهم الثقافي انظر إلى أكثر ما تقدمه دور السينما مما يكتب عليه للكبار فقط ، إنه من صنعهم وأنت تعرف ماذا يقصد بهذا التخصيص .. انني لا أحبهم .. ولكنني فخور بهم .. وأبارك ثمار أعمالهم .. لقد كان هتلر يسوقهم إلى المحارق ، ويرى أنهم وباء مستمر ، وأنه لا خلاق لهم مع أصدقائهم أنهم هم الذين سيهيطنون بأمريكا إلى الخضيض وأن ما يسمى بازمة هبوط الدولار الحيد هو بطريق غير مباشر من الخضوع الأمريكي لتدبيرهم انني أضرب هؤلاء هؤلاء وفي النهاية وقد تكون قريبا سيلعن بعضهم بعضا وساقف من الطرفين ضاحكا شامتا .

قلت : اصدقني الجواب .. لماذا تكشف لي بعض أسرارك على هذه الصورة ؟! ألا تخشى نشرها على الآخرين .. ؟ ألا تخشى أن يعرفوك على حقيقتك .. ؟ فقال ضاحكا ساخرا : نعم .. صدقت فيما تذهب إليه .. أنك تستطيع أن تنشر هذا عني .. ولكنني أعلم من تجاربي أنك سوف تنساه .. وسوف ينساه الآخرون .. أن مثل هذا كله كمثل الدخان في الهواء .

.. هل تذكر ما يقال عن صاحبي حقا .. ؟ ، انه يقال أنه كانت له ساقية تدور وتدور ، وتنثني وهي تحمل الماء من البئر ثم تعود لتصبه في البحر من جديد ان التقوى من عمل الارادة وليست من مجرد ترديد الكلام .

ثم أردف اللئيم وهو يتهايا ليزوب في ظلام الليل ، انما أبقي من وراء اخباركم بهذا ان تعلموا ليكون العذاب أشد وانكى ، إن ذلك القول وفي الأعم الأغلب لن يتحول إلى عمل .. وإنك لتعلم أنه قد يغفر للجاهل اربعين مرة قبل أن يغفر لمن يعلم مرة واحدة .. من أجل هذا كشفت لك عن بعض أسرارى حتى ازداد تشككيا منكم يوم لا ينفع الندم هناك — انني أعلم أن هناك صراعا ابديا بيني وبينكم ولكنه قلما يجدي — لأنه صراع يدور في الظلام ..



# بأقلام القراء

للأستاذ : حسين مطر

## حواء وقضية الرداء

كثيرا ما أثارت قضية مظهر المرأة تساؤلات ومناقشات فهناك تبرجها الصارخ ، وهناك الذى يقف موقف المتفرج أو المشجع ، وإذا أردنا أن نحصر مواقف الناس حيال هذه المسألة نجدها تتلخص فى ثلاثة اتجاهات رئيسية :

### الاتجاه الأول :

هناك من يعرض عن الأخذ بالأزياء الغربية باعتبار أنها تتعارض مع القيم والتراث الاجتماعى والثقافى لشرقنا العربى والإسلامى ، وهذه الفئة تتمسك بمظهر يتفق وضرورة المحافظة على تلك القيم التاريخية والثقافية باعتبار أنها جزء من الكرامة الذاتية القومية ، وهم فى سبيل ذلك لا يابهلون بسخرية الآخرين بل يمشون فى طريقهم بفخر وتصميم واعتزاز ، لكن هذه الفئة تشكل نسبة قليلة فى المجتمع .

### الاتجاه الثانى :

ويعتبر الأخذ بأنماط الأزياء نوعا من الرقى والأخذ بأحدث أساليب العصر ، والنساء من هذا الفريق يتسابقن لمعرفة أحدث خطوط الموضة فى عالم الأزياء غير مكتراثات بقيم المجتمع وتراثه التاريخى والثقافى .

### الاتجاه الثالث :

ويشكل الغالبية العظمى فنرى أن النساء يأخذن بمظهر الأزياء الغربية كنوع من مسايرة ما درج عليه المجتمع الحديث من تغيير ، وإن كان بعضهم يساير الاتجاه على مضض خوفا من الخروج على الاتجاه السائد لكيلا يوصموا فى نظر الغالبية وبالتخلف والجمود .

وهنا يقفز الى الذهن سؤال : ترى من هو المسئول عن مواجهة مثل هذه الظاهرة وما تسببه من صراع ؟

هل المسئول هو الدولة المهيمنة بتشريعاتها وقوانينها على أفراد المجتمع ؟  
— أم الفرد الذى يتمتع بنوع من الحرية وضبط النفس ؟

— أم المجتمع الذى يفرض على الفرد أنماطا معينة من المعايير السلوكية بحيث لا يستطيع أن يحيد عنها بسهولة ، والا كان عقابه الاحتقار المر والعزلة القاتلة ؟

وإذا وضعنا فى اعتبارنا المناقشات التى دارت حول هذا الموضوع فى بعض الأقطار العربية والإسلامية نستطيع أن نستخلص النقاط الآتية :



## ١ - المجتمع أقوى من الفرد :

فالفرد يخاف من المجتمع ، ويحرص على إرضائه ومسأيرته حتى ولو كان في قرارة نفسه غير مقتنع أو راض عما يقوم به شخصيا ، فهو يخشى أن يقذف بالاحتقار والعزلة إذا ما خالف الخط العام الذي ينتهجه المجتمع ، فبعض الفتيات رغم ادراكها بأن ارتداء الزى الإفرنجي يحرمه الدين إلا أنها تصر على التمسك به لارضاء المجتمع ، إذ أن خوفها من المجتمع أقوى من خوفها من تعاليم الدين فهي على استعداد للتضحية بقيم الدين وغير مستعدة للتضحية بارضاء المجتمع . وان محاولة الخروج على الخط العام الذي ينتهجه المجتمع أشبه بعملية مصارعة الثيران وليس بمقدور الفرد العادي أن يقوم بمهمة مصارع الثيران .

٢ - دور الفرد ونفوذه غالبا ما يكون محدودا داخل نطاق الأسرة فمهما كانت سلطة الوالدين ونفوذهما فان تأثير المجتمع أقوى بكثير من نفوذ الأسرة خاصة اذا كان المجتمع يمر بمرحلة تحول من التخلف الى التقدم ، كما هو الحال في المجتمع العربي في الظروف الراهنة .

٣ - الدولة هي أداة لتنفيذ القانون . والقانون غايته حفظ النظام بين افراد المجتمع بغض النظر عن أية اعتبارات أخلاقية ، إذن ليس من أهداف القانون تغيير المجتمع ، بل إن المجتمع هو الذي يغير القانون تبعا لاحتياجاته وتطلعاته ، ولكن هل معنى ذلك أن نعطى الدولة من أية مسئولية في عملية إصلاح المجتمع ؟

بالطبع إن الدولة بوصفها الجهاز الرسمي وحامية للقانون يمكن أن تساهم بدور فعال في تشجيع عملية الإصلاح والتمهيد لها ، وذلك يتوقف على أسلوب النظام الحاكم وسياسته العامة ، إذن كل ما تستطيع أن تفعله الدولة هو تهيئة الجو الملائم تمهيدا لعملية الإصلاح ، ولكن الدور الرئيسي في هذه العملية يبقى في يد المجتمع نفسه ، أما اذا أقحمت الدولة نفسها بقوة القانون لتغيير قيم معينة في المجتمع فان ذلك قد تكون له نتائج ايجابية في حالات مؤقتة ملحة أو تحقيق نتائج على المدى القصير ، بينما على المدى الطويل يثبت هذا الاتهام فشلها ، وخير مثل نستشهد به هو اصدار الرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن قرار تحرير العبيد منذ مائة وخمسين سنة ، ولكن ما الذي يحدث اليوم في الولايات المتحدة ؟ إن التفرقة العنصرية لا تزال قائمة لأن عملية الإصلاح أقحمت على المجتمع من سلطة فوقية ، ولم تتم عن طريق الاقتناع الحر ، نستنتج من ذلك ان عملية تغيير المجتمع تقوم على الاقتناع الحر الذي يستغرق وقتا وجهدا طويلا قبل أن تقوم على قوة السلطة ، فما تراكم على مر عشرات أو مئات السنين لا يمكن تغييره بين يوم وليلة من خلال قانون رسمي تصدره الدولة .

وهنا لا بد أن نجيب على السؤال التالي : ما الذي يؤثر في المجتمع ، ويشكل القيم التي تحكم سلوك أفرادها ونظرتهم الى الحياة والتي على أساسها تبنى الدولة قوانينها وتشريعاتها ؟ .

في الواقع توجد هناك عوامل تاريخية وثقافية تسهم جميعا في بلورة قيم معينة لا تلبث أن تصبح بمرور الوقت أشياء تقليدية راسخة تحكم السلوك ، وتتحكم في نظرة الفرد تجاه الظواهر الاجتماعية على اختلافها هذا بالإضافة الى أن نوعية رجال الثقافة والفكر تلعب الدور الأكبر في تشكيل الرأي العام وتوجيهه وارساء قواعد القيم التي يؤمنون بها ، فالمجتمع يتحكم فيه بصورة أساسية قادة الفكر من

المثقفين والكتاب والصحفيين وبقيمة رجال الثقافة والفكر خاصة المشتغلين بوسائل الاعلام مثل السينما والاذاعة والمسرح والتلفزيون ، وهؤلاء جميعا يقع عليهم العبء الأكبر فى حمل رسالة التغيير والمتطلع الى الحياة الأفضل استجابة لرغبة قطاعات الجماهير ، وتفاعلا مع أهدافها وخلفيتها التاريخية والثقافية ، لهذا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشير الى أهمية هذه الفئة من المجتمع بقوله : ( العلماء ورثة الأنبياء ) وتبرز أهمية الدولة فى هذا المجال بأنها تقوم بمهمة الحارس الأمين عن طريق أجهزة الرقابة على الاتجاهات السلبية والهدامة ، وتشجيع العناصر الناهضة البناءة ، واحاطتها بالرعاية ، وذلك كله تمهيدا لعملية التغيير الكبير التى تنشأ وتتبلور فى القاعدة الشعبية ، ويكون القانون أخيرا تنويجا لرغبة الجمهور وتطلعه الى حياة سامية بعد أن وضحت أمامه معالم الطريق .

وإذا نظرنا فى مسألة الأزياء فى مجتمعنا العربى والاسلامى نجد انها أساسا تشكل جزءا من مشكلة كبرى وهى مسألة التخلف الثقافى الذى ما زلنا نعيش فيه ، فبالنظر الى خلفية المجتمع العربى خاصة إبان الحكم العثمانى الذى أطلق عليه فى الغرب « الرجل المريض » نجد أن الرجل لم يكن مريضا سياسيا وحربيا فحسب بل ثقافيا وإداريا أيضا . . ومن هنا بدأت الثقافة الفرنسية تتغلغل فى ممالك الدولة العثمانية ممثلة أساسا فى تلك القوانين التى ما زالت تحكم حياتنا الاجتماعية حتى يومنا هذا ، ثم أخذت تنافس الثقافة الفرنسية أو تحل محلها بالتدريج الثقافة الانجليزية — الامريكية ممثلة فى الأزياء والأفلام السينمائية والسلع الكمالية . .

وإذا نظرنا للاستقلال الحقيقى الذى تحرزه أى أمة نجده يتمثل فى الاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى والاستقلال الثقافى ، وإذا لم يتبع الاستقلال السياسى باستقلال اقتصادى وثقافى فإنه بمرور الوقت الى استغلال شكلى محض خال من أية معنى ، وأن الشرق العربى حتى الآن لم يكد يستكمل استقلاله السياسى ، فالإنسان العربى لا يزال إنسانا مستهلكا أكثر منه إنسانا منتجا هذا بالإضافة الى أن هناك تبعية صارخة للفكر الغربى ، نجد آثار هذه التبعية تتمثل فى الاعتقاد السائد وهو أن الغرب متقدم فى كل شئ ، وأننا متخلفون فى كل شئ ، وترتب على ذلك أن أخذنا عن الغرب الفث والسمين ، ولم يقتصر ذلك على النواحي المادية من تقليد المظاهر وما يتصل بها بل امتد ذلك الى النواحي الثقافية والفكرية حيث نجد أن طائفة كبيرة من المثقفين والكتاب والصحفيين وبعض أساتذة الجامعات قد صبغوا أنفسهم بالصبغة الغربية ، وهذه الطائفة بالتضافر الطبيعى مع غيرها من أوجه النشاط الثقافى والاجتماعى السائد فى الظرف الراهن أصبحت تشكل مركز القوة فى قيادة الراى العام وتشكيله طبقا لاتجاهاتها ومشاريها ، ماذا كان نتيجة ذلك كله ؟ لقد أصبح هناك جيل يتباهى ويفتخر بانتهايه للثقافة الغربية ومحاكاتها ، ويهمل تراثه الثقافى المحلى بل وينظر اليه بعين الازدراء والاحتقار فى أغلب الأحيان .

ولقد لعبت الدعاية الواسعة المكثفة التى نشرها الغرب من حول ثقافته مستخدما فى ذلك شتى الطرق من أفلام سينمائية وسلع كمالية ومراكز الاستعلامات والمعاهد الثقافية — دورا فعلا فى نشر ثقافته وأسلوب حياته واضفاء طابع العالمية عليها وكأن الغرب أصبح هو العالم كله !

وفى عالم الأزياء نجد أن بيوت الأزياء « الراقية » التى تدعمها المجلات المتخصصة فى هذا الشأن تقوم بدور فعال فى الدعاية لما تفرزه بيوت الأزياء

ومصمموها فى باريس وروما ولندن ونيويورك . واذا ابعنا النظر فى أسلوب تصميم تلك التقاليع وتطورها من فترة لأخرى نجد انها تتبع أسلوبا فى تعرية جسد المرأة شيئا فشيئا ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أسلوب الحضارة الغربية الذى يقوم أساسا على عبادة الجسد والخلود إلى القيم الأرضية ، ولذلك أسباب حضارية يطول شرحها ..

واذا كان مصممو الأزياء فى بعض الأحيان قد ابتكروا تقاليع تبدو محافظة مثل « الميدي » و « الماكسي » والبنطلونات العريضة ، فإن ذلك لا يمثل تغييرا جوهريا فى أسلوبهم ، بل إنه فى الواقع يمثل انعطافا مؤقتا يهدف إلى تغيير أمزجتهم التى أصيبت بنوع من الحساسية من جراء الاستشارة التى أحدثتها تقليعة « الميني جيب » ولهذا نجدهم بعد فترة وجيزة يعاودون الكرة ، ويطلعون على العالم بها أسموه « الثورت الساخن » إمعانا فى الإثارة الجنسية الصارخة !!

وانه لمن المضحك والمؤسف فى الوقت نفسه أن حواء تقف من كل ذلك مسرورة متلهفة على كل ما يصدره « مبدعو الموضة » وإذا بها تغدو دمية فى أيديهم يعيشون بها كيفما شاعوا ، غلو فرضنا على سبيل المثال أن فتاة تجرات ولبست رداء يشبه ( الماكسي ) أو ( الميدي ) قبل أن يصرح ( سلوك الموضة ) بتداوله لوصفها الجميع بالتخلف والرجعية والجمود .. إلى آخر ذلك من قائمة الاتهامات التقليدية .. ولكن عندما صدر الإذن من ( أصحاب الجلالة ) إلى حواء إذا بها لا تجد غضاضة فى ارتداء ( الماكسي ) بل أقبلت عليه بنفس الحماس الذى أقبلت فيه على ارتداء ( الميني جيب ) من قبل ، رغم ما بينهما من فرق شاسع ! وإذا كان البعض يرى أن ارتداء الملابس الأفرنجية للمرأة يضيف عليها نوعا من تذوق الجمال والأناقة ، وأن إبراز مفاتها يغذى الجمال فاننا نقول لهم : حسنا . إن ذلك سوف يكون رائعا لو كان الإنسان ملاكا أى روحا فقط ، ولكن الإنسان مكون من روح وجسد معا ، وليس مجرد روح فحسب . أى أن جمال المرأة ، وازدهار مفاتها يرتبط عادة باستثارة جنسية لا يمكن انكارها ، ثم ما يترتب على ذلك من اعتبارات أخلاقية وإنسانية .

هذا وأن مظهر الإنسان كما يقول علماء النفس هو جزء من شخصيته ، فمظهر حواء وتبرجها الصارخ بعرض مفاتها إنما يؤثر أبلغ التأثير فى التكوين الداخلى لشخصيتها ، فينعكس ذلك . على سلوكها ونظرتها إلى الحياة ، فالرداء المحتشم يكسبها هيبة ورزانة ووقارا ، ويضيف عليها جمالا روحيا أساسه البساطة وعدم التكلف ، أما الرداء الفاضح المثير فإنه يجعلها تفقد كثيرا من خصائص أنوثتها خاصة حيائها ، ثم ما يترتب على ذلك كله من الأضرار التى تلحق بالإنسان بصفة عامة من انحطاط فى النتاج الفكرى والوجدانى ، وتجعل الحياة الإنسانية تهوى إلى الحضيض .

واذا تأملنا الطبيعة من حولنا نجد أن للأشجار أوراقا تكسوها وللطيور ريشها وللحيوانات أشعارها وأوبارها ، ولكن ما بال الإنسان ؟ إن للإنسان عقلا استطاع به أن يصنع ما يستر جسده ويضيف عليه مظهرا لائقا ، فإذا تصورنا الأشجار بدون أوراقها تكسوها والطيور بدون ريشها والحيوانات بدون أشعارها وأوبارها أمكن لنا أن نتصور الإنسان بدون رداء لائق يستتره ، وصدق الله العظيم إذ يقول فى محكم آياته :

(( يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباسا التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لهم يذكرون )) — سورة الاعراف الآية ٢٦ — .

# الفتاوى

حرمة بيع الأراضى العربية لليهود

**السؤال :**

رجل مسلم يملك قطعة أرض فضساء داخل البلدة التي يقطنها ، طمع يهودى فى شرائها ليقيم عليها دارا للسينما تدر عليه ربحا وفيرا ، فهل يجوز له بيعها .. ؟

رفع هذا السؤال الى فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى جمهورية مصر العربية الاسبق وقد اجاب عليه بما يلى :

**الاجابة :**

ان السياسة اليهودية — فى انحاء العالم بلا مرأ — تقوم على انتزاع البلاد العربية من أهلها واجلائهم عنها بطريق التملك الفردى ، فيتقدم اليهودى الى العربى لشراء عقاره بثمن يغريه ، فيقع فى الشرك ويتم الصفقة ، ثم يتقدم يهودى آخر الى مالك آخر عربى بمثل ذلك ، حتى إذا أحاطوا بالقرية ، ورسخت أقدامهم فيها ، وكثر عديدهم بها ، أرغموا الباقين من العرب على الهجرة منها بشتى الوسائل الوحشية ..

وهكذا ينتقلون من قرية الى أخرى حتى تسلم البلاد لهم فيمسي أهلها العرب ، وقد جردوا من أملاكهم وحرموا من أقواتهم ، واجلوا عن أوطانهم ، وشردوا فى الآفاق عشرات الآلاف شر مشرد يعانون الجوع والعري والفاقة ، ويشربون كأس الذل دهاقا .

فعل اليهود ذلك فى فلسطين ، ويرومون تنفيذ هذه السياسة فى غيرها من البلاد العربية الاسلامية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فى ضعة ومذلة ، وسكون ومسكنة حتى اذا تم لهم الأمر ، ولو بعد سنين لبسوا جلود النمر ، وكثروا عن انياب الشر والانتقام ، وأحالوها فلسطين أخرى .

وقد أعدوا العدة لذلك ، ونحن أغفال نيام ننخدع بمسكتتهم ، ونفتنر بظواهر أحوالهم ، ونظن أنهم قلة لا يقدرّون على كيد ، والله يعلم والتاريخ يشهد أن يهود العالم عصابة واحدة يشد بعضهم أزر بعض ، وينفذون كل ما ترسمه قياداتهم العامة فى الوطن الذى يعيشون فيه ، ويقتاتون منه ، مهما أضر ذلك بأهل الوطن تلك هى نتيجة بيع الأراضى العربية لليهود .

والآن وقد وضحت هذه السياسة الخبيثة والخطط الماكرة بأجلى برهان يجب أن يكف المسلم عن بيع ملكه لليهودى مهما أغراه الثمن ، وإلا كان بهذا البيع معينا لألد عدو على ضياع بلاد الاسلام وتمكين أبغض عباد الله الى الله من التحكم فى ديار المسلمين ورقابهم وأموالهم وأعراضهم بانبشع صور وادنتها ،

ان كل ربح ينسأله اليهودى فى بلادنا قوة له وعدة ، واذا كان على كل يهودى فى العالم قسط من المال يؤديه لاسرائيل لاعازها وتمكينها من القضاء على العروبة والاسلام لا فى فلسطين وحدها ، بل فيها وفى سائر الاقطار الاسلامية ، وجب الا يمكن من ربح يربحه ببيع او شراء وإلا كان ذلك وبالا ومضرة بالمسلمين .

اليهودى يحرم على نفسه ان يسدى النصيح لمسلم بما ينفعه فى دنياه ، وان يدع مسلما ينعم بخير دون ان ينغص عيشه ، ويمتص دمه ، ويستنزف ماله ، ومن أجل ذلك أشاعوا الربا بين المسلمين ، وقد حرصوا عليه ، وقد نهوا عنه كما أخبر الله تعالى بقوله : « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » . وقوله تعالى : « أكلون للسحت » .

واليهودى يحرم على نفسه أن يبيع عربيا أو مسلما شبرا من أرض فلسطين مهما بذل من ثمن فما بالناس قد عميت أبصارنا عن هذه الحقائق ، وصمت آذاننا عن سماع الأنباء الصادقة عن هذه الخطط الشنيعة الماكدة فى ديارنا ، وأفسحنا لهم مكان الصدارة فى اقتصادياتنا ، وتركناهم يتحكمون فى تجاراتنا وأسواقنا ، وهم الد أعدائنا كما قال تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

لا تبيعوا لهم أيها المسلمون شيئا من أملاككم مهما بذلوا من ثمن ، واحذروهم فى دياركم فانهم أول الناس حربا عليكم وخيانة لكم ، واعلموا أن البيع لهم معصية لله لما فيه من التقوية والتمكين لهم فى الأرض ، وذلك يسبب خطرا عظيما لجماعة المسلمين ، وقد حرم بعض الأئمة كل بيع أعان على معصية ، وكذلك حرم بيع عصير العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمر ، فعن أبى هريرة عن أبى داود وعن أبى عباس عند ابن حبان وعن ابن مسعود عند الحاكم وعن بريدة عند الطبرانى فى الأوسط من طريق محمد بن أحمد بن أبى خيثمة بلفظ « من حبس العنب أيام القطف حتى يبيعه من يهودى أو نصرانى ، أو من يتخذه خمر فقد تقحم النار على بصيرة » حسنه الحافظ فى بلوغ المرام واستدل به فى المنتقى على تحريم كل بيع أعان على معصية ١ هـ . من نيل الأوطار للشوكانى .

ومن هذا يعلم السائل وغيره أنه لا يجوز بيع أرضه لليهودى لأنه مظنة الاضرار بجماعة المسلمين عامة ، وقد علمت أن اليهود عصابة واحدة ، وأنهم جميعا صهيونيون يدينون لاسرائيل ، وبالكيد للعرب والمسلمين بشتى الوسائل فى أقل الأشياء وأحقرها فضلا عن أكثرها وأعظمها .

### التعويض ميراث

#### السؤال :

يعمل زوجى كهربائيا فى احدى الشركات ، وقد صعقه التيار اثناء قيامه بعمله ، ودفعت الشركة لنا تعويضا ، فهل يقسم التعويض بين الورثة ، أو تختص به الزوجة علما باننى لم أنجب منه .. ؟

#### الإجابة :

مبلغ التعويض حكمه حكم الدية ، فيقسم قسمة الميراث بين سائر الورثة .

اعداد : عبد الحميد رياض

### جمع القرآن الكريم ودوافعه

□ جمع القرآن في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفيتين  
أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان .

١١٢

فما الفرق بين مرات الجمع في العصور الثلاثة وما هي الدوافع ؟ .

مصطفى الموسوي - بغداد

\*\*\*

كان القرآن قد حظى في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاهتمام الكبير ، فبجانب حرص الرسول على جمعه في القلوب والصدور جريا على ما ألفه العرب إذ كانوا يعتمدون في تسجيل أحداثهم وأشعارهم على صدورهم عنى الرسول بكتابته ، ولكن بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة ، ولقد اتخذ الرسول كتابا للوحى يدونون كل شىء ينزل من القرآن الكريم ، وكان كتاب الوحى من خيرة الصحابة رضوان الله عليهم ، ويكتبون على العسف ، واللخاف ، والرقاع ، والعظام ، ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكنه ظل ماثورا طوال العهد النبوى الشريف .

ثم آلت الخلافة الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد واجه الخليفة الاول عدة مشاكل في بداية توليه ، منها موقعة اليمامة إذ دارت فيها الحرب بين المسلمين وأهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب ، واستشهد فيها عدد كبير من حفظة القرآن ، فعز ذلك على المسلمين ، ودخل عمر على الخليفة ، واقترح عليه أن يجمع القرآن خشية الضياع بموت الحفاظ والقراء ، وبعد تردد قبل الخليفة الفكرة ، وشرح الله صدره لها ، واختار رجلا من خيرة الصحابة هو زيد بن ثابت رضى الله عنه فلم يكتف بهما حفظ في قلبه ، بل جعل يتتبع ما كتب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان محفوظا في صدور الرجال .

وتم الجمع فى صحف لاقت ما تستحقه من عناية فائقة ، وحفظها أبو بكر عنده ، ثم حفظها عمر ، ثم حفظتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد وفاة عمر حتى طلبها سيدنا عثمان .

وقد كان الغرض من الجمع فى عهد أبى بكر نقل القرآن وكتابته فى صحف مرتبة الآيات خشية ذهاب شىء منه بموت حملته وحفاظه .

وفى عصر سيدنا عثمان تفرق الصحابة من الحفظ فى الأمصار وساحوا فى الأقطار ، وظهرت أجيال هى فى أمس الحاجة الى دراسة القرآن ، وخصوصا أنه قد طال عهد الناس بالرسول وزمن نزول القرآن ، وبدأ كل إقليم يقرأ بقراءة الصحابى الذى بينهم ، فقرأ أهل الشام بقراءة أبى بن كعب ، وأهل الكوفة بقراءة عبد الله بن مسعود ، وآخرون قرأوا لأبى موسى الأشعرى ، وقد كان بينهم اختلاف فى حروف الأداء ووجوه القراءة ، وتبعاً لهذا فتح باب الشقاق والنزاع حول طريقة قراءة القرآن ، لعدم وجود الرسول بينهم يرجعون اليه ، ويصدرون جميعاً عن رأيه ، وكادت تكون فتنة لا تقف عند حد .

أخرج ابن أبى داود فى المصاحف من طريق أبى قلابة أنه قال : لما كانت خلافة عثمان بن عفان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضاً ، فبلغ ذلك عثمان ، فخطب فقال : « أنتم عندي تختلفون فمن نأى عنى من الأمصار أشد اختلافاً » .

لهذه الأسباب رأى سيدنا عثمان بثاقب فكره أن يتدارك الأمر ، فجمع الصحابة وذوى الراى منهم ، فأجمعوا أمرهم على كتابة المصحف ، وحرق ما عداه ، ووزع على الأمصار ، وكانت الكتابة عبارة عن نقل ما فى الصحف المجمع على صحتها الى مصحف واحد ، والغرض قطع الطريق على الفتنة قبل أن يشتد أمرها ، والمحافظة على كتاب الله من التفسير والتبديل .

### تعظيم المسلمين للحجر الأسود

□ لماذا يعظم المسلمون الحجر الأسود دون غيره من الحجارة ؟؟

محمد حسن معارك — أريد — الاردن

رويت عن الحجر الأسود روايات متعددة فى سبب تعظيم واهتمام المسلمين به على مر العصور ، ولقد حظى الحجر الأسود بهذه المكانة فى نفوس الناس لاهتمام الرسول به ، فقد حرص على تقبيله واستلامه عند الطواف ، وظلت هذه ملازمة للحاج إذ يبدأ الطواف منه ، ويكبر عندما يحاذيه ، واهتمام الناس به حتى قبل الإسلام كان كبيراً ، فقد روى أن قريشاً هدمت الكعبة ، وأعادت بناءها ، واختلفوا فيما بين يرفع الحجر الأسود الى مكانه من البناء الجديد ، وقد هذاهم

تفكيرهم الى ترك الفصل فى هذا الأمر لأول قادم عليهم ، وكان سيدنا محمد اول قادم وذلك قبل البعثة .

ثم جاء الاسلام فأعطى له هذه المكانة التى تحدثت عنها الروايات ، ومنها ما روى عن سيدنا عمر رضى الله عنه : « حدثنا سعيد بن أبى مريم — قال أخبرنا محمد بن جعفر قال أخبرنى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للركن أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » .

وعن ابن عمر قال : « استقبل النبى صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا » وعن الزبير بن عرى قال : « سأل رجل ابن عمر رضى الله عنهما عن استلام الحجر فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله ، قال قلت أرأيت إن زحمت أرأيت أن غلبت قال اجعل أرأيت باليمن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله » .

وعليه فقد وضع ما للحجر الأسود من اثر عظيم فى نفوس المسلمين ..

### جزر البحر الأحمر

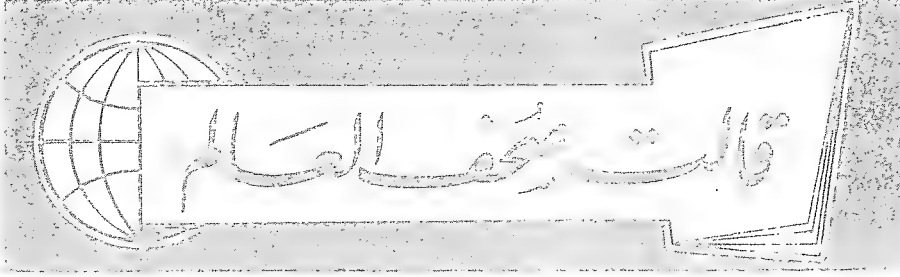
□ كم جزيرة فى البحر الأحمر ، وما أهمية هذه الجزر من الناحية العسكرية ؟

أبو الوليد الحساوى — الاحساء

يطل على البحر الأحمر ست دول عربية هى اليمن الجنوبية ، اليمن الشمالية والسودان والسعودية والأردن ومصر ، وينتشر على صفحة البحر الأحمر حوالى ثمانين جزيرة بعضها تابع للصومال ، وبعضها تابع لاثيوبيا ، وبعضها يتبع السعودية واليمن الجنوبية والشمالية ، وأهم هذه الجزر ( بریم ) اليمنية وموقعها استراتيجى هام ، فهى تقع فى وسط باب المندب ويمكن بواسطتها التحكم فى الدخول والخروج الى البحر الأحمر .

وتتجه الاطماع الصهيونية الى الاستيلاء على عدد من هذه الجزر ، وواجب الدول العربية ان تتنبه لهذا الخطر بالسيطرة الفعلية العسكرية عليها قبل ان يسبق العدو الى احتلالها .





## الاسلام بنفسه لا باتباعه

ان ضعف المسلمين وهوانهم ، وذلهم وخذلانهم ، يعود الى انحرافهم عن الدين لا الى تسكهم به ، وما أصابهم من هزيمة نتيجة لهذا دليل على صدقه ، وتأييد لكتابه ، فطالما حذرهم عاقبة تفریطهم ، وأنذرهم مغبة معاصيهم ، لكنهم لم يصفوا اليه ، ولم يستمعوا له . فاستأهلوا غضب الله وعقابه ، واستحقوا مقتله وعذابه ، والكفار قد يسلطهم الله على المؤمنين تاديبا لهم ، لأنهم أحق بأن يذعنوا له ، ولا عذر لهم اذا عصوا ربهم ، وخالفوا كتابهم بعد أن علموا منه أن المعاصي تجر الى أوحش العواقب .

ويعجبني هنا قول عمر في نصيحة ساقها الى سعد ابن أبي وقاص « أما بعد فاني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب ، وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المصاصي من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم .

وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عدونا ليس كمدهم ولا عدتنا كمدهم فان استوتينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة والا ننصر بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا فاعلموا أن عليكم في سيركم حذرة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحروا منهم ولا تكونوا عصاة الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا أن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني اسرائيل — لما علموا بمساخط الله — كفار المجوس « فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » . واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم .

ويعجبني قول الهرمزان لعمر مبينا سر انتصار الفرس على العرب في الجاهلية ، وسر انتصار العرب على الفرس في الاسلام — انا كنا واياكم في الجاهلية — كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم ، فلما كان معكم — في الاسلام غلبتمونا .

والقرآن سبق الى تقرير هذه الحقيقة حيث يقول — « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكانهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » .

« ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » .

والاحاديث النبوية تؤكد هذا المعنى أيضا ، قال صلى الله عليه وسلم : « تو شك الأمم ان تقداعى عليكم كما تقداعى الأكلة الى قصعتها » فقال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟ قال : لا ولكنكم غناء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن . قيل : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت . ( أخرجه أبو داود عن ثوبان ) .

وفى الموطأ عن مالك أنه بلغه أن أم سلمة رضى الله عنها قالت : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، اذا كثر الخبث .

وفى سنن الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى

بيده لتأمرهم بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم .

هذه الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية تشهد بأن المعاصي شؤم على أصحابها وعلى من يرضى بها وتشعر بأنها تحرم المؤمنين من عون الله فيدعهم وأنفسهم ويسلط عليهم عدوهم حتى يضطر إلى اللجوء إليه ، ويحملهم على الاستعانة به .

ويدفعهم إلى الوقوف ببابه وتنفيذ وصايا كتابه ، ومن لطف الله أن يسوق إليهم من يؤدبهم لئلا يستهزؤا في غفلتهم ، وليحملهم بعد أن يلمسوا أثر معاصيهم على أن ينفروا منها ، ويبتعدوا عنها ، ويقبلوا على تعاليمهم ، ويستمسكوا بمبادئ دينهم حقا أن كثيرا من المسلمين قد أساءوا إلى الدين ، وشوهوا صورته ، ففطت مساوئهم على محاسن الإسلام ، وحجبت عيوبهم مزايه وفضائله . وظن الجاهلون بحقيقته أن ما عليه المسلمون من فساد وفوضى واضطراب هو بسبب ضعف المسلمين ، وسر تكسبهم والحائل دون نهضتهم ، ومن أجل ذلك قال جمال الدين الأفغاني : « إذا أردنا أن ندعو أحرار أوروبا إلى ديننا وجب علينا أن نقدمهم أولا باننا لسنا مسلمين فانهم ينظرون إلينا من خلال القرآن الكريم — ورفع كنيه وفرج بين أصابعها فيرون وراءه أقواما فشا فيهم الجهل والتخاذل والتواكل .. فيقولون — لو كان هذا الكتاب حقا مصلحا ما كان اتباعه كما نرى » .

عن مجلة التضامن الإسلامي المصورة

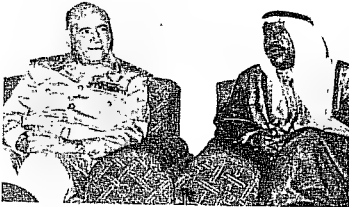
### مشكلاتنا الحضارية

إن الرجل الذي يعيش في بلد متخلف لا يدرك بسبب عقدة تخلفه أن المسافة التي بينه وبين من يعيش في بلد متقدم يمكن أن تقاس بالافكار أى أنه يعتقد أن تخلفه متمثل في نقص ما لديه من بنوك ومدافع وعمارات . وبمباراة أخرى يرجع سبب التخلف إلى نقص الأشياء لا الافكار ولهذا يحاول تعويض هذا النقص بأى وسيلة ومن أى طريق فتكون تلك المظاهر الساذجة لمساعييه واهتماماته ، وتلك الصور المظلمة الأفكار وتصورات . . فالتكديس كما يكون في الأشياء يكون في الافكار ولعله هنا أخطر وأدعى للأسف لأن تأثيره في المجتمع أعمق وانتشاره بين المتعلمين أوسع ، وكما نجد من مظاهره ونماجه هناك تلك العقلية التي تريد أن تستورده حتى برودة الطقس نجد من مظاهره ونماجه هنا عقلية تقلد الآخرين حتى في اسدال الشصور والمبيت في العراء وبين هذه وتلك تختلف النماذج وتتعدد الصور باختلاف التربية والثقافة والمحيط الاجتماعي . . فمن قائل إن الحضارة تكمن في اختلاط الجنسين وكفى . . وآخر يظنها كلمات أجنبية يرطن بها كالأعجمي بمناسبة وبغير مناسبة وشعارات وهتافات يرددها أو يطلقها في هجاس أحمق يدعو إلى الضحك والبكاء معا . . إلى ثالث يرى أن السبيل الوحيد للنهضة هو تحرير المرأة من أنوثتها وثيابها وتحرير الرجل من رجولته وأخلاقه ، إلى رابع يقاقل على مخلفات القرن الثامن والتاسع عشر من سقيم النظريات وشطحات الفكر زاعما أنه تقدمي يهاجم الماضي وآثاره في انفعال مجنون ينسى معه أن أفكاره هو بل أنفائله نفسها متخلفة نصف قرن على الأقل إلى خامس لا يرى من النهضة غير مظاهر الانحراف في بعض المجتمعات ويدل أن يدعو إلى اقتباس الصالح دون سواه تراه مصرا على نقل كل ما هو فاسد مضى . وكأنه لا يعرف شيئا جديرا بالاهتمام غيره وما ظواهر التخنفس والتخنث والقتال على مخلفات القرون ونمايات الأفكار إلا مظاهر لاستجابات غير واعية لطلبات الظروف التي تعيشها أجتا ، وتعبيرات عملية عن مشاعر القلق ونماذج الفراغ وسوء التربية في البيوت والمدارس وليس من قصصى هنا أن أهين أولئك أو ألوم هؤلاء فالذنب ليس ذنبهم وهدم وإنما يقع على جميع فئات المجتمع ، بل أنى أرى أن الأثر من أولئك جميعا ذلك الصنف الذى لا يرى شيئا ولا يفهم شيئا ولا يبحث عن شيء بل هو يمادى أولئك الذين يفكرون ويبحثون فهو في الحقيقة مشلول التفكير معطل الحواس يعيش حالة على المجتمع وعلى التاريخ .

عن مجلة جواهر الإسلام التونسية



## اعداد : فهمى الإسلام



## الكويت :

○ كان للمبادرات التي قام بها سمو الأمير المعظم لتطويق الأحداث في لبنان اثر فعال في تهدئة الخواطر وحل الأزمة .

○ زار البلاد السيد حمدي ولد مكناس وزير خارجية جمهورية موريتانيا الاسلامية ، ويرى في الصورة سمو أمير البلاد المعظم وهو يستقبل الضيف الكريم في قصر السيف العامر .

○ استقبل سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء في مكتبه مولاي عبد الله الممثل الشخصي لجلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية الذي زار البلاد في الشهر الماضي .

○ قام وزير الحربية المصري الفريق أول أحمد اسماعيل علي بزيارة البلاد ، وقد استقبله سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح في مكتبه بوزارة الدفاع .

○ تلقى سعادة وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية دعوة لزيارة كل من الجزائر والمغرب والأردن .

○ أوقفت الحكومة ضخ النفط لمدة ساعة يوم ١٥/٥/١٩٧٣ بمناسبة ذكرى اغتصاب فلسطين تعبيراً عن الرفض العربى لوجود الكيان الاسرائيلى في فلسطين .

○ استقبلت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية وفد السودانى برئاسة الشيخ عوض الله صالح

مفتى السودان ، والوفد يقوم بجولة  
فى الخليج العربى بغية الحصول على  
مساعداً لانشاء المركز الاسلامى  
فى السودان .

○ قام وفد من مسلمى استراليا  
بزيارة البلاد ، وبحث مع المسؤولين  
أوضاع المسلمين فى استراليا ،  
وتنشيط الحركة الاسلامية فى القارة  
الاسترالية .

○ زار الكويت تنكو عبد الرحمن  
الأمين العام للمؤتمر الاسلامى ضمن  
جولة يقوم بها فى عدد من الاقطار  
العربية . . والفرضى من الزيارة  
البحث فى موضوع تأسيس بنك  
اسلامى كان قد تم الاتفاق بشأنه فى  
المؤتمر الاسلامى الاخير .

#### القاهرة :

○ زار جلالة الملك فيصل جمهورية  
مصر العربية ، واجتمع الى الرئيس  
أنور السادات وتدارسا الموقف  
الراهن وأزمة الشرق الأوسط .

○ تلقى الامام الأكبر الدكتور  
عبد الحليم محمود شيخ الأزهر طلبات  
من السعودية والكويت ودول الخليج  
لايفاد ٥٠٠ من خريجات كلية البنات  
بجامعة الأزهر للعمل بالتدريس فى  
هذه الدول .

○ بدأ مجمع البحوث الاسلامية بتنفيذ  
أكبر مشروع لاهياء التراث الاسلامى  
وذلك بالاعداد على مدى ثلاث  
سنوات قادمة لنشر نحو الف كتاب  
من أمهات كتب الحديث والسيرة  
والتفسير والفقه واللغة العربية  
والتصوف الاسلامى .

#### السعودية :

○ حذر وزير البترول السعودى  
الولايات المتحدة من أن بلاده لن تزيد  
انتاجها الحالى من النفط ما لم تبدل  
واشنطن موقفها المؤيد لإسرائيل .

#### لبنان :

○ وقعت فى لبنان أحداث دموية

مؤسفة بين الجيش اللبنانى  
والفدائيين الفلسطينيين وتدخل  
الوسطاء العرب لانهاء الأزمة .

#### المراق :

○ ستنشأ فى بغداد دار لحفظ  
المخطوطات . . وهى أول دار من  
نوعها فى العراق والوطن العربى .

#### قطر :

○ ساهمت قطر بجزء من المساعدات  
المالية العربية لسوريا فى نضالها  
ضد اسرائيل .

#### أبو ظبى :

○ أعلن الشيخ زايد رئيس دولة  
الإمارات العربية المتحدة أن على  
الدول التى تشتري النفط العربى أن  
تؤيد العرب فى قضاياهم الوطنية  
أو تتخذ موقف اللامحاز .

#### فلسطين المحتلة :

○ أقامت اسرائيل عرضا عسكريا  
فى مدينة القدس بمناسبة الذكرى  
الخامسة والعشرين لاغتصابها  
فلسطين بالرغم من استنكار العالم  
لذلك .

○ تلقت اسرائيل ما يزيد على  
( ٨٥٢٥ ) مليار دولار أمريكى خلال  
العشرين سنة الأولى من انشائها . .

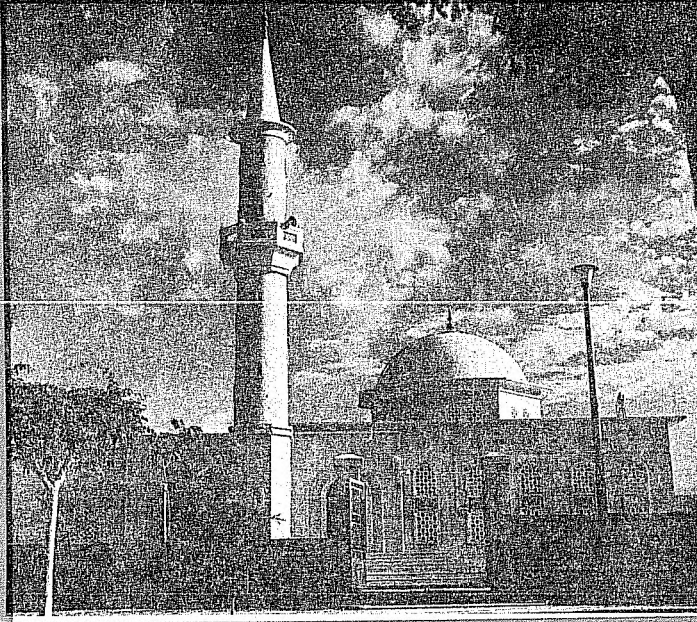
#### ليبيا :

○ أخطر الرئيس القذافى رؤساء  
الدول الافريقية بأن ليبيا ستقاطع  
اجتماع القمة وتطلب نقل مقر منظمة  
الوحدة الافريقية الى القاهرة ما لم  
تحدد الدول الافريقية موقفها من  
اسرائيل .

○ عاد الى روما ٩٠٠ ايطالى من  
ليبيا لعدم حيازتهم على جوازات سفر  
فيها ترجمة عربية رسمية لبيانات  
الجواز .

# مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحاي لدولة الكويت

المواقيت الشرعية بالزمن الفروي					المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي					يونسو ١٩٧٢		جمادى الأولى ١٤٩٤		أيار ١٤٩٤	
عشاء	عصر	ظهر	شروق	فجر	عشاء	عصر	ظهر	شروق	فجر	س د	س د	س د	س د	س د	س د
١٢٢	٨٢٧	٥٠٣	١٠٠٦	٨٢١	٨١٤	٦٤٢	٣٢٠	١٤٥	٤٤٨	٣٢	٢	١	١	١	السبت
٣٢	٣٧	٣	٥	٢٠	١٥	٦٤٣	٣٢٠	٤٦	٤٤٨	٣	٢	٢	٢	٢	الأحد
٢٢	٣٧	٢	٤	١٩	١٥	٤٣	٢٠	٤٦	٤٨	٢	٤	٤	٤	٤	الاثنين
٢٢	٣٦	٢	٣	١٨	١٦	٤٤	٢٠	٤٦	٤٨	٢	٥	٥	٥	٥	الثلاثاء
٢٢	٣٦	٢	٣	١٨	١٦	٤٤	٢٠	٤٦	٤٧	٢	٦	٦	٦	٦	الأربعاء
٢٢	٣٦	١	٢	١٧	١٧	٤٥	٢١	٤٦	٤٧	٢	٧	٧	٧	٧	الخميس
٢٢	٣٥	١	٢	١٦	١٨	٤٥	٢١	٤٦	٤٧	١	٨	٨	٨	٨	الجمعة
٢٢	٣٥	١	١	١٥	١٩	٤٦	٢١	٤٧	٤٧	١	٩	٩	٩	٩	السبت
٢٢	٣٥	١	١	١٥	١٩	٤٦	٢١	٤٧	٤٧	١	١٠	١٠	١٠	١٠	الأحد
٢٢	٣٤	٠٠	٠٠	١٤	٢٠	٤٧	٢١	٤٧	٤٧	١	١١	١١	١١	١١	الاثنين
٢٢	٣٤	٠٠	٠٠	١٤	٢٠	٤٧	٢١	٤٧	٤٧	١	١٢	١٢	١٢	١٢	الثلاثاء
٢٢	٣٤	٠٠	٠٠	١٤	٢٠	٤٧	٢١	٤٧	٤٧	١	١٣	١٣	١٣	١٣	الأربعاء
٢٢	٣٤	٠٠	٠٩	١٣	٢١	٤٨	٢١	٤٧	٤٧	١	١٤	١٤	١٤	١٤	الخميس
٢٢	٣٤	٠٠	٠٩	١٣	٢١	٤٨	٢١	٤٧	٤٧	١	١٥	١٥	١٥	١٥	الجمعة
٢٢	٣٤	٠٠	٠٩	١٣	٢١	٤٨	٢١	٤٧	٤٧	١	١٦	١٦	١٦	١٦	السبت
٢٢	٣٣	٠٩	٠٨	١٢	٢٢	٤٩	٢١	٤٧	٤٧	١	١٧	١٧	١٧	١٧	الأحد
٢٢	٣٣	٠٩	٠٨	١٢	٢٢	٤٩	٢٢	٤٧	٤٨	١	١٨	١٨	١٨	١٨	الاثنين
٢٢	٣٣	٠٩	٠٨	١٢	٢٢	٤٩	٢٢	٤٧	٤٨	١	١٩	١٩	١٩	١٩	الثلاثاء
٢٢	٣٣	٠٩	٠٨	١٢	٢٣	٥٠	٢٣	٤٨	٤٨	٢	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	الأربعاء
٢٢	٣٣	٠٩	٠٨	١٢	٢٣	٥٠	٢٣	٤٨	٤٨	٢	٢١	٢١	٢١	٢١	الخميس
٢٢	٣٣	٠٩	٠٨	١٢	٢٣	٥٠	٢٣	٤٨	٤٨	٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	الجمعة
٢٢	٣٣	٠٩	٠٨	١٢	٢٣	٥٠	٢٣	٤٨	٤٨	٢	٢٣	٢٣	٢٣	٢٣	السبت
٢٢	٣٣	٠٩	٠٨	١٢	٢٣	٥٠	٢٣	٤٨	٤٩	٢	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	الأحد
٢٢	٣٣	٠٩	٠٨	١٢	٢٣	٥٠	٢٤	٤٩	٤٩	٣	٢٥	٢٥	٢٥	٢٥	الاثنين
٢٢	٣٤	٠٩	٠٨	١٢	٢٤	٥١	٢٤	٤٩	٤٩	٣	٢٦	٢٦	٢٦	٢٦	الثلاثاء
٢٢	٣٤	٠٩	٠٨	١٢	٢٤	٥١	٢٤	٤٩	٤٩	٣	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	الأربعاء
٢٢	٣٤	٠٠	٠٩	١٣	٢٤	٥١	٢٥	٥٠	٥٠	٤	٢٨	٢٨	٢٨	٢٨	الخميس
٢٢	٣٤	٠٠	٠٩	١٣	٢٤	٥١	٢٥	٥٠	٥٠	٤	٢٩	٢٩	٢٩	٢٩	الجمعة
٢٢	٣٤	٠٠	٠٩	١٣	٢٤	٥١	٢٥	٥٠	٥٠	٤	٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	السبت



### مسجد علي بن أبي طالب

**اسمه ونسبه :** علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

**ولادته واسلامه :** ولد قبل البعثة بعشر سنين ، وربى في حجر النبي ، واسلم وهو ابن ثمان سنين ، وزوجه النبي ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وأنجب منها الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم رضوان الله عليهم .

**جهاده وفضائله :** شهد المشاهد كلها إلا غزوة تبوك لأن النبي استخلفه في أهل بيته ، وكان اللواء بيده في أكثر الغزوات . وكان أول البارزين في غزوة بدر ، ومن ثبتوا يوم أحد وحنين ، وعلى يديه فتحت خيبر ، وبلغ من الشجاعة أعلاها ، ومن العلم مبلغا عز على أمثاله ولا سيما في القضاء ، وكان من أقدر الناس على الخطابة . عدلا في حكمه بارا برعيته .

**خلافته :** تولى الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، ومدة خلافته خمس سنوات إلا بضعة أشهر ، واستشهد وهو يهيم بصلاة الفجر في السابع والعشرين من رمضان سنة أربعين من الهجرة عن ثلاث وستين سنة ودفن بالكوفة كرم الله وجهه وأتابه عن الإسلام خير الجزاء .

## « إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة ، ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتناديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين في الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متمهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتهمدين :

- |   |   |                   |
|---|---|-------------------|
| القاهرة :   | شركة توزيع الاخبار / شارع الصحافة.        | <b>مصر :</b>      |
| الخرطوم :   | دار التوزيع — ص.ب : ( ٣٥٨ ) .             | <b>السودان :</b>  |
| طرابلس الغرب :                                    | دار الفرجاني — ص.ب : ( ١٣٢ ) .            | <b>ليبيا :</b>    |
| بنغازي :  | مكتبة الخراز — ص.ب : ( ٢٨٠ ) .            |                   |
| مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .          |   | <b>تونس :</b>     |
| بيروت :   | الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : ( ٤٢٢٨ ) . | <b>لبنان :</b>    |
| مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : ( ٤٢٢٧ ) . |   | <b>عُدن :</b>     |
| عمان :  | وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ ) .  | <b>الأردن :</b>   |
| جدة :   | مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٧ ) .               | <b>السعودية :</b> |
| الرياض :  | مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٢ ) .               |                   |
| الخبر :   | مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : ( ٧٦ ) .    |                   |
| الطائف :  | مكتبة الثقافة — ص.ب : ( ٢٢ ) .            |                   |
| مكة المكرمة :                                     | مكتبة الثقافة .                           |                   |
| المدينة المنورة :                                 | مكتبة ومطبعة ضياء .                       |                   |
| بغداد :   | وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .     | <b>العراق :</b>   |
| المكتبة الوطنية :                                 | شارع باب البحرين .                        | <b>البحرين :</b>  |
| الدوحة :  | مؤسسة العروبة — ص.ب : ( ٥٢ ) .            | <b>قطر :</b>      |
| شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : ( ٨٥٧ ) .   |   | <b>أبو ظبي :</b>  |
| مطبعة دبي .                                       |   | <b>دبي :</b>      |
| مكتبة الكويت المتحدة .                            |   | <b>الكويت :</b>   |

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة



اقرأ في هذا العدد

٤	...	...	...	الدكتور محمد البهي	العلمانية فى الاسلام
١٢	...	...	...	الدكتور محمد حسين الذهبي	التعريف بالقرآن الكريم
١٧	...	...	...	الدكتور على عبد المنعم عبد الحميد	من هدى السنة
٢٤	...	...	...	الدكتور وهبه الزحيلي	مظاهر اسباب تخلف العالم الاسلامى
٣٩	...	...	...	.. .. .	مناساة المسلمين فى بورما
٤٠	...	...	...	للاستاذ عبد الكريم الخطيب	القصاص فى القتل
٤٩	...	...	...	الدكتور محمد شوقي القنجرى	الزكاة بلغة العصر
٥٨	...	...	...	.. .. .	مائدة القارئ
					ملاحظات فى التفسير الاسلامى
٦٠	...	...	...	الدكتور عماد الدين خليل	للتاريخ
٦٩	...	...	...	الدكتور احمد شوكيت الشطى	الحضارة واركانها فى الاسلام
٧٨	...	...	...	للاستاذ سفيان سالم	الدعوة الاسلامية وكيف نوجهها
٨٥	...	...	...	الدكتور محمد الدسوقي	خير امة
					اشياء تستحق المعرفة فى القرآن
٩١	...	...	...	للاستاذ محمد بلى الفتوى	التكريم
٩٤	...	...	...	للاستاذ محمد لبيب البوهى	صراع فى الظلام ( قصة )
١٠٠	...	...	...	.. .. .	باقلام القراء
١٠٤	...	...	...	للتحرير	الفتاوى
١٠٦	...	...	...	اعداد : عبد الحميد رياض	يريد الوعى
١٠٩	...	...	...	للتحرير	قالت الصحف
١١١	...	...	...	اعداد : فهمى الامام	الاخبار
١١٢	...	...	...	.. .. .	مواقف الصلاة